سبعون مقالة عن تشيخوف

أ.د. ضياء نافع

دار نوّار للنشر
بغداد – موسكو
2023

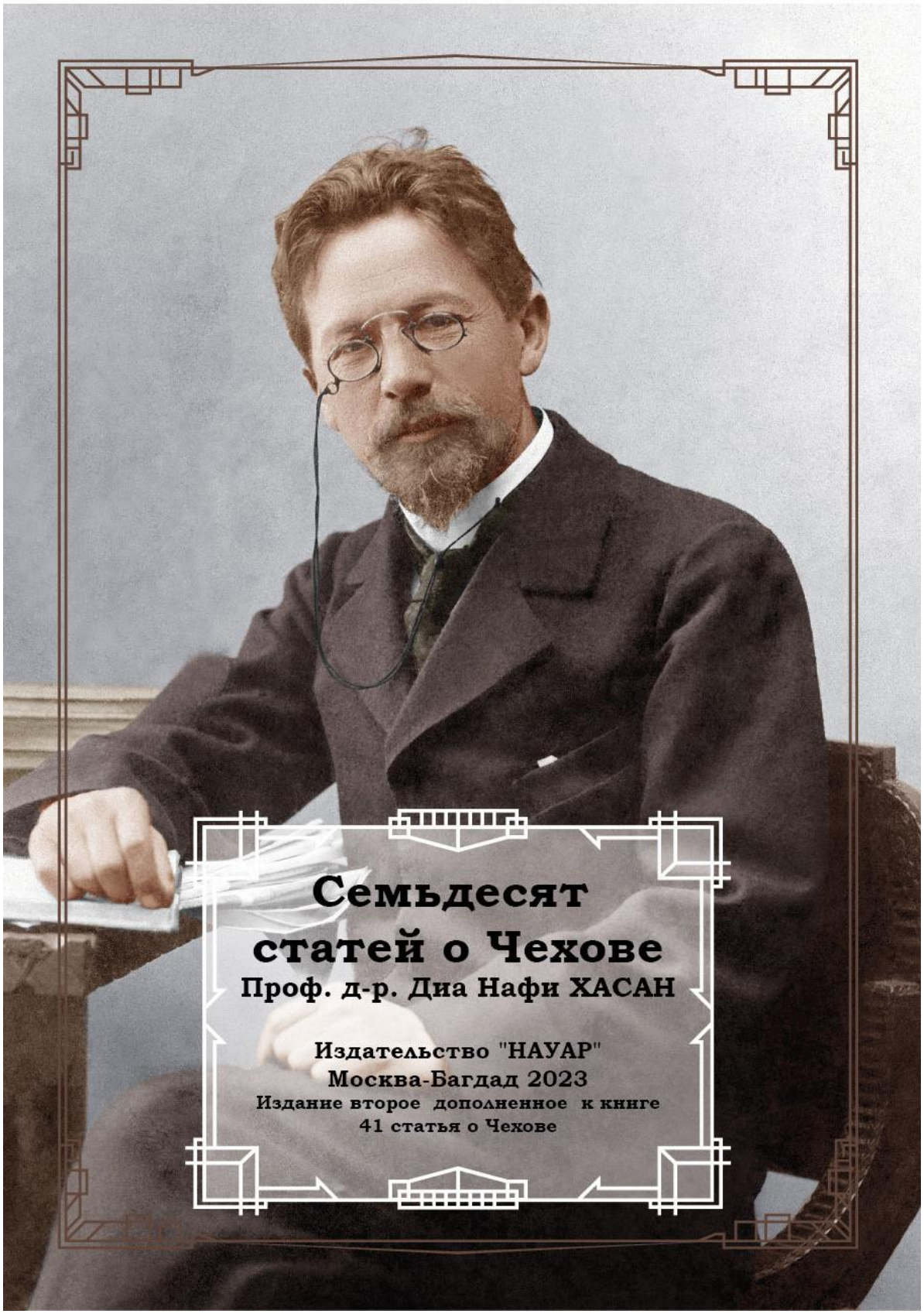

Семьдесят статей о Чехове

Проф. д-р. Диа Нафи ХАСАН

Издательство "НАУАР"
Москва-Багдад 2023
Издание второе дополненное к книге
41 статья о Чехове

سبعون مقالة عن تشيخوف

أ.د. ضياء نافع

طبعة ثانية مزيدة لكتاب

41 مقالة عن تشيخوف

أ.د. ضياء نافع

دار نوّار للنشر
بغداد – موسكو
2023

دار نوّار للنشر

رئيس مجلس الادارة

أ.د. ضياء نافع

dnh1941@yahoo.com

مساعد رئيس مجلس الادارة للشؤون العلمية

أ.م.د. هديل اسماعيل نيازي

hadeelismaeel@yahoo.com

مساعد رئيس مجلس الادارة للشؤون الادارية

السيدة كفاح السوداني

مدير الحسابات

علي عصام عبد الكريم

هيئة المستشارين

د. بسام البزاز

د. تحسين رزاق عزيز

أ.د. زهير مجيد مغامس

أ.د. سعيد عدنان

أ.د. موفق جواد المصلح

الفهرس

=====

1- حوار مع افكار صديقي تشيخوف

2- تشيخوف في العراق

3- تشيخوف في العراق وتشيخوف في فرنسا

4- عود على تشيخوف في العراق

5- تماثيل تشيخوف في روسيا

6- قراءة في كتاب روسي عن تشيخوف صادر عام 1939

7- حول قصة تشيخوف القصيرة موت موظف

8- حول قصص تشيخوف المبكرة

9- تشيخوف وبوشكين

10- تشيخوف وغوغول

11- تشيخوف وتولستوي

12- تشيخوف ودستويفسكي

13- تشيخوف وغوركي

14- ستانسلافسكي وتشيخوف

15- تشيخوف والفيلسوف شيستوف

16- تشيخوف وموباسان

17- تشيخوف وبرنارد شو

18- تشيخوف وشاكر خصباك

19- عادل كاظم وتشيخوف

20- بدري حسون فريد وتشيخوف

21- تشيخوف الكويتي على مسرح اردني

22- ثلاثة كتب عن تشيخوف في سلسلة واحدة

23- كتاب بونين عن تشيخوف

24- حول مسرحية تشيخوف الكوميدية الدب

25- حول مسرحية بستان الكرز

26- قصة تشيخوف القصيرة فرحة

27- قصة تشيخوف البدين والنحيف والصراع الطبقي

28- عطسة موظف تشيخوف واستنتاجاتها

29- مسرحيات تشيخوف حسب تسلسلها الزمني

30- تشيخوف في ذكريات معاصريه

31- تساؤلات حول تشيخوف

32- الاديب الالماني هاينريش بول يكتب عن تشيخوف

33- سيدة تشيخوف وكلبها الصغير يدخلان التاريخ

34- تشيخوف بين الطب والادب

35- تشيخوف وخادمته المغفلة والوضع في العراق

36- تشيخوف في شارع الرشيد ببغداد

37- تشيخوف ومسرح العبث

38- حول احدى مسرحيات تشيخوف المجهولة

39- اطاريح الماجستير التي أشرفت عليها

40- تسع جمل مفيدة حول تشيخوف

41- صوفي لافيت - الفرنسية الروسية التشيخوفية

42- حول مسرحية تشيخوف – (الخال فانيا)

43- أخماتوفا و تشيخوف

44- تمثال في جامعة موسكو للطالب تشيخوف

45- تشيخوف وتشايكوفسكي

46- ابداع تشيخوف وعالم مورافيا الفني

47- تشيخوف في رأي نابوكوف

48- تشيخوف في الصين

49- اول قصة قصيرة نشرها تشيخوف

50- عن تشيخوف وشوارعه

51- مقالة لاكشين المنسية عن تشيخوف

52- تشيخوف واحد ام تشيخوفان

53- مسرح تشيخوف في رأي بروك

54- تشيخوف في النقد الادبي قبل الثورة

55- عن تشيخوف في القرن الحادي والعشرين

56- سولجينيتسين وتشيخوف

57- اليابانيون يحبون تشيخوف
58- مایاکوفسکي یکتب عن تشیخوف
59- البرجوازي الصغير تشيخوف
60- عن قصة تشيخوف القصيرة – الى باريس
61- المترجمون العراقيون وتشيخوف
62- حول رسائل تشيخوف بترجمة الضامن
63- وتشيخوف اوكراني ايضا ؟
64- كاتايف – البروفيسور التشيخوفي
65- عن بيردنيكوف وكتبه حول تشيخوف
66- تشيخوف والادب العالمي
67- عود على كتاب (تشيخوف) بقلم ايرنبورغ
68- الطالب تشيخوف وقصصه
69- (دب) تشيخوف يتحول في مصر الى (الجلف)
70- حول مقالة رشيقة عن تشيخوف

1- حوار خيالي مع افكار صديقي تشيخوف

ض.ن. - هل نبدأ بالسؤال التقليدي عن حياتك في مدينة تاغنروغ، ام انك ستصاب بالملل؟

تشيخوف: (مبتسما) - كلكم هكذا، تلحون بالاسئلة عن حياتي اولا، ولكن لماذا؟

ض.ن. - لاننا نرى، ان الكاتب هو تعبير عن عصره، ولهذا فاننا نحاول معرفة وضعه الاجتماعي، لنستشف موقفه من العصر ومدى تعبيره عنه، ثم ان ..

تشيخوف (مقاطعا) - اني لا افهم هذه الكلمات (تعبير عن العصر)، و(انعكاس الامال)...الخ...الخ، ومن الافضل دراسة التاريخ والاقتصاد وغيرها من الاختصاصات اذا اردتم ان تفهموا العصر والعلاقات الاجتماعية فيه...

ض.ن. - ولكن الفن يعكس العلاقات الاجتماعية ويساهم في ايجاد حلول لقضايا العصر، أليس كذلك؟

تشيخوف - جزئيا، نعم، ولكن الفن اعمق من ذلك، اعمق من ان يعكس روح العصر والعلاقات الاجتماعية فيه، انه يعكس المعاناة الانسانية قبل كل شئ، يعكس الاحاسيس الانسانية من ألم وملل وفرح وحزن وانتصار واندحارو..و..و، وهنا بالذات تكمن اهمية الفن في رأي.

ض.ن. - هل يمكنك توضيح ذلك؟

تشيخوف - خذ مثلا (آنا كارينينا)، فتولستوي في روايته تلك لم يقرر مشاكل عصره، وانما تكلم بصدق وفنية رائعة عن جانب من العلاقات الاجتماعية، ولا زالت هذه الرواية تثير القراء لحد الآن ليس لانها تعكس فقط جانبا من العلاقات الاجتماعية وانما لانها تعكس ايضا - وقبل كل شئ - المعاناة الانسانية المشتركة لكل العصور، معاناة كارينينا وبقية ابطال الرواية.

ض.ن. - ولكن ماذا بشأن ايجاد الحلول للقضايا الاجتماعية ؟

تشيخوف - ان الاديب، في رأي، شاهد موضوعي فقط وليس حاكما. يكفي للانسانية ما عندها من محاكم وقوانين صارمة، ويجب عدم تحويل الادب والفن الى محاكم وقوانين جديدة.

ض.ن. - ألا ترى ان ذلك يمكن ان يؤدي بالاديب والفنان الى مواقف لا مبدئية؟

تشيخوف - كلا. لقد كتبت مجلة (روسكايا ميسل) (الفكر الروسي) مرة، ان تشيخوف كاتب بلا مبادئ، واظنك تعلم، باني لم اكتب ردًا على اي نقد تعرضت اليه، على الرغم من كثرة النقاد الذين كتبوا ضدي، ولكني لم استطع السكوت عندما قرأت ما كتبته المجلة المذكورة عنّي. لقد اخبرتهم في رسالتي باني لم اكن ابدا كاتبا لا مبدئيا، لاني مع الحرية ومع العدالة ومع الصدق، واني افهم الفرق بين الحرية والعبودية وبين العدالة والظلم وبين الصدق والكذب.

ض.ن. - ولكن كيف يمكننا ان نرى بوضوح موقف الكاتب هذا؟

تشيخوف - كتب لي احد الاصدقاء بعد قراءة قصة (النيران) يقول، انه لم يجد في تلك القصة اي اتجاه، وقد تعجبت انا، واجبته باني من بداية القصة الى نهايتها احتج ضد الكذب، وان هذا هو الاتجاه المبدئي بعينه، ولكن الصديق المذكور اصّر قائلا انه اعاد قراءة القصة ولم يجد فيها اتجاها ما، وقد شرحت له بعدئذ اني لا استطيع ان اكتب ان فلانا يسرق، وان السرقة عمل سئ، اذ اني ساقتل بهذا روح النتاج الابداعي، واني اعتمد دائما على القارئ الذكي والذي يفكر، وارفض القارئ الكسول الذي يجب ان اذكره بين الحين والحين ان السرقة عمل سئ، اني اريد من القارئ ان يساهم معي، وان لا يكون فقط اداة تقّبل، وانما ان يكون اداة مشاركة ايضا.اني اعطي للقارئ ايماءات هنا وهناك واطلب منه، نعم، اطلب منه ان يبلور الصورة المطلوبة بنفسه. اني اعاني كثيرا عندما اكتب، ولكني لا اظهر هذه المعاناة للقارئ، لان هذا يفسد العمل الفني ويحوله الى فكرة منتهية ما على القارئ الا الاقرار بها.

ض.ن. - هل استطيع ان استنتج من كل ما قلته، انك ضد الالتزام في الادب؟

تشيخوف - كلا. هذا استنتاج غير صحيح. اني ضد الفهم الخاطئ للالتزام. الالتزام - من وجهة نظري - يكمن في الحرية، وكل اديب حر هو بالتالي وبالضرورة اديب ملتزم. الكاتب الحر- اي الملتزم هو الذي يكتب بصدق عن كل شئ يراه ويعرفه ويفهمه بعمق، ويستطيع ان يتصرف في حياته ايضا انطلاقا من هذا الالتزام.

ض.ن. - كيف؟

تشيخوف - لقد قدمت انا مثلا استقالتي - مع كارولينكو- من اكاديمية العلوم احتجاجا على طرد مكسيم غوركي منها - بعد قبوله - بتأثير من السلطة، وايّدت مطالب الحركة الطلابية. ان اعمالي هذه تنطلق من ايماني باني كاتب ملتزم، ولا يمكن النظر اليها بشكل آخر بتاتا.

ض.ن. - لننتقل الآن الى سؤال آخر، ربما يبدو قديما، ولكني اظنه مهما - من هو كاتبك المفّضل، او كتابك المفضلون، وهل تأثرت بأحد منهم؟

تشيخوف - هذا سؤال مهم فعلا، على الرغم من قدمه. انه سؤال متشعب جدا، واتناوله من الجزء الاخير وهو - هل تأثرت باحدهم؟ الجواب - كلا. لقد تأثرت بتولستوي لفترة قصيرة، ولكني استطعت التخلص من هذا التأثير، نعم، التخلص، اذ اني انسان عنيد، لا استطيع تقّبل الاراء بشكل جاهز، لقد حاولت طوال حياتي ان أصل الى كل شئ بنفسي. عندما اكتب، فاني اختار دائما المواضيع التي فهمتها فعلا، ولكن هذا لا يعني بتاتا اني لم اكن اقرأ. لقد بدأت بالقراءة منذ طفولتي، ولا زلت أقرأ وأقرأ، ولكني لست متأثرا باحد.

ض.ن. - هل تستطيع تسمية بعض هؤلاء الذين تحب ان تقرأ نتاجاتهم؟

تشيخوف - ليرمنتوف مثلا. اني اتعلم من ليرمنتوف كيفية الكتابة، ولا زلت مندهشا كيف استطاع ان يكتب (تامان) وهو في هذا العمر اليافع.والحقيقة، اني احلم ان اكتب شيئا- ما يشبه (تامان)، واضيف اليه مسرحية فكاهية ذات فصل واحد، وعندها استطيع ان أموت مطمئنا. اما بوشكين، فانا اعود اليه بين الحين والحين، خاصة الى كتاباته النثرية، اذ اني أجد هناك انفاس الشاعر، وهذه خاصية فريدة ورائعة، اضافة الى انه استطاع ان يتعامل مع الاشياء والقضايا الاعتيادية والبسيطة ويحولها الى مادة جمالية مدهشة.

ض.ن. - ماذا تقصد بذلك؟

تشيخوف - هذه مسألة كبيرة بدأها بوشكين في الادب الروسي، وهي تعني الكتابة عن الشئ الاعتيادي الذي لا يلاحظه الانسان عندما يمرّ به، ولكن الفنان يجد فيه شيئا يجلب الانتباه، ثم يحوله الى مادة جمالية.

ض.ن. - وهل انعكس هذا في نتاجاتك الادبية؟

تشيخوف - نعم، وفي كل نتاجاتي. لقد اقترح عليّ احد الاصدقاء ان اكتب عن موضوع انتحار صبي كان له من العمر سبع عشرة سنة، وتكلم طويلا حول هذا الموضوع، ولكني رفضت هذا المقترح. اني احاول ان اتجنب في نتاجاتي الحوادث الهائلة والتعقيدات المفتعلة. اذكر، ان مجموعة من الادباء كانت عندي مرة، وأكّد احدهم بانه لا توجد الآن مواضيع للادب، اذ ان كل شئ قد تناوله الادباء، ولكني سخرت منه، وكانت امامي منفضة مليئة باعقاب السجائر، فرفعتها بيدي وقلت- هل تريدون ايها السادة قصة بعنوان (المنفضة)؟ اني سأكتبها لكم غدا. وتكرر الكلام نفسه في احدى المقاهي، فأشرت عندها الى جدار المقهى وقلت انه موضوع رائع لنتاج ادبي. اني اكتب ببساطة عن حوادث صغيرة واعتيادية، وحتى متكررة، ولكني اكتب عنها بحب كبير بعد فهمي لاعماقها. ان البساطة في الفن هي اقصى ما يستطيع ان يحققه الفنان الاصيل.

ض.ن. - دستويفسكي لم يكتب بهذا الشكل...

تشيخوف - نعم، هذا صحيح، ولهذا فانا لا اميل اليه كثيرا. لقد قرأت (الجريمة والعقاب)، ولا يمكن ان أقول انها ليست عملا ادبيا وفكريا متميزا، ولكن بالنسبة لي، فانها مليئة بالاجواء الفخمة والادعاءات، وبالتالي فانها لا تتلائم مع طبيعتي ومفاهيمي .

ض.ن. - يشير بعض النقاد الى تأثير سلتيكوف - شيدرين على نتاجاتك الساخرة.

تشيخوف - لا، لا. لقد قلت لك باني لست متأثرا باحد، ولا يمكن اعتباري متأثرا حتى بغوغول. انت تعلم ان بوشكين هو الذي اعطى لغوغول فكرتي (المفتش) و(الارواح الميتة)، وحتى في هذه الحالة، وانا متأكد من ذلك، لو ان بوشكين نفسه كتب حول هذين الموضوعين، فان الكتابة عندها ستكون بغير تلك الروحية التي كتب بها غوغول، فكيف يريدني هؤلاء النقاد ان اكون متاثرا بشيدرين؟

ض.ن. - وماذا بشأن تولستوي؟

تشيخوف - اني احبه كثيرا. انه الاديب الاول في روسيا ولا ادري ماذا باستطاعتنا - نحن الادباء الروس - ان نعمل بدون تولستوي؟ انه يرعانا كلنا، وما دام تولستوي على قيد الحياة، فان الادب الروسي بخير.

ض.ن. - ولكن تولستوي لا يحب مسرحياتك.

تشيخوف (مبتسما) - نعم، هذا صحيح. لقد اخبرني مرة انه لا يحب مسرحيات شكسبير، ولكنها مع ذلك افضل من مسرحياتي. يؤكد تولستوي ان المسرحية يجب ان تدور حول حوادث ما، حوادث معينة فيها بداية ونهاية، اما انا، فاني اعتقد ان كل شئ متشابك في الحياة، ولهذا فان كل شئ يصلح ان يكون موضوعا لمسرحية. لقد شاهد تولستوي مسرحية (الخال فانيا) وخرج غاضبا من المسرح وهو يقول - اخبروا تشيخوف وستانسلافسكي، انه لا يمكن ان تكون هناك مسرحية بمجرد ان يرقد انسان ما بكسل وينظر الى الحديقة. اما انا، فاعتقد بامكانية ذلك.

ض.ن. - ولكن لماذا قررت الكتابة بهذا الشكل؟ هل حاولت الكتابة عن احداث - ما؟

تشيخوف - اعتقد انه من الضروري جدا على كل فنان ان يحاول دائما خلق اشكال ادبية جديدة، وانطلاقا من هذا، حاولت ان اخلق هذه الاشكال الجديدة في مجال القصة والمسرحية، خاصة في عالم المسرح. ان حالة المسرح الروسي سيئة، وقد حاولت ان امنحه مسرحية جديدة، مسرحية المزاج النفسي - ان شئت - ولكن هذا لم يعجب تولستوي.

ض.ن. - وهل تعتقد انك نجحت في خلق الاشكال الجديدة هذه ؟

تشيخوف - هذه سؤال محرج، خصوصا واني لا احب الكلام عن نتاجاتي، ولا اريد ان اضعها مثلا اعلى في الادب. كل ما استطيع قوله بهذا الشأن، هو اني حاولت، وباخلاص. اود ان اضيف هنا شيئا آخر- لا تصدق اذا سمعت فنانا يقول انه لا يحب ابداعاته . نحن نحب نتاجاتنا، ونعيش معها حرفا حرفا، ونحميها، ونتابع كل كلمة تقال فيها، ولكن عندي احساس دائم، لا اعرف مصدره، يسيطر علي طوال الوقت وهو اني في كل كتاباتي لم استطع ان احقق الشئ الذي كان

باستطاعتي ان احققه، وهناك شعور يغمرني دائما، وهو اني سأكتب في المستقبل اشياء احسن وافضل من تلك التي كتبتها سابقا، وانا أتألم كثيرا عندما انظر الى نتاجاتي المطبوعة واقارنها بنتاجاتي الموجودة في ذهني، والتي اود كتابتها، واقول لنفسي - ياللحسرة، الشئ السئ مطبوع، والشئ الرائع لا زال في ذهني.

ض.ن. - سؤال اخير.. ما رأيك بالمستقبل؟

تشيخوف - لست سياسيا ولا مصلحا اجتماعيا، ولكني اعتقد ان الحياة ستكون رائعة جدا بعد مرور 200 او 300 سنة، وانها ستختلف عن حياتنا الكئيبة هذه.

2- تشيخوف في العراق

كنت مشرفا علميا على ثلاث اطاريح ماجستير في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد حول تشيخوف في تسعينيات القرن الماضي وهي - (مسرح تشيخوف في العراق) و (تشيخوف في النقد الادبي العراقي) و (قصص تشيخوف المبكرة في الترجمات العربية)، واقترحت على احد طلبة الماجستير اطروحة رابعة حول تشيخوف بعنوان - (مسرحية تشيخوف بستان الكرز في ثلاث ترجمات عربية) الا ان احد زملائي في اللجنة العلمية اعترض بشدة وعنف ضد عنوان تلك الاطروحة، وقال ان ضياء نافع يمكن ان يقترح علينا قريبا ان نكتب اطروحة اخرى بعنوان (تشيخوف في علاوي الحلة). ولم اكن انا حاضرا في ذلك الاجتماع مع الاسف لارتباطي بعمل اداري في حينه، ولكني عرفت بما دارفي ذلك الاجتماع واعجبتني جدا فكرة - (تشيخوف في علاوي الحلة)، وفعلا كتبت مقالة بهذا العنوان ونشرتها في مجلة الف باء العراقية آنذاك، وكانت لها ردود فعل ايجابية وعديدة لدى القراء، وقد تناولت في المقالة تلك كل الاشكالات التي حدثت حول الموضوع وذكرت فيها انني احلم بذلك اليوم الذي ستكون فيه مسارح عراقية في علاوي الحلة تعرض مسرحيات تشيخوف وغيره من اعلام المسرح العالمي، اذ ان ذلك يعني ان العراق سيكون في مصاف دول العالم المتقدم.

ان موضوعة تشيخوف في العراق لا زالت تنتظر فارسها، واذكر اني - مرة - تحدثت مع البروفيسور كوليشوف (رئيس قسم الادب الروسي في القرن التاسع عشر في كلية الاداب بجامعة موسكو، وهو استاذنا جميعا في ستينيات القرن الماضي عندما كنا طلبة في تلك الكلية آنذاك) حول ذلك، وقد قال لي كوليشوف انه يعد هذا الموضوع علميا وصحيحا بشكل عام الا انه لا يحبذه في اطاريح الطلبة العرب عندهم لان الاستاذ المشرف لا يستطيع اداء دور الاشراف الصحيح اذ انه لا يعرف اولياته ولا يستطيع الاطلاع على مصادر البحث باللغة العربية وبالتالي سيعتمد على ما يقول الطالب وما يترجمه له، وهذا يؤدي الى موقف غير سليم للاستاذ المشرف، الذي يجب ان يقود البحث ويشرف عليه لا ان يكون (المستمع) للطالب بشأن المصادر، وكوليشوف كان هنا على حق طبعا،

وقد قلت له ذلك مباشرة، اما اذا كان المشرف العلمي عراقيا او عربيا، فان هذا يعني انه يجب ان يكون على اطلاع تام بشأن اوليات الموضوع ومصادره، وبالتالي يستطيع ان يكون مشرفا علميا حقيقيا.

توجد لحد الان جوانب وقضايا مهمة ترتبط بشكل او بآخر بهذا الموضوع لم يتناولها الباحث العراقي، واذكر اني طرحت على المرحوم الدكتور عبد الاميرالورد في صنعاء (عندما كنت استاذا زائرا في كلية اللغات بجامعة صنعاء) سؤالا محددا بشأن علاقته تجاه تشيخوف ولماذا قدّم للجمهور العراقي احدى مسرحيات تشيخوف ذات الفصل الواحد وقام بالتمثيل بنفسه، فاجابني لانه شاهد تلك المسرحية بتقديم الاخرين واقتنع انهم لم يفهموا عمق تلك المسرحية ولم يستطيعوا كشف مضمونها الذي اراده تشيخوف نفسه، وقال الورد انه يعتقد جازما انه قد نجح بذلك.وهذه - بحد ذاتها - مسالة جديرة بالبحث، وعلى الباحث ان يسبر غورها ويثبت صحتها. واجريت - مرة - حوارا مع الفنان المسرحي الكبير الدكتور سامي عبد الحميد (عندما كان معنا في اللجنة الامتحانية المركزية في كلية اللغات منسبا من كلية الفنون الجميلة للاشراف على سير الامتحانات المركزية آنذاك في تسعينيات القرن الماضي) وسألته عن موقع تشيخوف في حياته المسرحية، فأجابني انه ادّى امتحانه امام اللجنة عندما كان يدرس المسرح في الغرب بتمثيله لمقطع من مسرحية لتشيخوف وان هذا الكاتب المسرحي الروسي رافقه طوال حياته، وحدثّني عن اعجابه الشديد بدور الممثل العجوز في مسرحية تشيخوف ذات الفصل الواحد والذي يعتبرها قمة التعبير عن معاناة الفنان في نهاية عمره. وهناك جانب آخر في هذا الموضوع وهو موقف الفنان صلاح القصب تجاه تشيخوف، اذ ان هذا الفنان العراقي الكبير قد اخرج احدى مسرحيات تشيخوف بشكل جديد ومبتكر، وقد شاهدتها شخصيا في مسرح الرشيد في حينه، واثارت رؤيته لتشيخوف نقاشا حادا بين مؤيد لهذه الرؤية ومنتقد لها، بل ان البعض اعتبرها حتى تشويها لتشيخوف. هذه وغيرها من النقاط المرتبطة بمسرح تشيخوف في العراق لم يتناولها الباحث العراقي لحد الان (ومنها مثلا مسرحة الفنان العراقي بدري حسون فريد لقصة تشيخوف الحرباء ومحاولات الفنانة عواطف نعيم لتقديم بعض قصص تشيخوف على خشبة المسرح العراقي وهناك سؤال كبير ومهم - في رأي - وهو لماذا لم يتعامل الفنان قاسم محمد،

وهو ابن المدرسة الروسية في المسرح مع تشيخوف، وغير ذلك)، اما قصص تشيخوف، فانها عالم كبير بحد ذاته، لم نتكلم عنه كما يجب ايضا، ويمكن ايجاد روابط كثيرة تجمع بين تقنية تشيخوف الفنية وكبار الاسماء في مسيرة القصة العراقية الحديثة . وهناك جانب آخر لهذا الموضوع ايضا وهو كيف تعامل المترجم العراقي مع نتاجات تشيخوف والنقد الادبي حوله على مدى هذه المسيرة الطويلة من الزمن، واذكر ان الباحث العراقي المرحوم الدكتور عبد الاله احمد قد أشار الى هذا الجانب في كتاباته المعروفة عن القصة العراقية، وباختصار فان موضوع تشيخوف في العراق ينتظر انجازه من قبل باحثينا، وفي حالة تنفيذ ذلك، فاننا نستطيع عندها ان نقدم هذا العمل العلمي الى القارئ الروسي والاوربي ايضا باعتباره دليل نضجنا العلمي ومساهمة من قبل الباحثين العراقيين في مسيرة دراسات الاداب الاجنبية في العالم. لقد كنت ضمن الوفد العراقي لجامعة بغداد الذي زار جامعة موسكو في نهاية التسعينات في القرن الماضي، وقدمنا نسخة من اطروحة (مسرح تشيخوف في العراق) التي اشرت اليها اعلاه لعميد معهد بلدان اسيا وافريقيا التابع لجامعة موسكو البروفيسور مبير، واذكر اني قلت له انها (هدية صغيرة) من وفدنا لمعهدهم انجزناها باللغة الروسية في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد، وعندما تسلمها واطلع عليها بشكل سريع اجابني، انها ليست هدية صغيرة بل هدية كبيرة لم نكن نتوقعها.

3- تشيخوف في فرنسا وتشيخوف في العراق

وصلت الى فرنسا عام 1966 بعد انهاء دراستي في الاتحاد السوفيتي، وكنت اخطط للالتحاق في قسم الدراسات العليا بجامعة باريس، واستطعت الوصول وبمساعدة المرحوم وليد الجادر، طالب الدراسات العليا آنذاك في جامعة باريس (البروفيسور الدكتور فيما بعد في قسم الآثار بكلية الآداب في جامعة بغداد) الى قسم اللغة الروسية وآدابها في تلك الجامعة، وقابلت رئيس القسم وعرضت عليه وثائقي وتحدثت معه حول رغبتي بالدراسة في قسم الدراسات العليا بجامعة باريس، وقد رحب رئيس القسم بي وقابلني بحفاوة وود وقال لي انه يوافق وبكل سرور على قبولي والاشراف على اطروحتي، وعندما سألني عن الموضوع الذي أرغب الكتابة حوله، اخبرته باني أود ان أكتب عن الاديب الروسي تشيخوف، فقال لي رأسا انه متخصص بأدب تولستوي بالتالي لا يستطيع ان يكون مشرفا علميا على اطروحتي، وانه سيتصل الان هاتفيا باستاذة متخصصة في ادب تشيخوف ويطلب منها ان تكون المشرفة العلمية على اطروحتي، وفعلا اتصل امامي هاتفيا واخبرني ان الاستاذة تنتظرني غدا في بيتها، واعطاني العنوان الكامل وكيفية الوصول اليها . وهكذا ذهبت اليها في اليوم التالي كما اتفق معها، واستقبلتني في الموعد المحدد، واطلعت على وثائقي الرسمية، وبدأت تسألني بعض الاسئلة عن تشيخوف وخصائص أدبه وابداعه، وكنت اجاوب قدر معرفتي في تلك المرحلة طبعا، وطرحت علي السؤال الآتي - (هل اطلعت على مقالة تشيخوف في فرنسا؟)، فأجبتها - نعم، وهي منشورة في كتاب صدر عام 1960 في موسكو ضمن سلسلة (التراث الادبي) وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد تشيخوف، فقالت لي - حدثني عن مضمونها، فبدأت بالحديث عن تلك المقالة وعدد صفحاتها التقريبية وكيف انها تناولت ظهور نتاجات تشيخوف في فرنسا باللغة الفرنسية، ثم توسع هذه الاصدارات وكيف أصبح تشيخوف مشهورا في فرنسا وكيف بدأ مسرحيوها بالتعامل مع مسرحه، وكيف تقبله النقد الادبي في الصحف والمجلات الفرنسية، وقلت لها ان هناك صورا عديدة منشورة هناك حول مسرحيات تشيخوف وعروضها على خشبة المسارح المختلفة في فرنسا والممثلين الذين قاموا باداء الادوار في تلك المسرحيات، وقد استرسلت بالتفصيل

عن هذه المقالة لأني كنت قد قرأتها قبل فترة قصيرة ولازلت اتذكر تفاصيلها، وقد اقتنعت الاستاذة باجابتي فعلا وسألتني - (من هو كاتب تلك المقالة؟)، فقلت لها انه كاتب فرنسي لا اتذكر اسمه و لقبه الان، فضحكت مقهقهة من كل قلبها وقالت، انها هي كاتبة تلك المقالة، وكان جوابها هذا مفاجأة غير متوقعة لي بتاتا طبعا، فبدأت اعتذر لأني لم اكن أعرف ذلك وكلي خجل بل و حتى ارتباك من هذا الموقف المحرج جدا، فقالت لي - بالعكس، انها اعجبت جدا بجوابي لاني كنت صادقا بالاجابة والتي جاءت بتلقائية وعفوية وبساطة، وهكذا وافقت على قبولي للدراسة وباشرافها العلمي. انها البروفيسوره المرحومة صوفي لافيت ابرز اسم متخصص في فرنسا آنذاك بادب تشيخوف ومؤلفة عدة كتب فرنسية عنه، ومنها الكتاب المشهور (تشيخوف بقلمه) والصادر ضمن سلسلة معروفة جدا في فرنسا بهذه التسمية حول معظم ادباء العالم الغربي المشهورين تتضمن مختارات منتقاة من نتاجاتهم واقوالهم ورسائلهم، وترسم بالتالي صورة قلمية متكاملة عنهم. تذكرت كل هذه التفاصيل الان، اي بعد مرور حوالي نصف قرن من الزمان، وذلك عندما اطلعت على كتاب صادر في موسكو عن تشيخوف عام 2011 وجدت في احدى فصوله تفصيلات تتناول الدراسات والمقالات عن تشيخوف في مختلف بلدان العالم خارج روسيا، وبحثت طبعا هناك وقبل كل شيئ عن العراق فلم أعثر على اي ذكر او اشارة له، وتألمت وتأسفت لذلك ولكني قلت بيني وبين نفسي - نحن مذنبون ايضا في ذلك،اذ اننا لا نتحدث عن انفسنا امام الآخرين ولا عن نشاطاتنا العلمية والثقافية ومساهماتنا في دراسة الاداب الاجنبية على الرغم من تواضعها، ولا نصدر دوريات او كتبا تتناول ذلك بلغات اجنبية ونوزعها على المكتبات العامة في بلدان العالم، ولا ننظم حتى مواقع اليكترونية تتحدث عن ذلك، ولا نشارك في مؤتمرات علمية تدرس الظواهر الابداعية في المحافل الدولية، ولا نقيم حوارات مع الاوساط الثقافية العالمية،ووو ....الخ، وواصلت تقليب صفحات ذلك الكتاب واذا بي ارى فقرة كاملة عن تشيخوف في فرنسا، وبدأت بالقراءة، وقد تبين انهم يتذكرون البروفيسورة المرحومة صوفي لافيت هنا، ويشيرون بالذات الى مقالتها المذكورة تلك (تشيخوف في فرنسا)، ويؤكدون على كونها لا زالت تمثل قمة اهتمام القراء الروس بالنسبة لهذا الموضوع رغم مرور اكثر من نصف قرن على نشرها،

لانها وضعت الاسس الصحيحة والثابتة لمسيرة تلك الدراسات اللاحقة حول هذا الموضوع في فرنسا. واظن اننا نستطيع ايضا ان نقوم بذلك في العراق رغم كل الفوارق بيننا وبين فرنسا بالطبع، اذ يوجد في الوقت الحاضر ثلاثة تدريسيين في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد كتبوا اطاريح الماجستير حول تشيخوف باقتراحي وباشرافي العلمي وهم حسب تواريخ انجازهم لتلك الاطاريح كل من الاستاذ المساعد خلف طاهر الموسوي وكانت اطروحته بعنوان - (مسرح تشيخوف في العراق)، والدكتوره هديل اسماعيل وكانت اطروحتها بعنوان - (تشيخوف في النقد الادبي العربي)، والدكتور تحسين رزاق عزيز وكانت اطروحته بعنوان - (قصص تشيخوف المبكرة في الترجمات العربية)، واقترح على قسم اللغة الروسية تشكيل لجنة من هؤلاء التدريسيين ويمكن ان يشارك فيها اي تدريسي آخر يرغب بذلك، للعمل على اعداد دليل بيبلوغرافي شامل و متكامل مع مختصرات لمضامين لتلك الكتب والبحوث والاطاريح والمقالات ومسرحيات تشيخوف في مسارح العراق وتعليقات توضيحية وهوامش وملاحظات حول كل نقطة وفقرة فيه واصداره بكتاب مستقل و بعنوان - (تشيخوف في العراق) وبلغتين - العربية من اليمين والروسية من اليسار، ويصدر باسم قسم اللغة الروسية في كلية اللغات بجامعة بغداد، وانا متأكد من ان هذا العمل الارشيفي العلمي - في حالة انجازه - سيكون خطوة رائدة في العراق والعالم العربي في مجال الدراسات العربية - الروسية اولا وسيدخل ضمن المصادر الاساسية لدراسات الادب المقارن ثانيا، اضافة الى قيمته العلمية واهميته الثقافية والاعتبارية في الاوساط العربية والروسية بالنسبة لقسم اللغة الروسية وكلية اللغات وجامعة بغداد طبعا باعتباره انجازا علميا، وانا أحلم بذلك واتمنى ان يتقبل القسم حلمي هذا ويحققه، وعندها يمكن ان نقدمه الى المراكز الروسية المعنية كافة و سنباهي به الامم ! ومن نافل القول ان اشير هنا الى استعدادي التام والكامل للتعاون مع اللجنة المشرفة على انجاز هذا الكتاب وباي صيغة من صيغ التعاون التي يراها قسم اللغة الروسية في كلية اللغات الحبيبة.

4- عود على تشيخوف في العراق

تلقيت دعوة كريمة من معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم الروسية للمشاركة في مؤتمر الاستشراق في المعهد المذكور، وقد وافقت طبعا على هذه الدعوة للمشاركة في اعمال المؤتمر، فطلبوا مني تحديد عنوان البحث الذي أنوي تقديمه امام المؤتمر، فاجبتهم ان عنوان البحث سيكون - تشيخوف في العراق، واستلمت موافقتهم فعلا، وهكذا بدأت التحضير لالقاء خلاصة هذا البحث في المؤتمر في حدود (15) دقيقة.

لقد أخذت بنظر الاعتبار طبعا الواقع الروسي بشكل عام تجاه موضوعة انتشار الادب الروسي في البلدان العربية عموما والعراق خصوصا، وتذكرت كيف تكلمت استاذة الادب الروسي مرة في مناقشة طالبة من طالباتي السابقات بشأن اطروحتها حول تشيخوف في احدى الجامعات الروسية وطرحت عليها السؤال الاتي - (وهل يعرف العرب تشيخوف كما يجب حتى قررت ان تكتبي اطروحتك عنه؟)، وقد كنت موجودا في قاعة المناقشة تلك بصفة غير رسمية (كضيف مدعو)، فاضطررت ان اطلب الكلمة واقول لها ان الاكاديمي كراتشكوفسكي أشار في الجزء الثالث من مؤلفاته المختارة بستة اجزاء الى ان العرب في فلسطين بدأوا بترجمة قصص تشيخوف اثناء حياته في نهاية تسعينات القرن التاسع عشر، وكان في القاعة ايضا طالب آخر من طلبتي، والذي ناقش اطروحة الماجستير في كلية اللغات حول تشيخوف وباشرافي العلمي، فناديته وسألته امام الجميع - ما هو عنوان اطروحتك في جامعة بغداد ومتى ناقشتها، فأجابني امام القاعة عن سؤالي، واختتمت كلمتي قائلا، ان هذه الوقائع يجب ان يعرفها الشخص الذي يتحدث حول الادب الروسي في العراق وبقية البلدان العربية. لم تستطع تلك الاستاذة ان تجيبني بعد ذلك وبقيت صامتة، وطلب رئيس لجنة المناقشة تسجيل كلمتي في المحضر العلمي للجلسة، رغم اني لم أكن عضوا في لجنة المناقشة تلك.

تذكرت كل ذلك عندما بدأت بالتخطيط لمساهمتي في اعمال مؤتمر الاستشراق المذكور، فاخذت ابحث عن الوثائق الملموسة لتقديمها امام المؤتمرين كي لا تكون كلمتي مثل الكلمات الاخرى التي تمر مرور الكرام على ارض اللئام كما

يقولون، وتذكرت مقالتي بعنوان - (عادل كاظم وتشيخوف)، والتي تحدثت فيها عن مسرحية كتبها الكاتب المسرحي العراقي عادل كاظم مقتبسا قصة تشيخوف القصيرة وعنوانها - (المنتقم) وحوّلها الى مسرحية، والمنشورة في مجلة (المثقف) العراقية في عدد تموز/ يوليو 1962 من القرن الماضي (وهو عمل رائع و مبتكر واصيل بكل معنى الكلمة قام به الكاتب العراقي)، والتي اكتشفتها بالصدفة بين كتبي القديمة في روسيا، وقررت ان اعرض مجلة (المثقف) العراقية تلك امام المؤتمر، وان اهديها في نهاية كلمتي الى معهد الاستشراق كي تبقى في مكتبتهم باعتبارها وثيقة عراقية مهمة جدا عمرها اكثر من خمسين سنة حول تشيخوف في العراق.

قررت ايضا ان ادعو واحدة من طالباتي السابقات، والتي ناقشت اطروحة الماجستير في كلية اللغات بجامعة بغداد عن تشيخوف وباشرافي العلمي في نهاية التسعينات من القرن الماضي (وهي تسكن في موسكو الان مع عائلتها) لكي تتحدث - اثناء كلمتي - لعدة دقائق امام المؤتمر عن اطروحتها تلك والموسومة - (تشيخوف في النقد الادبي العربي)، وقد وافقت فعلا على الحضور والتحدث امام المؤتمر المذكور، وذلك ضمن الشواهد والامثلة حول التعامل العلمي والموضوعي مع تشيخوف في العراق.

تذكرت ايضا ان وفد جامعة بغداد (وكنت أنا من ضمنهم) قد زار جامعة موسكو في نهاية القرن الماضي و أهدى نسخة من اطروحة ماجستير تم انجازها في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات عنوانها - (مسرح تشيخوف في العراق)، وكيف تقبل هذه الهدية بسرور وترحاب عميد معهد شعوب آسيا وأفريقيا التابع لجامعة موسكو آنذاك واعتبرها (هدية كبيرة من العراق) وقال انه سيضع هذه الهدية في المكتبة المركزية لمعهدهم ليطلع عليها الاساتذة والطلبة في المعهد المذكور، و قررت الاشارة الى ذلك في كلمتي.

تذكرت ايضا انني كنت مشرفا علميا على اطروحة ماجستير عنوانها - (الادب الروسي في مجلة الاقلام العراقية)، واننا وجدنا هناك كثيرا من المواد الخاصة بالادب الروسي عندما جردنا اعداد هذه المجلة منذ صدورها في ستينات القرن الماضي، ومن بين تلك المواد وجدنا ان الفنان العراقي بدري حسون فريد قد

حوّل قصة (الحرباء) لتشيخوف الى مسرحية ونشرها في مجلة الاقلام، وهو عمل رائد وكبير (مثل عمل عادل كاظم الذي أشرنا اليه اعلاه) يدل - بما لا يقبل الشك - على التعامل الابداعي والعلمي للادباء والفنانين العراقيين مع نتاجات تشيخوف وتفهمهم العميق لتلك النتاجات .

وتذكرت الدكتور عبد الامير الورد وهو يمثّل على خشبة المسرح في بغداد مؤدّيا دوره في احدى مسرحيات تشيخوف، وكيف انه شرح لي عندما التقيته في جامعة صنعاء ذكرياته عن عمله هذا ولماذا اختار تشيخوف بالذات ، وتذكرت الفنان الدكتور سامي عبد الحميد وحديثه عن تقديمه لاعمال تشيخوف المسرحية عندما كان يدرس الفنون المسرحية في اوربا، وتذكرت الاديب والباحث والاكاديمي العراقي الكبير د. شاكر خصباك، الذي أصدر ببغداد عام 1954 وفي الذكرى الخمسين لوفاة تشيخوف اول كتاب عراقي عن الكاتب الروسي الكبير (وهو ثاني كتاب في العالم العربي عن تشيخوف بشكل عام).

وتذكرت خليل خوري الذي ترجم عن الفرنسية كتاب هنري ترويا الضخم عن تشيخوف وبمراجعة د. علي جواد الطاهر العلمية الصارمة الدقيقة ونشرته وزارة الاعلام في بغداد، وتذكرت د. حياة شرارة التي اصدرت كتابا في بغداد بعنوان تشيخوف بين القصة والمسرحية وقالت لي في حينها ان والدها محمد شرارة هو الذي اقترح عليها عنوان الكتاب المذكور، وتذكرت كتابي الذي ترجمته عن تشيخوف وهو من تأليف ايليا ايرنبورغ وردود الفعل الايجابية حوله، وكيف طبعته طبعة ثانية في بغداد وكيف ظهرت طبعات اخرى له في مصر دون علمي...

بدأت ايضا باعداد قائمة بمقالاتي المنشورة في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية حول تشيخوف في السنين الاخيرة، (واكتشفت!) انها اكثر من ثلاثين مقالة، وقررت ان اطبع عناوين تلك المقالات في قائمة واحدة باللغة الروسية مع الاشارة الى مكان نشرها وتاريخه واوزعها على المؤتمرين كوثيقة من وثائق المؤتمر المذكور اثناء القاء كلمتي تلك...

وبدأت فعلا بتنفيذ كل ما خططت له، ولكن المرض اللعين داهمني، واضطررت ان أرقد في الفراش، وكنت اتمنى ان اتعافى واعود الى تنفيذ عملي،

ولكني لم استطع مع الاسف الشديد، وهكذا اضطررت ان اتصل بمعهد الاستشراق واعتذر عن المشاركة في اعمال المؤتمر المذكور بسبب مرضي اللعين هذا، وقد تأسفوا لذلك وتمنوا لي الشفاء، واعلمني بعض الزملاء الذين شاركوا في المؤتمر ان اسمي وعنوان بحثي كانا موجودين في وثائق المؤتمر ومنهاجه. الان وقد عدت تقريبا الى وضعي الصحي السابق، وتعويضا عن كلمتي تلك، قررت أن أحكي لكم هذه القصة.

5- تماثيل تشيخوف في روسيا

توفي تشيخوف عام 1904، واول تمثال له - ويالللغرابة ! - تم تدشينه في المانيا عام 1908، وفي المدينة التي توفي فيها، أما في وطنه روسيا، فقد نسوه، بسبب الاحداث الجسام التي مرّت بها روسيا منذ ثورة 1905 ثم الحرب العالمية الاولى 1914 ثم ثورة اكتوبر1917 ثم الحرب الاهلية التي اعقبتها ثم المرحلة السوفيتية الصعبة في العشرينات، وتذكرته روسيا في الثلاثينات، عندما استقر الوضع فيها نسبيا، وهكذا ظهر اول تمثال لتشيخوف في المدينة التي ولد فيها وهي (تاغنروغ) في جنوب روسيا عام 1935، وهو تمثال نصفي تم وضعه امام البيت الذي عاش فيه تشيخوف، وقد حضر في حفل افتتاحه اقاربه، وقصّت شريط افتتاح التمثال اخته مارينا، واندهشت (مع زوجته الفنانة المسرحية اولغا كنيبر- تشيخوفا) من دقة تشابه وتطابق التمثال مع ملامح تشيخوف نفسه. وقد تم استنساخ هذا التمثال بعدئذ في معمل البرونز في مدينة تاغنروغ نفسها، ووضعوا النسخة المستنسخة في ساحة المدينة الرئيسة (الساحة الحمراء)عام 1944، الا انهم أزالوه بعدئذ ووضعوا بدلا عنه تمثالا ضخما لتشيخوف عام 1960 بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده، وهو التمثال المركزي (ان صحت التسمية) لتشيخوف في روسيا و لحد الان، وليس من باب الصدفة ابدا، ان سافر الرئيس الروسي آنذاك دميتري مدفيديف خصيصا من العاصمة موسكو الى مدينة تاغنروغ كي يضع باقة ورد عند هذا التمثال، وذلك عندما احتفلت روسيا بذكرى مرور (150) سنة على ميلاد تشيخوف عام 2010، وهو حدث لم يتكرر في تاريخ الادب الروسي ابدا، ولا نرى ان هناك ضرورة للتعليق حول عملية التكريم هذه واهميتها من جانب الدولة الروسية لرجالات الادب والفكر فيها.

التمثال المركزي هذا يقع في مركز مدينة تاغنروغ، ويصوّر تشيخوف جالسا على كرسي وبيده اليمنى كتابا، ويبلغ ارتفاع التمثال اكثر من ثلاثة امتار وارتفاع قاعدته ايضا اكثر من ثلاثة امتار، وتحيطه حديقة غنّاء، وقصة هذا التمثال بدأت عام 1904، اي في سنة وفاة تشيخوف، عندما توجهت مجموعة من وجهاء المدينة بنداء الى مجلس الدوما آنذاك، يطلبون فيه الموافقة على وضع نصب لابن مدينتهم تشيخوف (والتي أصبحت مدينة مشهورة بسببه)، ويعلنون عن

تشكيل لجان لجمع التبرعات اللازمة لتنفيذ هذا المشروع، وقد وافقت السلطات المحلية على هذا الطلب في حينها، وتم جمع تبرعات من اجل تنفيذه، وتم نشر اسماء المتبرعين في الصحف المحلية فعلا، الا ان الاحداث العاصفة في روسيا (كما أشرنا آنفا) حالت دون ذلك، وهكذا تم افتتاح التمثال النصفي امام بيت تشيخوف عام 1935، وعلى الرغم من ذلك، تم وضع حجر الاساس في مركز المدينة لذلك التمثال من قبل اخت تشيخوف، الا ان الحرب العالمية الثانية حالت دون تنفيذه، وهكذا وضعوا نسخة من التمثال النصفي كما مرّ ذكره، وعادوا الى تنفيذ الفكرة عام 1960 في الذكرى المئوية لميلاد تشيخوف.

بدأت تماثيل تشيخوف تتكاثر في المدن الروسية المختلفة، وخصوصا في تلك المدن التي ارتبط بها بشكل او بآخر، واهمها طبعا سخالين، التي زارها كما هو معروف وكتب عنها كتابه الشهير - جزيرة سخالين، اذ تم اولا افتتاح تمثال نصفي له عام 1959 في الكساندرفسكي - سخالينسكي، ثم تمثال نصفي آخر في عام 1975 في جزيرة سخالين نفسها، ثم في مناطق اخرى هناك في أعوام 1990 و1994 و1995 و2000، ثم ظهرت تماثيل اخرى في مدن روسية عديدة منها - تومسك ورستوف وسامارا وميليخوفو ...، ومن الطريف ان نتوقف هنا قليلا عند تمثاله في مدينة تومسك، اذ انه تمثال كاريكاتيري غير اعتيادي بالمرّة، وعنوانه - (انطون تشيخوف بعيون رجل سكران يرقد في ساقية ولم يقرأ قصة كاشتانكا)، ويرى بعض الباحثين ان هذا التمثال الكاريكاتيري جاء مضادا لتشيخوف لانه وصف المدينة في احد ى رسائله وصفا سيئا، ولكن اكثرية الباحثين يرون العكس، ويعتقدون ان مدينة تومسك قدّمت لتشيخوف تمثالا فريدا جدا، اذ لا يوجد في روسيا اي تمثال لاي كاتب بهذا الشكل، وقصة كاشتانكا الشهيرة لتشيخوف (والتي جاءت في عنوان هذا التمثال) تتحدث عن كلبة بهذا الاسم ضاعت من صاحبها ويصف تشيخوف معاناتها وحتى مزاجها، ثم وجدها صاحبها بعدئذ، و يكتب تشيخوف كيف عرفته وعادت اليه، وهي قصة معروفة جدا في اوساط القراء في روسيا وخارجها، وقد كتب ايليا ايرنبورغ مرة عن هذه القصة يقول، ان والدته قد هزّته وهي تخبره عن وفاة تشيخوف وتقول له - (لم يعد موجودا ذلك الانسان الذي كتب قصة كاشتانكا).

ولابد من التوقف اخيرا عند تمثال تشيخوف في موسكو طبعا، هذا التمثال الذي تم تدشينه عام 1998 عندما احتفلت روسيا بالذكرى المئوية الاولى لتأسيس مسرح موسكو الفني، الذي يرتبط بستانسلافسكي ونميروفتش دانتشينكو، المسرح الذي قدّم من جديد مسرحية تشيخوف الشهيرة - (النورس) وأعاد لها المجد (ولا زالت الستارة في هذا المسرح لحد الان تحمل صورة النورس)، وهي قصة معروفة في تاريخ المسرح الروسي والعالمي . تمثال تشيخوف هذا يقف امام بناية المسرح القديمة، وهو من البرونز وقاعدته من الغرانيت الاحمر، ويمثّل تشيخوف واقفا برشاقته وتواضعه وهو في حالة تأمل...

6- قراءة في كتاب روسي عن تشيخوف صادر عام 1939

اقتنيت هذا الكتاب في سبعينيات القرن العشرين بموسكو في مخزن الكتب القديمة، وذهبت به مع مجموعة من كتب اخرى الى دائرة البريد السوفيتي آنذاك لارسالها برزمة الى العراق، ولكن رقابة البريد لم تسمح بارسال ذلك الكتاب بالذات لانه صادر قبل عام 1945، وبالتالي فانه يعد ثروة قومية لا يسمحون باخراجها من الاتحاد السوفيتي حسب تعليمات ذلك الزمان، وهكذا اضطررت ان اعيده معي، وابقيته في موسكو وسافرت، ونسيته طبعا، وعندما عدت الى موسكو بعد حوالي الاربعين سنة، وجدت هذا الكتاب امامي، وكم شكرت - في اعماقي - الرقابة السوفيتية الصارمة آنذاك التي لم تسمح لي بارساله عندها، اذ ان ذلك كان يعني ضياعه ضمن مكتبتي الروسية في بغداد، والتي فقدتها مع الاسف الشديد.

بدأت أتصفح هذا الكتاب، وأقرأ فصوله، وقررت ان أقدم سطورا مختارة منه للقراء تعريفا به لأنه - من وجهة نظري - يستحق ذلك فعلا.

الكتاب من تأليف الباحث السوفيتي المعروف ديرمان، وعنوانه - (انطون بافلوفيتش تشيخوف) وتحت العنوان - عنوان ثانوي هو – (صورة قلمية بيبلوغرافية - نقدية)، واصدرته دار نشر (الادب الفني) الحكومية السوفيتية عام 1939 في موسكو، ويقع الكتاب في 212 صفحة من القطع الصغير، وقد تم طبع 25 ألف نسخة منه. اوراقة اصبحت صفراء اللون، وتفوح منها رائحة (كدت أقول عطر) الورق العتيق، ويقتضي ذلك بالطبع تصفحه باعتناء دقيق وحذرشديد وحب عميق . اقدم للقارئ اولا فهرس الكتاب، وهو الآتي -

الاصول. العائلة / المدرسة الاغريقية والثانوية / الصبا والشباب / سنوات الدراسة الجامعية / بداية النشاط الادبي / تشيخوف - طبيبا / سنوات العمل الخالية من الهموم / سنوات الانعطاف / تألق الابداع / مرحلة ميلوخوفا / تشيخوف - مسرحيا / مرحلة يالطا. موت تشيخوف / ردود الفعل / استاذيته ومهارته الفنية / تشيخوف وعصرنا. وكما هو واضح من الفهرس، فان الكتاب يتناول مسيرة حياة تشيخوف وابداعه منذ ولادته الى وفاته، ويبدو من الوهلة

الاولى انه كتاب اعتيادي يكرر المعلومات المعروفة عن الكاتب ليس الا، ولكن القراءة الدقيقة للكتاب تشير الى غير ذلك، اذ ان الباحث يستخدم مقاطع مختارة ومنتقاة من رسائل تشيخوف ونتاجاته ويربطها بمسيرة حياته بشكل ذكي ومنسجم جدا، ويبدو هذا واضحا من الصفحة الاولى للكتاب، عندما يتحدث الباحث عن مدينة تاغنروغ التي ولد فيها الكاتب، اذ يبتدأ الجملة بمقطع من رسالة تشيخوف الى اخته عام 1887 والتي يصف تلك المدينة كما يأتي - (انها مدينة وسخة وفارغة وكسولة وجاهلة ومملة)، ثم يتوقف الباحث عند افراد عائلته،ويبتدأ من الجد الذي كان قنًا واستطاع ان يشتري حريته ويعتق نفسه، ويتحدث عن عائلة تشيخوف الكبيرة، والعوز المادي لرب العائلة، وكيف ان كل ذلك لم يمنع تشيخوف من اصدار مجلته الفكاهية العائلية عام 1875 ومتابعته للادب المسرحي (شكسبير وغوغول وغريبويديف وأستروفسكي وغيرهم) ومساهماته في النشاط المسرحي للمدرسة، ويعزز كل ذلك بمقاطع من رسائله او رسائل اقاربه واصدقائه، وبودي ان أشير الى مقطع من رسالة تشيخوف الى الكاتب بليشييف عام 1888، والتي يوردها الباحث في نهاية فصل (سنوات الدراسة الجامعية)، وهي رسالة مهمة تحدد سبب عدم ارتباط تشيخوف باي حزب سياسي او حركة سياسية او فكرية محددة في زمانه العاصف آنذاك واحتفاظه باستقلاليته وموقفه المتفرد والمتميز،اذ يكتب تشيخوف ما يأتي - (اني أكره الكذب والاكراه في كل اشكالهما.. ان الغباء والتعسف يسودان ليس فقط في بيوتات التجار، بل اني اراها في العلم والادب وبين اوساط الشباب.. ولهذا فان اقدس المقدسات هي - الجسم الانساني والصحة والعقل والعبقرية والالهام والحب والحرية المطلقة من القسر والكذب.. هذا هو منهجي فيما لو كنت فنانا كبيرا)، وينتقل الباحث للحديث عن بداية النشاط الادبي لتشيخوف ويطرح موضوعا لا زال يمتلك اهميته لحد الان وهو - متى بدأ تشيخوف بالنشر، اذ ان من المعروف انه بدأ عام 1880 ولكن المؤلف يقول ان هناك رأي يشير الى انه نشر اول محاولاته عام 1878، وان هذا الموضوع سيجيب عنه (باحث المستقبل) والذي يبدو اننا لا زلنا ننتظره لحد الآن، ويطرح الباحث هنا ايضا وجهة نظر شخصية تقول ان سنة 1882 هي اول سنة حقيقية في مسيرة تشيخوف الابداعية، وهي مسألة لا زالت تثير النقاشات في اوساط مؤرخي الادب الروسي بشكل عام والمتخصصين في دراسة

ابداع تشيخوف بشكل خاص، وقد حاول الباحث اثبات ذلك الرأي الشخصي، وربط بين افكار ومضامين قصصه القصيرة في تلك السنة وسمات وبنية قصصه لاحقا، ولا مجال هنا بالطبع للتوقف عند تفصيلات هذه الاراء المهمة والعميقة، وعندما ينتقل الباحث الى فصل (تشيخوف طبيبا) يثير نقاطا في غاية الاهمية ترتبط بانعكاس مهنة الطب على طبيعة نتاجات تشيخوف الابداعية، ويستشهد بما قاله تشيخوف نفسه عام 1899 حول ذلك - (ان دراستي للعلوم الطبية قد امتلكت تأثيرا جدّيا على نشاطي الادبي، لانها وسّعت مجال ملاحظاتي وأغنتني بالمعرفة.. وانني بفضل العلوم الطبية استطعت ان أتجنب الكثير من الاخطاء..)، ويتوقف الباحث عند نقطة مهمة في تاريخ دراسة العلاقات المتبادلة بين العلوم الانسانية والعلوم الصرفة، ويشير الى ان تشيخوف قد سخر من الرأي الذي يؤكد ان العلوم الصرفة تعرقل خيال الكاتب وتعيق انطلاقاته الفنتازية، وكتب بهذا الخصوص ان الانسان الذي يفهم الدورة الدموية يصبح أغنى وأعمق، تماما مثلما يصبح أغنى وأعمق عندما يفهم تاريخ الاديان او قصيدة بوشكين المشهورة - (أتذكر اللحظة المدهشة..)، ويختتم الباحث هذه الافكار بالاشارة الى قول تشيخوف حول هذا النقاش - (ان معرفتي بالعلوم الطبية قد جعلتني معتمدا على الوقائع العلمية، وانني أفضل الصمت وعدم الكتابة عندما لم تكن هناك امكانية ذلك..)، مستشهدا بمثال غوته الشاعر، الذي يجسّد في الوقت نفسه - وبشكل هارموني رائع - غوته المتخصص بعلوم الطبيعة. ان الفصل الخاص ب- تشيخوف طبيبا في هذا الكتاب بحد ذاته يصلح ان يكون موضوعا مستقلا ومتميزا في مجال دراسة العلاقة المتبادلة بين العلم والادب بشكل عام، وهو موضوع كبير ومهم في مسيرة البحث العلمي في العالم.

لا يمكن اختصار الفصول الاخيرة للكتاب او التعبير عنها بكلمات وجيزة لاهميتها وعمقها، ولا تتحمل طبيعة هذه المقالة ذلك، اذ كيف يمكن ان نختصر سنوات الابداع والتألق وخصائص مسرح تشيخوف ووفاته وردود الفعل تجاه ذلك في الصحافة الروسية آنذاك وسمات ابداعه وموقعه الآن في اطار عصرنا الحديث؟؟؟ ولكن - مع هذا - يجب القول ان النقد الادبي الروسي عندها لم يستطع استيعاب الروح التجديدية لابداع تشيخوف، ولم يستطع ان يتفهم ان تشيخوف هو كلمة جديدة في مسيرة الادب الروسي والعالمي، وهذا موضوع

يتطلب الدراسة العميقة والمتأنية طبعا، ويمكن لهذا الكتاب ان يكون أحد تلك المصادر في هذه الدراسات. الشئ الوحيد الذي يمكن ان نختصره هنا - هو ان هذا الكتاب لا زال مهما وحيويا في الدراسات النقدية حول تشيخوف رغم انه صادر عام 1939.

7- حول قصة تشيخوف القصيرة: موت موظف

تتحدث القصة عن موظف يعطس اثناء عرض في المسرح، ويتطاير الرذاذ على قفا الشخص الجالس امامه، ويعرف انه موظف كبير، ويعتذر منه، ولكنه يظن انه لم يتقبل اعتذاره، فيعتذر منه مرة اخرى واخرى ويذهب اليه في اليوم التالي وهكذا يضطر الموظف الكبير هذا في نهاية المطاف الى طرده شر طردة، فيرجع الموظف البائس الى بيته ويموت. هذا هو مضمون قصة تشيخوف القصيرة - (موت موظف) التي تقع في صفحتين ونصف من القطع المتوسط وتتكون من 670 كلمة ليس الا، وقد كتبها عام 1883 عندما كان عمره 23 سنة وكان لا يزال طالبا في الكلية الطبية في جامعة موسكو، ونشرها في مجلة (اسكولكي) (الشظايا) (1883 العدد 27 في 2تموز / يوليو) وهي احدى المجلات الفكاهية من الدرجة الثانية ووقّعها باسم مستعار هو - تشيخونتيه، ومع ذلك، ورغم ذلك، فان هذه القصة القصيرة التي ظهرت قبل 130 سنة لازالت تنشر ويعاد طبعها وتترجم الى لغات اجنبية عديدة، منها لغتنا العربية، وقد صدرت بالعربية تحت عناوين مختلفة وهي - موت موظف / وفاة موظف / موت الموظف (وهي ترجمة غير دقيقة لانها تلغي صفة التعميم التي رسمها تشيخوف / واخيرا بعنوان الرجل الذي عطس، وهي ترجمة غير صحيحة (رغم انها طريفة فعلا) وذلك لانها تركّز على الجانب الكوميدي للقصة متناسية انها تنتهي بموت بطلها نتيجة رعب الانسان الضئيل والمسحوق وخوفه الكامن في اعماقه من كل ما يحيطه بالحياة بسبب العبودية المتجّذرة في روحه، وان تشيخوف منحها هذا العنوان تأكيدا على هذه الفكرة بالذات.

ان اساس هذه القصة يكمن في نكتة كانت تتردد في اوساط المسرحيين الروس آنذاك، وهي ان احدهم اراد ان يسخر من رجل متنفّذ كان موجودا في احد المسارح فوطأ على قدمه وكأنما حدث هذا بشكل عفوي، واعتذر منه، واستمر بزيارته والاعتذار منه يوميا، وفي نهاية المطاف غضب هذا الرجل وفهم ان هذا العمل كان متعمدا للسخرية منه وطرد الفاعل شرّ طردة. وهناك حادث آخر سمعه تشيخوف عندما كان في مدينته تاغنروغ (حيث ولد وانهى المدرسة ثم انتقل للدراسة في جامعة موسكو)، وخلاصة هذا الحادث هو انتحار موظف

عندما احالوه الى المحكمة بتهمة (خرق الانضباط)، اي الاساءة الى موظف اعلى منه، وقد حاول ذلك الموظف ان يعتذر - ولعدة مرات - ولكن دون جدوى، وهكذا وجدوه وقد شنق نفسه منتحرا.

حاول تشيخوف ان يوحِّد في قصته كل تلك الاجواء مع الحفاظ على جوهرها، وقد اضفى عليها مهارته الفنية بالطبع، وهكذا الغى تعمّد الخطأ وجعل الموظف يعطس في المسرح ليس الا، وهي التفاتة دقيقة، اذ ان العطاس لا يمكن ان يكون مقصودا، وقد اشار تشيخوف الى ذلك في متن قصته بشكل كوميدي (ولكنه كان من الواضح انه يريد بهذا ان يؤكِّد ذلك) وهكذا نقرأ في نص القصة الجملة الاتية - (..وفجأة تقلص وجهه، وزاغ بصره، واحتبست انفاسه.. وانحنى و... اتش!!! عطس كما ترون. والعطس ليس محظورا في اي مكان. اذ يعطس الفلاحون ورجال الشرطة وحتى احيانا المستشارون..) اي ان تشيخوف تخلّص من الافتعال المصطنع في الحادثة الاولى، وتخلّص تشيخوف ايضا من ارتباط الموظف بموظف اعلى منه في نفس دائرته كما في الحادثة الثانية، وهكذا نقرأ في النص (انه ليس رئيسي، بل غريب،ولكن مع ذلك ينبغي ان اعتذر)، وحافظ تشيخوف على الاجواء الاخرى من الاعتذار المتكرر المنسجم مع طبيعة بطله وتبريره المنطقي لهذا الاعتذار من وجهة نظره، وبالطبع حافظ تشيخوف على غضب الموظف الكبير من تكرار الاعتذار واعتبره سخرية منه وطرده شر طردة كما في الحادثة الاولى، وكذلك حافظ على النهاية التراجيدية للقصة بموت الموظف، متخلصا من عملية الانتحار كما في الحادثة الثانية، وقد استطاع تشيخوف وبمهارة عالية وبضربة معلِّم (كما يقال) ان يحقق ذلك، اذ ان القارئ كان يتابع ديناميكية الاحداث المضحكة للقصة ولم يكن يتوقع بتاتا ان تنتهي بموت الموظف، ولهذا فان القارئ لم يستطع استيعاب تلك النهاية التراجيدية، ولكن تشيخوف انهى القصة بجملة صغيرة وحاسمة جدا وهي - (دخل بيته بصورة آليّة، ودون ان يخلع بدلته ارتمى على الاريكة و.. مات..)، مستخدما كلمة واحدة فقط لا غير تشير الى موته وهي كلمة - (مات)، وهكذا تنتهي القصة. لقد تحدث تشيخوف في مسيرته الابداعية عن عنصر (الاختصار) في الادب، وهناك قول له أصبح الآن مثلا وهو - (الاختصار - شقيق العبقرية)، وهناك حديث لتشيخوف مع مكسيم غوركي، ينتقد فية الاخير على اسلوبه

التفصيلي بالوصف، وقد اجاب تشيخوف مرة عن سؤال حول اجمل وصف للبحر من وجهة نظره، فقال انه وجده في دفتر الانشاء لاحدى تلميذات مدرسة اذ انها كتبت هناك الجملة الاتية - (كان البحر كبيرا..). ان نهاية تلك القصة تتطابق مع مفهوم تشيخوف الذي سيتبلور لاحقا، وهو الذى عبِّر مرة عنه بشكل هزلي قائلا ان على ادباء القصة ان يحذفوا نصف ما يكتبون في قصصهم قبل نشرها.

8- حول قصص تشيخوف المبكرة

تكمن أهمية تشيخوف بالدرجة الأولى في خلقه أشكالا جديدة في الأدب، ولهذا السبب بالذات لم يستطع النقد الأدبي الذي عاصره أن يضع تشيخوف في مكانه الطبيعي، لان هذا النقد لم يستطع أن يتقبل ويستوعب تلك الأشكال الأدبية الجديدة، التي أعطاها هذا الفنان الكبير، ومع ذلك، فان بعض النقاد والأدباء الذين عاصروا تشيخوف أشاروا إلى ذلك، ولعل أبرزهم هو تولستوي (كاتب الأرض الروسية العظيم)، الذي استطاع بسهوله - عبر تجربته الفنية الهائلة والغنية - أن يجد الشئ الذي لم يستطع النقد آنذاك تحديده، واعني خلق الأشكال الأدبية الجديدة . فبعد موت تشيخوف عام 1904، أقام الأدباء تأبينا له في موسكو، وكان تولستوي في مقدمة المدعوين، إلا انه رفض المجئ إلى موسكو والمشاركة في تأبين تشيخوف، كما رفض من قبل المشاركة في الاحتفالات بذكرى بوشكين رغم مشاركة أدباء روسيا الكبار مثل دستويفسكي و تورغييف فيها. وبعد رفض تولستوي المشاركة في التأبين، سافر احد الصحفيين الروس إلى (ياسنايا بوليانا) ليسأل عن سبب ذلك، وهل إن هذا يعني عدم تقدير منه لتشيخوف ؟ وأوضح تولستوي في هذه المقابلة انه ضد كل أنواع المظاهرات وحفلات الخطابة، خصوصا إذا كانت في تكريم الموتى، وانه لهذا السبب رفض الدعوة . وتكلم تولستوي بعدها كثيرا عن تشيخوف، واسماه (فنان الحياة) وقال بالنص: (لقد خلق تشيخوف أشكالا جديدة في الكتابة، وأوكد أنا بدون أي تواضع كاذب، إن تشيخوف في تكنيك الفن أعلى مني كثيرا، وانه كاتب فريد من نوعه...) وعلى الرغم من كلمات تولستوي هذه ضاعت في حينها وسط مئات الكلمات وعشرات الكتب التي ظهرت بعد وفاة تشيخوف، إلا أنها تمتلك ألان أهمية خاصة، إذ أن الدراسات الكثيرة لنتاج تشيخوف، والتي ابتدأت منذ خطواته الأدبية الأولى ولم تنته بعد، والمكانة التي يشغلها هذا النتاج في كل أنحاء العالم، كل هذا جعل من كلمات تولستوي تقويما حقيقيا اثبت الزمان صحته. وسنتكلم هنا عن شكل واحد من هذه الأشكال الجديدة في أدب تشيخوف، وهو شكل القصة القصيرة.

كانت القصة القصيرة مزدهرة في الأدب الروسي قبل تشيخوف، فقد كتب بوشكين بعض القصص القصيرة، وكذلك ليرمنتوف وغوغول وتورغييف،

ولكنهم جميعا لم يتفرغوا لهذا النوع في الأدب، وبقيت محاولاتهم مبتورة، خصوصا وأنهم اشتهروا بأنواع أدبية أخرى واستمروا بها. أما تشيخوف، فقد بدأ بالذاتفي هذا المجال، واستمر طوال حياته بكتابة القصة القصيرة، واستطاع خلال هذا العمل الطويل إن يبلور هذا النوع ويجعله يقف بجدارة جنبا إلى جنب مع الرواية والرواية القصيرة. وتشيخوف يذَكر ببوشكين في الشعر الروسي، فمن المعروف إن بوشكين هو بداية كل البدايات في الأدب الروسي (حسب تعبير غوركي) فقد قدَم أعمالا في الشعر والمسرحية والقصة والرواية والنقد والصحافة الأدبية....الخ، ولكنه برز قبل كل شي في مجال الشعر، وأطلق عليه النقاد محقين اسم (شمس الشعر الروسي)، ولايعني هذا بالطبع، انه لم يكن هناك شعر و شعراء قبل بوشكين، إذ كان يوجد في روسيا الكثير من الشعراء الكبار، ولكن بوشكين استوعب تجربتهم، وعمقها، ومنحها روحا وأبعادا جديدة بفضل عبقريته وثقافته الواسعة، وهذا هو الذي حدث لتشيخوف، إذ انه استوعب التجارب السابقة في القصة القصيرة، ومنحها روحا وأبعادا جديدة. ولكن الطريق التي سلكها تشيخوف كانت أصعب من تلك التي سلكها بوشكين، فقد ابتدأ تشيخوف نشاطه الأدبي في بداية ثمانينات القرن التاسع عشر، أي بالذات في عصر انتصار الرواية على كل أنواع الأدب الأخرى، إذ تعود القراء، بعد دستويفسكي و تولستوي و تورغييف على الرواية، وأصبحت الرواية المحك الرئيس والأول لعبقرية أي كاتب. ولهذا، عندما ابتدأ تشيخوف بكتابة القصة القصيرة، تقبلها القراء والنقاد على حد سواء - على أنها محاولات غير جدية في الأدب. وقد تذَكر تشيخوف في أواخر حياته، كيف إن محرري الصحف كانوا يتساءلون بسخرية، عندما كان يقدم لهم تلك الأعمال: (ماذا، هل هذا أدب؟ إنها اقصر من منقار الطير.) ولكن إصرار تشيخوف على الكتابة بهذا الشكل جلب أنظار النقاد إليه، إذ أنهم وجدوا في ثنايا تلك القصص عبقرية متميزة. وبدأت سلسلة طويلة من النصائح والإرشادات: اكتب رواية يا تشيخوف، اكتب شيئا كبيرا، اترك القصة القصيرة لان عبقريتك سوف تموت فيها، وحرام عليك أن تضيَع عبقريتك في هذه الأشياء الصغيرة ...الخ...الخ... ولكن تشيخوف لم يستمع لهم، ولم يكتب رواية خلال حياته الأدبية، واستطاع خلال هذا (العناد) أن يحصل على اعتراف

الآخرين به وبالقصة القصيرة، واستطاعت القصة القصيرة عبر هذا (العناد) أن تجد مكانها في الأدب الروسي، وربما العالمي أيضا...

ما هي صفات وخواص هذا النوع الذي بلوره تشيخوف وقدمه للأدب؟

قبل كل شئ، ألغى تشيخوف البداية التقليدية في القصة القصيرة، فلا يوجد هناك كلام عن الطبيعة ولا خواطر واسترسالات، ولا تقديم كبير ومطول ومفصل للشخوص ومكان الحدث وزمانه...الخ . إن بداية القصة القصيرة عند تشيخوف صغيرة ومختصرة ومركزة، تذَكر بدفتر ملاحظات ليس إلا: (مستشفى. صباحا. المضمد يستقبل المرضى، لان الطبيب ذهب للصيد) أو: (الساعة الثانية عشرة ليلا. دخل ميتيا كولداروف إلى شقة أبويه راكضا...) وهكذا بعد جملة أو جملتين يبدأ الحدث. ولكن أي حدث؟ انه بسيط، بسيط لدرجة غريبة، بسيط لدرجة لا يستطيع الناقد حتى إن يلخصه أو يتحدث عنه خارج إطار القصة. في قصة عنوانها (نسى)، مثلا، يدور الحديث عن شخص دخل مخزن النوتات الموسيقية، ولكنه نسي تسمية النوتة التي يريد أن يشتريها، وبعد أن يأس من التذكر، خرج من المخزن خائبا، وفي الشارع تذكَر اللحن، فرجع راكضا إلى المخزن واشترى النوتة المطلوبة، وهذا هو كل شئ . وفي قصة (المنتقم) يدور الحديث عن زوج يريد شراء مسدس كي يقتل زوجته وعشيقها، وفي أثناء عرض البائع لأنواع من المسدسات المختلفة، يغيَر الزوج خططه، فمرة يقرر قتل العشيق، ومرة يقرر قتل الزوجة، ومرة الانتحار، ولكنه في النهاية يقرر عدم قتل أي شخص، ويرفض شراء المسدس، وتنتهي القصة. وهكذا نرى، أن الحديث في هاتين القصتين لايمكن أن يثير القارئ الذي لم يطلع على أجواء تشيخوف الأدبية، إذ انه لايفهم أين تكمن الجمالية في هذه القصص. ومع ذلك، فان هاتين القصتين لازالتا لحد ألان - مع معظم القصص الأخرى بالطبع - من أحب النتاجات الأدبية لقلوب القراء، في روسيا، أو في خارجها.

لقد كتب تشيخوف مئات القصص القصيرة، وشملت مواضيعها كل شئ تقريبا، لدرجة أن احد النقاد قال عنها، بأننا نستطيع إعادة روسيا - في حالة اختفائها من الوجود - على أساس قصص تشيخوف. وعلى الرغم من هذه السعة، فإننا لانجد في تلك القصص أشياء غير اعتيادية أو غير طبيعية، أو أحداثا تتناقض مع

الوتيرة اليومية للحياة الإنسانية، ولعل البساطة - وهي صفة استمرت عند تشيخوف طوال حياته الفنية - هي ابرز صفات هذه القصص. وقد كتب كوبرين في ذكرياته، كيف أن تشيخوف كان يؤكد له دائما مايأتي: (لماذا يكتبون هذا ؟.... شخص ما يسافر إلى القطب الشمالي ليبحث عن تعاطف ما مع الناس، وعندما تسمع حبيبته، ترمي بنفسها وتنتحر.... ان كل هذا كذب، ولا يحدث في الواقع . يجب الكتابة ببساطة، كيف أن بيوتر سيمونوفتش تزوج ماري ايفانوفنا، وهذا كل شئ.) وقد طالب احد النقاد أن يؤخذ القلم من أيدي تشيخوف، وإلا فانه سيوصل الأدب إلى أن فلان تزوج فلانة وتزوجا، وعاشا بشقاء . وضحك تشيخوف عندما قرأ ذلك وقال: (ولكن، ما العمل، إذا كان هذا هو الواقع فعلا؟) وأكد ناقد آخر أن تشيخوف يقف على حافة الفن، وان خطوة واحدة صغيرة ويصبح فن تشيخوف لا فنا . ولكن تشيخوف استمر يسير، وبجرأة نادرة، على هذه الحافة وهو يسخر من نقاده واستطاع ألان فعلا أن يقودهم إلى مواقف لايحسدون عليها . إن الحديث عن بساطة تشيخوف حديث طويل، ولايمكن لهذه الملاحظات السريعة أن ترسم صورة متكاملة لها، ولكني سأحاول اختتام هذه الملاحظات بمثال من قصة تشيخوف الساخرة الموسومة (البدين والنحيف) والتي تعتبر مثالا نموذجيا لفن تشيخوف القصصي شكلا ومضمونا، وقد نشرها عام 1883، عندما كان عمره 23 سنة، وهي تتحدث عن لقاء عابر في إحدى محطات القطار بين بدين (خرج لتوه من مطعم المحطة) ونحيف (خرج لتوه من القطار)، ويتذكر الواحد الأخر، إذ أنهما كانا يدرسان سوية في المدرسة . ويصف تشيخوف بسرعة ومن خلال حوار معبَر حرارة هذا اللقاء وبساطته وصدقه. ويبدأ النحيف بتقديم زوجته وابنه، ويذكر للبدين انه موظف صغير، وانه منقول إلى الدائرة الفلانية، التي يقال إن رئيسها حيوان، وهنا ينتفض البدين (مثل الديك الرومي) ويقول بلهجة آمرة: (هذا إذن أنت الموظف المنقول إلى دائرتي. لماذا تأخرت بهذا الشكل في الالتحاق بالعمل؟) ويبدأ النحيف بعد هذه المفاجأة باللف والدوران، وتختفي الكلمات البسيطة عن ذكريات الطفولة والصداقة، وتحل محلها جمل طويلة عريضة مليئة بالاعتذارات (لصاحب الفخامة) وفي إطار هذا الموقف المحرج، لايدري النحيف كيفية التصرف، فيقدم زوجته وابنه مرة أخرى بلهجة رنانة، وبصورة مضحكة للقارئ، إذ لايستطيع النحيف من كثرة الجمل الاعتراضية أن

ينهي الجملة، ويتركها هكذا وينتقل إلى جملة أخرى، وهكذا ينتهي اللقاء - والقصة بالتالي - بوداع فاتر بين أصدقاء الطفولة. ولكن تشيخوف بعد ثلاث سنوات من نشر هذه القصة، وعندما كان في مرحلة إعداد مجموعته القصصية الثانية، أبدل هذا الافتعال الواضح في لقاء الموظف المنقول لرئيس دائرته بالذات، وجعل اللقاء يتم ببساطه بين النحيف الذي أبقى على خواصه تلك مع حذف الجملة عن رئيسه الجديد، وبين البدين الذي جعله موظفا كبيرا وحسب، بدون أي علاقة بدائرة النحيف. ومع هذا، فعندما يسمع النحيف بوظيفة البدين (يتحجر)، ويبدأ الحديث رأسا بتلك الكلمات الرنانة مع (صاحب الفخامة) بعد بساطة وصدق الحديث أول اللقاء، على الرغم من أن البدين يعلن عدم رضاه ويذكّره بأنهم أصدقاء الطفولة، لكن النحيف يرفض ذلك ويستمر بحديثه المفتعل ويعيد تشيخوف نفس نهاية القصة. إن نموذجية هذه القصة تأتي بالذات من هذا التعديل الذي ادخله الكاتب، والذي حذف فيه لقاء الموظف الجديد برئيس دائرته، جاعلا الأحداث تسير بشكل طبيعي وقد عكس هذا التعديل كل متطلبات تشيخوف تجاه القصة القصيرة وطريقة بنائها، والتي يمنك تلخيصها بما يلي:

بداية مركّزة ومختصرة، ثم تطوّر لحدث بسيط دون افتعال، أما خواص الأبطال فإنها تتبين للقارئ عبر أحاديث هؤلاء الأبطال وتصرفاتهم دون تدخل من جانب الكاتب، عدا إيماءات صغيرة هنا وهناك، يعطيها القاص في وقت ملائم ومحسوب، ثم نهاية لا تتعارض مع تطور الحدث البسيط ولا تشكل خرقا لما يحدث أو يمكن أن يحدث في مثل هذه الأحوال، على الرغم من عدم توقع القارئ لها في كثير من الأحيان.

إن قصص تشيخوف القصيرة، التي ابتدأ بها حياته الأدبية تعتبر جزءا هاما في مجمل إبداعه، وقد كان الكاتب الروسي الكبير ايفان بونين أول أديب روسي حائز على جائزة نوبل للآداب محقا عندما قال، بأنه حتى لو أن تشيخوف لم يكتب شيئا عدا قصصه الأولى تلك، فأنه سيكون باستطاعتنا أن نقول: إن عبقرية مدهشة أضاءت في سماء الأدب الروسي، وانطفأت قبل أوانها.

9- بوشكين وتشيخوف

ولد بوشكين في العام 1799، وهو من عائلة نبلاء، وبرز عندما كان في المدرسة، وتنبأ له الجميع بمستقبل ادبي زاهر، اما تشيخوف فقد ولد في العام 1860، وكان جده من الاقنان، الذين استطاعوا شراء حريتهم، وكان ابوه تاجرا صغيرا افلس واضطر ان يغادر مدينته تاغنروغ هربا من الدائنين، وترك ابنه انطون وحيدا هناك، واستطاع الابن ان ينهي المدرسة ويلتحق في كلية الطب في جامعة موسكو بجهوده الفردية وعمله وكفاحه، وبدأ انطون تشيخوف منذ عام 1880 بنشر قصصا فكاهية صغيرة في مجلات الدرجة الثانية الروسية كي يحصل على بعض النقود التي تعيله في الدراسة والمعيشة.

لم يحلم تشيخوف يوما - ما ان يكون اسمه جنب اسم بوشكين، اذ ان الاخير اصبح ومنذ ظهوره الاسم الاول والاكبر في مسيرة الادب الروسي وتاريخه، وقد اعترف كل ادباء روسيا الكبار بهذا ابتداء من ليرمنتوف وغوغول وتورغينيف ودستويفسكي وتولستوي ووو..،ولكن بعد وفاة تشيخوف في العام 1904، اطلق تولستوي جملة بسيطة وعميقة في آن واحد،قال فيها ان تشيخوف هو - بوشكين في النثر، واوضح تولستوي فكرته هذه كما جاء في شهادة الناقد لازاريفسكي في احدى مقالاته التي نشرها في موسكو عام 1909 تحت عنوان (عن تولستوي) هكذا - (كل شخص يقدر ان يجد في قصائد بوشكين شيئا - ما عاشه هو نفسه او عاناه، وفي قصص تشيخوف يجد القارئ حتما نفسه وافكاره). ان اقوال تولستوي لم تأت طبعا من فراغ، وانما جاءت مستندة الى خبرته وتجربته الغنية في الابداع الفكري.

لقد حاول النقاد والباحثون تطوير هذه الافكار، واخذوا يقارنون بين نتاجات تشيخوف وبوشكين، واكتشفوا ان الشئ الرئيسي والاساسي الذي يوحدهما هو مفهومهما للادب بشكل عام، فمن المعروف ان بوشكين لم يعلن نفسه معلما اخلاقيا للاخرين، ولم يوظف مؤلفاته لتوجيه القراء واقناعهم بافكاره ومثله العليا كي يحذوا حذوه، ولم يحول ادبه الى تعاليم فلسفية واجتماعية كما فعل ذلك كبار الادباء الروس من بعده مثل غوغول وتورغينيف ودستويفسكي وتولستوي. ان هدف الشعر بالنسبة لبوشكين - هو الشعر نفسه،الذي ينطلق من (الدقة

والايجاز)، كما عبر بوشكين نفسه مرة،وكل هذه الصفات تنطبق على تشيخوف ايضا، الذي كان يؤكد بانه يريد ان يكون (فنانا حرا فقط) ولم يرغب ابدا ان يحول مؤلفاته الى محكمة تصدر الاحكام على ابطاله، بل كان يصر على ان يكون شاهدا موضوعيا لما يجري حوله، ويترك الحكم للقارئ ليس الا.

يتميز بوشكين وتشيخوف ايضا في كونهما قد طرحا في ادبهما الحوادث البسيطة والاعتيادية دون اطار فلسفي معمق وحوارات فكرية مطولة بين الابطال، وهي الصفات التي تميّز بها بقية كبار الادباء الروس كما هو معروف، ولعل التوقف قليلا عند رواية بوشكين - (يفغيني اونيغين)الشعرية، حيث البساطة في المضمون، والاسلوب الشفاف وتقنيته، ومقارنتها بقصة تشيخوف - (السيدة ذات الكلب الصغير)، والتي تتضمن نفس تلك الخصائص، يمكن ان توضح هذه التشابه والتناغم الفكري بين بوشكين وتشيخوف.

ان رواية (يفغيني اونيغين) هي العمل الفني المركزي عند بوشكين وهي قمة ابداعه الادبي، هذه الرواية التي اسماها الناقد الادبي الكبير بيلينسكي - (موسوعة الحياة الروسية)، والتي يمكن القول ان الشعب الروسي لحد الان يعرفها ويطالعها ويتغنى بها ويستشهد بابيات منها بغض النظر عن المستويات الثقافية والفكرية المختلفة . ان مجمل مضمون هذه الرواية يكمن في قصة حب فتاة شابة كتبت لحبيبها يفغيني اونيغين رسالة،تفصح فيها عن حبها له، ولكنه لم يتقبل ذلك، وتمضي السنوات ويلتقيان مرة اخرى، فيبدأ هو بملاحقتها، ولكنها تجيبه بشجاعة وامانة انها لا تزال تحبه لكنها متزوجة الان وبالتالي ترفضه. ولم يضع بوشكين لهذه الرواية اي نهاية، وابقاها هكذا (مفتوحة) ليس الا. وهذا كل شئ في تلك الرواية، والسؤال هو - لماذا اصبحت هذه الرواية (موسوعة) الحياة الروسية؟ والجواب - لأن بوشكين كتب فيها باسلوبه السهل الممتنع عن كل تفاصيل الحياة اليومية الروسية، واذكر مرة اندهاشي، عندما كنت اتحدث مع امراة روسية مسنّة اعطتني نوعا من انواع المربى وقالت لي انها مذكورة في رواية يفغيني اونيغين، واذكر ايضا ما قاله لي احد المترجمين الروس مرة، مجيبا على اعتراضي لاستخدامه مفردة انكليزية في سياق الجملة الروسية قائلا، ان بوشكين استخدم كلمة انكليزية في سياق روايته تلك، وقرأ مقطعا من

الرواية،حيث يخاطب بوشكين شخصا اسمه شيشكوف، كان لغويا روسيا متزمتا، ويعتذر منه بمرح لانه استخدم مفردة انكليزية لا يعرف كيف يترجمها، وقال لي المترجم الروسي - اذا كان بوشكين قد عمل ذلك فلماذا لا اعمل انا ذلك؟ ولا اريد الاستطراد اكثر في هذه المجال المتشعب والكبير، ولكني اود الانتقال الى الحديث عن القصة الطويلة (السيدة ذات الكلب الصغير) لتشيخوف. ان مضمون هذه القصة يتناول لقاء رجل متزوج بامرأة متزوجة، وقصة حبهما فيما بعد، وتنتهي القصة ببكاء مرير من البطلة التي لا تجد مخرجا لهذا الحب وكلمات باهتة للبطل ليس الا، اي ان تلك القصة (كما هو الحال في قصصه الكثيرة الاخرى) تبقى دون نهاية محددة، بل تمتلك نهاية مفتوحة لكل الاحتمالات (مثل نهاية يفغيني اونيغين)، ولكن هذا المضمون البسيط لهذه القصة لم يمنعها ان تصبح واحدة من اجمل نماذج الادب العالمي والتي تحولت الى فيلم سينمائي شهير وترجمت الى عشرات اللغات الاخرى ولا زالت واحدة من القصص التي تطبع وتنتشر بين القراء، ومن الطريف ان نشير هنا الى انها قد تحولت الى نصب في مدينة يالطا، التي تعارفا فيها البطل والبطلة اثناء عطلة الصيف، ويقف هذا النصب الان على كورنيش المدينة واصبح معلما من معالم مدينة يالطا. ولا يمكن الاستطراد اكثر في هذا المجال، ولكن يمكن الاستنتاج، ان اسلوب البساطة المتناهية بالمضمون والشكل في الادب الروسي، الذي بدأه بوشكين قد انبعث واستمر - بعد انقطاع في مسيرة هذه الادب - عند تشيخوف بالذات، وان خطا فكريا وفنيا واضحا قد تبلورفي هذا الادب، ويمثله ويجسمه بحق بوشكين وتشيخوف.

هناك بالطبع صفات مشتركة اخرى بينهما، لعل اهمها هو التقارب في اسلوب الكتابة وتقنيتها، فكلاهما كانا يؤكدان على استخدام التفاصيل الدقيقة والصغيرة لابطالهما، كي يوصلا للقارئ صفات هؤلاء الابطال، متجنبين الوصف التفصيلي والشرح الفائض للمزاج الروحي لهؤلاء الابطال، وكل ذلك كان يتطلب استخداما واسعا جدا للمفردات اللغوية واشتقاقاتها، لدرجة جعلت مكسيم غوركي يشير، الى ان مؤرخي الادب الروسي سيقولون، ان هذه اللغة قد وضع اسسها كل من بوشكين وتورغينيف وتشيخوف.

ان موضوعة بوشكين وتشيخوف متشعبة جدا في دنيا النقد الادبي الروسي، ومن الطريف ختاما ان نشير هنا الى مقالة كتبها اندريه بيتوف - رئيس نادي القلم في روسيا بعنوان مثير هو (جدي تشيخوف وجد جدي بوشكين)، يتناول فيها التناغم الجميل بين الاديبين، ويعتبر بوشكين ممثلا لظاهرة المستوى الثقافي العالمي في الانسان الروسي، اما تشيخوف فانه يجسد ظاهرة التحضّر في المثقف الروسي، مؤكدا عدم وجود (افكارا عارية) لديهما، وان اسلوبهما هو رمز الحفاظ على نظافة البيئة الادبية واللغوية.

10- تشيخوف وغوغول

تشيخوف وغوغول - علمان من اعلام الادب الروسي والعالمي ايضا، وعلى الرغم من ان تشيخوف ولد عام 1860، بينما توفي غوغول عام 1852، الا ان نقاد الادب، وبالذات الادب المقارن، غالبا ما يربطون هذين الاسمين معا، او بالاحرى يربطون اسم تشيخوف باسم غوغول، ويجدون في نتاجاته بعض عناصر التناغم مع نتاجات غوغول، وهذا ما سنحاول الكلام عنه في هذه المقالة الوجيزة.

النقطة الاولى (التي يتوقف النقد الادبي الروسي عندها عادة بشأن موضوعة تشيخوف وغوغول) تتناول الموقف المشترك بينهما بشأن رسم شخصية الانسان المسحوق والمغلوب على أمره والبائس في المجتمع الروسي في القرن التاسع عشر، والذي يترجم بعض المتخصصين العرب ترجمة حرفية من اللغة الروسية الى العربية تسمية النقد الادبي الروسي لهذه الظاهرة بالشكل الآتي - (الانسان الصغير)، وهي ترجمة ليست خاطئة بالطبع ولكنها غير دقيقة ولا يمكن لها ان تعبر تعبيرا صحيحا وشاملا عن المعنى الكامن في التعبير الروسي بالنسبة للقارئ العربي، اذ ان المصطلح الروسي (الانسان الصغير) يعني ذلك الشخص الذي تسحقه هموم الحياة اليومية والذي تجعله خائفا ومرتعبا دائما امام تلك القوى الهائلة التي تسيطر على مسيرة حياة المجتمع بشكل عام، والتي لا يستطيع هذا الشخص ان يقف ضدها او يقاومها او حتى ان يغيّر واقعها ولو بشكل - ما، وقد ابتدا بوشكين (باعتباره بداية البدايات كما اسماه غوركي) بالكتابة عن هذه الشخصية و رسم تلك الصورة الفنية والواقعية في الادب الروسي في قصته المعروفة - (ناظر المحطة)، ولكن غوغول بالذات هو الذي منحها تلك الروحية والنكهة العالمية والسمات الواضحة المعالم في قصته العظيمة - (المعطف) والتي اعطت للادب الروسي و للعالم باجمعه شخصية اكاكي اكاكيفتش، والذي لا يزال يعيش بيننا و يطرق ابواب عالمنا يوميا لحد الان (خصوصا في بلداننا العربية مع الاسف)، والذي يتحدث عنه الكثيرون في الادب والفن وفي كل جوانب الحياة الاخرى، والذي ارتبطت به تلك الجملة الشهيرة عالميا لدستويفسكي - كلنا خرجنا من معطف غوغول (انظر مقالتنا بعنوان - هل خرج دستويفسكي من معطف

غوغول، وانظر كذلك مقالتنا الاخرى بعنوان - هل خرج احمد سعداوي من معطف غوغول؟)، وقد ساهم دستويفسكي بالطبع في الاستمرار بتقاليد الادب الروسي في هذا الشأن عبر روايته القصيرة - (المساكين) وبطلها ديفوشكين، الا انه لم يستمر - كما هو معروف - بذلك بعد رجوعه من الاعتقال والمنفى، اما تشيخوف فقد ابتدأ في مسيرته الادبية بالذات في اطار هذه الموضوعة واستطاع ان يرسم شخصيات فنية جديدة بكل معنى الكلمة في هذا المجال، ومن هنا جاءت هذه المقارنة مع غوغول، واصبح الحديث عن بطل تشيخوف المسحوق حياتيا والمرتعب ابدا امام المجتمع يذُكر باكاكي اكاكيفتش - بطل معطف غوغول، وغالبا ما يتناول النقاد قصة تشيخوف المشهورة (موت موظف) ويعتبرونها نموذجا لتلك المقارنة (انظر مقالتنا بعنوان - حول قصة تشيخوف القصيرة - موت موظف)، ونموذجية تلك المقارنة لا تكمن في ان تشيخوف قد حاكى غوغول او كرر موضوعه او كتب تحت تأثيره، وانما تكمن في ان تشيخوف قد كتب قصة خاصة به وبابداعه المرتبط بمجتمع يتميز عن ذلك المجتمع الذي عاش به غوغول، ولكن الرعب الذي يحيط بذلك الانسان المسحوق والبائس والمغلوب على أمره والذي يخاف طوال الوقت (من خياله! كما يقول المثل العراقي المعروف الطريف) هو الذي أدّى الى تلك المقارنة، ولا مجال هنا طبعا للاستطراد اوالتعمق بشأن هذه النقطة والتاكيد على ان تشيخوف لم يفكر او يخطط عندما كتب تلك القصة ان يقارنها بقصة غوغول المذكورة، بل انه كتبها عندما كان طالبا في كلية الطب بجامعة موسكو ونشرها في مجلات فكاهية من الدرجة الثانية كما يسمونها، ولكن النقاد وجدوا فيها (بعد مرور فترة طويلة من الزمن طبعا) هذا التشابه والتناغم واجواء المقارنة مع غوغول. ولم تقتصر هذه المقارنة بين تشيخوف وغوغول على هذه القصة القصيرة فقط وانما شملت مجموعة عديدة اخرى من قصص تشيخوف ايضا كانت تدور حول تلك الشخصيات الخائفة والمرتعبة ابدا في اطار ذلك المجتمع، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر قصة (البدين والنحيف) المشهورة ايضا او قصة (الحرباء) اوغيرها من القصص الاخرى المعروفة، وعلى هذا الاساس اصبح لتشيخوف مكانة خاصة في هذا المجال، مكانة تذُكر بموضوعة غوغول ولكنها تتميز عنها وتحمل في طيّاتها خصائص تشيخوفية - ان صح التعبير - تنعكس في البنية

الفنية لتلك القصص القصيرة ورشاقتها في المضمون والشكل، والتي تعد خطوة جديدة بكل معنى الكلمة في مسيرة الادب الروسي. وهناك نقطة اخرى يتحدث عنها النقاد في مجال المقارنة بين غوغول وتشيخوف وهي تلك الروحية المرحة والساخرة والتي تؤكد على عنصر الفكاهة والنقد الساخر الذي يثير الابتسامة وحتى الضحك ولكنه يبقى طبعا مغلفا بنبرة الحزن وسماته في نهاية المطاف، وهذه النقطة توحد بين غوغول وتشيخوف بشأن تصويرهما لمعاناة الشخص المنسحق اجتماعيا والبائس هذا، وهو ما يميزهما (اي غوغول وتشيخوف) عن بوشكين ودستويفسكي، اللذان كتبا حول هذه الموضوعة كما اشرنا في اعلاه، الا اننا لا نجد عندهما استخدام عنصر الضحك والسخرية المرحة تلك. وكما كان تشيخوف متميزا عن غوغول في طرحه لذلك الشخص البائس، فانه كان متميزا ايضا بروحية الفكاهة واستخدام عنصر الضحك هذا . لقد استقر تقريبا مصطلح - (الضحك عبر الدموع) في تاريخ الادب الروسي وارتبط بغوغول قبل كل شئ، ولكن هذا المصطلح لم يقترن بتشيخوف ابدا، رغم ان نتاجات تشيخوف كانت تثير طبعا الضحك ايضا، ولكن ضحك تشيخوف لا يمر عبر الدموع - ان صح التعبير - وانما يثير ابتسامات هادئة وتعاطف انساني وتأملات فكرية عميقة، وحتى عندما يصل تشيخوف الى نهاية تراجيدية لبطله (مثل موت موظفه رعبا وخوفا لانه عطس ليس الا امام ممثل تلك القوى التي كان مرعوبا منها في ذلك المجتمع) فان القارئ لا يذرف الدموع لان تشيخوف يعلن عن ذلك في صيغة سريعة وحاسمة لا تتعدى بضع كلمات ليس الا، بحيث ان القارئ يندهش ويفغر فاه ويصاب بالدهشة وسط ذلك الجو المضحك لدرجة لا يتمكن ولا يستطيع ان ينتقل الى اجواء اخرى وبهذه الوتيرة السريعة كي يصل في هذه الاثناء الى البكاء والدموع، ويبدأ هذا القارئ باستيعاب تلك المأساة بعد الانتهاء من القراءة وفي لحظات التأمل التي تتبع تلك القراءة، وربما يمكن القول ان عظمة الفن القصصي عند تشيخوف تكمن بالذات في هذه البنية الفنية الرشيقة وتلك اللمسات السريعة، التي تشد القارئ وتضطره ان يبقى في تلك الاجواء حتى بعد الانتهاء من القراءة، يبقى وهو يفكر ويتأمل!! .

هناك عناصر عديدة اخرى طبعا يتحدث عنها الباحثون في هذا المجال و نقاد الادب بشان المقارنة بين النتاجات الابداعية لكل من تشيخوف وغوغول، ومنها

مثلا تلك اللوحات الرائعة الجمال التي رسماها بالكلمات للطبيعة الروسية في نتاجاتهما، وهذه النقطة واسعة جدا و تتطلب - بلا أدنى شك - مقالة مستقلة بحد ذاتها كي تحدد ابعادها، ونتمنى ان تسمح لنا الظروف بالعودة اليها لاحقا.

11- تولستوي وتشيخوف

ولد تولستوي عام 1828، اما تشيخوف فقد ولد عام 1860، واصدر تولستوي روايته العظمى الحرب والسلم (والتي لازالت تعد واحدة من اعظم روايات الادب العالمي) عام 1869، عندما كان تشيخوف تلميذا في المدرسة الابتدائية، وتوفي تولستوي عام 1910 (كان عمره 82 سنة)، اما تشيخوف الاصغر منه ب 32 سنة، فقد توفي قبله، عام 1904 (كان عمره 44 سنة فقط)، و مع كل هذه الفروقات الهائلة بينهما، لا زال النقاد والباحثون يتناولونهما معا ويحللون نتاجاتهما ومواقفهما الفكرية والفنية ويقارنونها. يبتدأ هؤلاء عادة بالكلام عن موقف الاديب الشاب تشيخوف في ثمانينيات القرن التاسع عشر تجاه تولستوي، وهذا شئ منطقي، فقد ابتدا تشيخوف مسيرة ابداعه عام 1880 بنشر قصص هزلية قصيرة في مجلات الدرجة الثانية الروسية، وفي احدى تلك الاصدارات التي نشرها عام 1886 بعنوان (قائمة ادبية حول المناصب) وضع تولستوي في مقدمة الجميع، وكتب في نهاية الثمانينيات رسالة الى جايكوفسكي كرر فيها ان تولستوي يشغل المكان الاول بين ادباء روسيا، وفي تلك السنين بالذات كان تشيخوف يكتب تحت تأثير تولستوي، بل ان بعض النقاد يسمون تلك المرحلة من ابداع تشيخوف ب (القصص التولستوية)، على الرغم من ان تشيخوف لم يكن يدعو الى اعتناق الاراء الفلسفية والاخلاقية لتولستوي مثل عدم مقاومة الشر او الشك بشأن التقدم العلمي والتقني...الخ، ولكنه كان يدعو الى احترام آراء هذا (العملاق) واخذها بنظر الاعتبار، وعدم رفضها مطلقا باعتبارها سلبية ليس الا كما كان يتحدث عنها في ذلك الوقت المضادون لها. لكن تشيخوف تخلص بعد فترة قصيرة من هذا التأثير واعترف هو نفسه بذلك، خصوصا بعد سفرته الى جزيرة سخالين، بل انه حذف من تلك القصص، عندما اعاد نشرها، تلك المقاطع (التولستوية) منها في نهاية التسعينيات من القرن التسع عشر. لقد سافر تشيخوف الى جزيرة السجناء سخالين عام 1890، وشاهد هناك الواقع الروسي المرير، واصدر كتابه المعروف عن هذه الجزيرة، وبعد تلك السفرة تغيرت علاقته تجاه افكار تولستوي والتولستوية ان صح التعبير، وكتب كلماته المعروفة في رسالته الى سوفورين عام 1894 - (...في اعماقي الآن

شئ - ما يحتج، والعدالة تقول لي، بانه يوجد في الكهرباء والبخار حب للانسان أكثر مما هو موجود في الامتناع عن أكل اللحوم) ويضيف في تلك الرسالة ايضا ان (تولستوي لم يعد موجودا في روحي)، الا ان هذا الموقف لم يؤثر بتاتا على نظرة تشيخوف الى تولستوي باعتباره عبقرية هائلة، وكان معجبا جدا برواية آنا كارينينا، وقال عنها, انه عندما يقرأ كل صفحة فيها فانه يصبح (أغنى وأقوى وأعلى) مما كان في السابق، لكن هذا لم يمنع تشيخوف من ان يسجل بعض الملاحظات بشأن نتاجات تولستوي، فقد انتقد مثلا كيف رسم تولستوي شخصية نابليون في رواية (الحرب والسلم)، معتبرا انه أضفى عليها صفة غير واقعية وانه قلل من شأنه، وكذلك انتقد تشيخوف بعض مقاطع من رواية (البعث)، وخصوصا نهايتها، واعترض تشيخوف على قول تولستوي الذي اشار الى ان الانسان يحتاج الى مترين من الارض ليس الا قائلا، ان الجثة تحتاج الى مترين اما الانسان فانه يحتاج الى العالم كله، الا ان كل ذلك لم يغير من موقف تشيخوف تجاه شخصية تولستوي كانسان وقيمته ومكانته، وقد كتب عام 1900 انه يخاف ان يموت تولستوي لان موته يعني ولادة فراغ لن يشغله اي انسان (اولا لاني لا احب اي انسان اكثر من حبي له,وثانيا لانه عندما يوجد تولستوي فانه من السهل ان تكون اديبا , لانه يعمل كل شئ من اجل الادباء وان نشاطه يبرر وجودنا كادباء، وثالثا لانه يقف صلدا وقويا، وما دام تولستوي على قيد الحياة، فان الادب سيخلو من التفاهة).

اما تولستوي، فقد بدأ بملاحظة تشيخوف في نهاية الثمانينيات، وكان يثمن فيه روحه المرحة، وقد اختار 30 قصة من قصصه، وكان يقرأ نماذج منها في الحلقات العائلية، وكتبت ابنة تولستوي في احدى رسائلها الى تشيخوف حول ذلك، وتوجد اشارة الى ان تولستوي قرأ (مئة مرة) احدى قصص تشيخوف امام الاخرين، واصبحت مشهورة كلمات تولستوي التي قالها مرة حول تشيخوف وهي - (لا يمكن مقارنة تشيخوف كفنان مع الادباء الروس السابقين له، مع تورغينيف ودستويفسكي، ومعي. عند تشيخوف يوجد نمط خاص به، كما عند الانطباعيين، عندما تنظر الى نتاجاته تعتقد بان هذا الانسان يلطخ الالوان دون اي تمييز، ويستخدم اي لون يقع تحت يديه بدون اي علاقة بين الالوان، ولكن ما ان تبتعد لمسافة قصيرة وتنظر من جديد، فستجد انطباعا متكاملا بشكل عام،

وتتكون امامك صورة للطبيعة ساطعة لا تنسى). لقد تحدث النقاد كثيرا عن هذه الكلمات واستنتجوا منها ان تولستوي كان يريد ان يقول، ان تشيخوف هو فنان الانطباعية في الادب الروسي، وانه يجسد مرحلة اعلى في الاتجاه الواقعي الذي يسود الادب الروسي عموما، وهذه بالطبع افكار كبيرة لا يمكن التوقف عندها في اطار هذه المقالة.

من الضروري ايضا، عند الكلام عن العلاقات المتبادلة بين تولستوي وتشيخوف، الاشارة الى ان تولستوي رفض رفضا قاطعا وتاما مسرح تشيخوف ولم يعترف به، بل انه بدأ بكتابة مسرحيته الشهيرة (سلطة العتمة) بعد ان شاهد مسرحية تشيخوف (الخال فانيا)، وذلك جوابا على تلك المسرحية شكلا ومضمونا، وهذا موضوع كبير يتطلب التوقف عنده تفصيلا في اطار تاريخ الادب المسرحي الروسي، وما آل اليه الآن، اذ اصبح من الواضح ان روسيا والعالم قد تقبلا مسرح تشيخوف، وان هذا المسرح قدتفوق في الصراع مع افكار تولستوي. ونختتم هذه الملاحظات السريعة بكلمة كتبها ابن تولستوي بشأن العلاقات بينما - (كان ابي يشعر بان انطون بافلوفيتش يتعاطف معه بشدة، لكنه لم يكن يشاركه بارائه، لهذا كان يدعوه الى المناقشة، لكنه لم يفلح بذلك، اذ ان تشيخوف لم يستجب لهذه الدعوة. يبدو لي، ان ابي كان يريد ان يكون تشيخوف اقرب اليه وان يخضعه لتأثيره، لكنه وجد فيه رجلا عنيدا صامتا. لقد كانت هناك حدود - ما تعرقل تقاربهما اللاحق).

12- دستويفسكي وتشيخوف

دستويفسكي وتشيخوف - عملاقان من عمالقة الادب الروسي، وهما يمثلان بالاساس في الوقت الحاضر هذا الادب خارج روسيا، فعندما يدور الحديث عن الادب الروسي في العالم، يطرح النقاد والباحثون وحتى القراء على حد سواء اسميهما قبل كل اسماء الادباء الروس الاخرين، فهما الاكثر شهرة والاكثر ترجمة، بل انهما يشغلان مكانة خاصة ومتميزة في مسيرة آداب كثيرة في العالم، بما فيها التأثير على تلك الاداب العالمية وتطورها. وكم يبدو غريبا انهما بعيدين عن بعضهما البعض في مسيرة الادب الروسي نفسه، بل يمكن القول انه من الصعب ان نجد اديبين اكثر بعدا عن بعضهما مثل دستويفسكي وتشيخوف، فابطال دستويفسكي يجسدون الازمة الروحية المتوترة للانسان، وحياتهم دائما مفعمة بالجريمة والحوارات الفكرية والفلسفية المعمقة، اما ابطال تشيخوف فانهم اناس اعتياديون، يذهبون يوميا الى العمل ويتناولون طعامهم ولا تحدث في مسيرة حياتهم جرائم واحداث هائلة، بل حتى يمكن القول انه لا يحدث لهم اي شئ مهم وكبير.

ولد دستويفسكي عام 1821، واصدر روايته الشهيرة والمعروفة عالميا - (الجريمة والعقاب) عام 1866، عندما كان عمر تشيخوف 6 سنوات فقط، واصدر روايته العالمية - (الاخوة كارامازوف) عام 1880، عندما كان تشيخوف (الذي ولد عام 1860) قد انهى المدرسة ويحاول ان يبدأ دراسته في الكلية الطبية لجامعة موسكو، وتوفي دستويفسكي عام 1881، عندما نشر تشيخوف بعض القصص القصيرة الفكاهية في مجلات روسية هزلية من الدرجة الثانية ليس الا. ولا توجد اشارة تؤكد ان دستويفسكي قد اطلع عليها او سمع باسم تشيخوف اصلا، اذ كان في تلك الفترة واحدا من اكبر الادباء والمفكرين الروس، وفي الوقت نفسه واحدا من اشهرهم عالميا. اما تشيخوف، الذي ولد عام 1860 وبدأ النشر عام 1880 كما اشرنا في اعلاه،فانه اصبح معروفا في اواخر القرن التاسع عشر ليس الا، وليس بالشكل الذي يمكن مقارنته بدستويفسكي بتاتا.

ان الاجواء المتباينة والسمات المختلفة بين الاديبين قد ادت بالطبع الى عدم ميل تشيخوف الى دستويفسكي، ولكن هذا لا يعني بتاتا ومطلقا عدم اقرار

تشيخوف بعظمة دستويفسكي والاعتراف به وبمكانته المتميزة في الادب وبشخصيته الفذّة و تأثيره في مسيرة الثقافة والفكر.

لقد كتب تشيخوف في 5 آذار/ مارت عام 1889 الى سفورين رسالةجاء فيها ما يأتي - (اشتريت في مخزنكم دستويفسكي، وأقرأ الآن. جيد، لكنه يكتب بشكل مطوّل وبلا تواضع، وهناك الكثير من الادعاءات..). وجوابا على سؤال المخرج المسرحي الشهير نيميروفتش - دانجنكو عن رأيه برواية (الجريمة والعقاب) قال تشيخوف، انها لم تحدث لديه (انطباعا كبيرا)، وقد كان جواب تشيخوف صارما. وفي 30 كانون اول / ديسمبر من عام 1902 كتب تشيخوف الى محرر مجلة (عالم الفن) دياغيليف، وهي المجلة التي كانت تنشر طوال 1900-1902 على صفحاتها اجزاء من كتاب ميرجكوفسكي (الاديب والناقد المعروف في تاريخ الادب الروسي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واحد ابرز شخصيات المدرسة الرمزية الروسية) الموسوم - (تولستوي ودستويفكي)، وهو كتاب نقدي كبير ويعد عملا متميزا في تاريخ النقد الادبي الروسي،كتب تشيخوف ما يأتي - (ان الثقافة الحالية الان هي بداية عمل باسم المستقبل العظيم، عمل سوف يستمر لعدة عشرات آلاف السنين من اجل ان تعرف الانسانية في المستقبل البعيد حقيقة الرب الاصيل، دون ان تبحث عن ذلك في دستويفسكي،كي تعرفه بوضوح كما تعرف ان اثنين في اثنين تساوي اربعة). لقد كتب تشيخوف ذلك جوابا على ما كان يدعو اليه ميرجكوفسكي وبقية المناصرين للمدرسة الرمزية لتأليه دستويفسكي وعبادة شخصيته باعتباره (نبي الوعي الديني) كما كانوا يطلقون عليه. ومن المناسب هنا الاشارة الى ان النقد الادبي في العصر الفضي (اي عشرينيات القرن العشرين) كان يميل بشكل واضح الى جانب دستويفسكي ويفضلونه على تشيخوف، ومن بينهم ميرجكوفسكي نفسه وغيبيوس وأخماتوفا وصولا الى باسترناك ونابوكوف.

ومع كل ذلك، يؤكد الكثير من النقاد والباحثين في الادب الروسي، الى انه من الخطأ وضع دستويفسكي وتشيخوف كأديبين متضادين او مناقضين بعضهما للبعض، بل بالعكس، فانهم يعتبرون تشيخوف الوريث الشرعي لدستويفسكي، وانه استخدم هذا الميراث ليس كتلميذ يحاكي استاذه ويحاول ان يقلده، بل

باعتباره فنانا حرا اصيلا، اي تعامل معه ابداعيا، ويشير هؤلاء النقاد الى قصة تشيخوف الموسومة - (الراهب الاسود)، وهي قصة متميزة فعلا في مسيرة ابداع تشيخوف، ومليئة بالاجواء الدستويفسكية، وعدا تلك القصة، فانهم يؤكدون - وهم على حق - ان ابطال تشيخوف ايضا، مثل ابطال دستويفسكي يبحثون عن (الحقيقة الاصيلة) للحياة، والتي تكمن طبعا في (الايمان)، وان الفرق بين دستويفسكي وتشيخوف هو ان (الايمان) بالنسبة لدستويفسكي هو ايمان مسيحي ديني ليس الا، اما عند تشيخوف فانه اوسع بكثير وهو يكمن في حقيقة افكار الوجود الانساني واهدافه، اي ان ابطالهما يتوحدون في عملية البحث، الا انهم يتميزون في اساليب هذا البحث، اذ ان ابطال تشيخوف يبحثون عن اهداف العصر الحديث، عصر ما بعد دستويفسكي، العصر الذي لم يعد ملائما للانسان ان يبحث فيه عن ايمان يستند الى نصوص لا تتناغم ولا تنسجم مع متطلبات الانسان في العصر الحديث.

تشيخوف لا يقل عظمة عن دستويفسكي في طرح المشاكل الانسانية ومعاناة الروح الانسانية، ولكنه يعالجها باسلوبه الخاص به، باعتباره فنانا مختلفا عن دستويفسكي، ولهذا فان ابداعهما لا زال حيًا ويثير الباحثين والقراء على حد سواء في داخل روسيا وخارجها ايضا، بما في ذلك عالمنا العربي.

13- تشيخوف وغوركي

اسمان معروفان للقارئ العربي بشكل جيد بين الادباء الروس الكبار، بل يوجد في المكتبة العربية كتاب بترجمة جلال فاروق الشريف صادر عن دار اليقظة الشهيرة آنذاك في دمشق عام 1953 بعنوان - (مراسلات غوركي وتشيخوف)، واعيد طبعه عام 1983 في دمشق ايضا (انظر مقالتنا بعنوان - جلال فاروق الشريف والادب الروسي)، الا ان القراء العرب ينظرون اليهما - بشكل عام - على انهما غير قابلين للمقارنة في كل المقاييس، والبعض منهم (وهم الاكثرية) يرون، ان غوركي هو الاعلى مقارنة بتشيخوف، اذ انه بالنسبة لهؤلاء القراء العرب مؤلف رواية - (الام)، بينما لا يرتبط تشيخوف بعمل ابداعي بهذا السطوع المحدد بالنسبة لهم . وفي كل الاحوال، فان شهرة غوركي أكبر من شهرة تشيخوف في عالمنا العربي، ومؤلفاته المترجمة اوسع انتشارا من مؤلفات تشيخوف المترجمة، وكل ذلك طبعا نتيجة تداخل الادب الروسي بمسيرة الحركة السياسية في مجتمعاتنا العربية (انظر مقالتنا بعنوان - الادب الروسي في الوعي الاجتماعي العراقي)، وأذكر مرة، اني شاركت بحديث جرى بالصدفة عن تشيخوف وغوركي مع أحد معارفي العراقيين، فقال لي (غاضبا!!!)، كيف يمكن مقارنة غوركي (وأسماه ابو الواقعية الاشتراكية) بتشيخوف البائس هذا؟ ثم امطرني بسيل من الآراء والاحكام حول الادب الروسي وأعلامه، وحذرني في نهاية حديثه قائلا، انه يجب ان اكون حذرا في اقوالي وكتاباتي عن الادب الروسي، والا، فانني يمكن ان اتحول الى (باسترناك جديد)، ولم افهم فحوى هذا التحذير ولا جوهره ولا علاقة باسترناك الرائع بكل هذا الموضوع، ولم أسأله تفاصيل ذلك، أذ أني (لذت بالصمت وانا مبتسما!) امامه ليس الا،، كما أفعل عادة مع هؤلاء الاشخاص، الذين (لا يعرفون، ولا يعرفون انهم لا يعرفون !)، وما أكثرهم حولنا في عالمنا العربي مع الاسف .

تشيخوف وغوركي - موضوع مهم في علم الادب المقارن وتاريخ الادب الروسي بشكل عام، وهو موضوع واضح المعالم بالنسبة للباحثين الروس، لأن غوركي نفسه قد حدد موقعه الحقيقي في هذه المقارنة، اذ انه ظهر في مسيرة الادب الروسي وبرز فيها بعد تشيخوف، ونجد في اول رسالة كتبها غوركي

لتشيخوف جملة دقيقة يقول فيها غوركي، انه معجب به منذ نعومة أظفاره، وهناك في مذكرات أحد معارف غوركي اشارة، الى انه (اي غوركي) عرض له في شبابه قصة قصيرة لتشيخوف، منشورة في احدى المجلات الفكاهية بداية الثمانينات، وهي من قصص تشيخوف المبكرة جدا، وقال غوركي له ما معناه، انه يتعلم منها. وتشيخوف كان معجبا بغوركي ايضا، وقد أشار اليه في الكثير من رسائله الى الآخرين، وهناك عدة بحوث بالروسية تتناول اعجاب تشيخوف بمسرح غوركي ونشاطه الابداعي عموما، وكذلك بشخصيته وعصاميته، على الرغم من ان اسلوبهما الفني مختلف تماما، وتوجد في احدى رسائل تشيخوف الى غوركي تفصيلات دقيقة وجميلة حول ذلك، اذ اخبره مرة، انه يكتب جملة - (جلس الرجل على العشب)، اما هو، اي غوركي، فانه يكتب نفس هذه الجملة بشكل مطول جدا، يصف فيها كيف ان الرجل يجلس ببطء ويتلفّت وينظر حوله بامعان...الخ، ويقول تشيخوف، ان هذا الوصف يشتت ذهن القارئ، ولا يجعله يصل الى الفكرة التي يريد الكاتب ايصالها له .

لقد توفي تشيخوف عام 1904، وبالتالي، فانه لم يعاصر مسيرة غوركي لاحقا، وكيف ساهم في مسيرة الحياة السياسية الروسية وكل الاحداث الكبيرة في تاريخ روسيا العاصف من ثورة 1905 والحرب العالمية الاولى وثورة اكتوبر 1917 وعلاقة غوركي مع لينين (التي ابتدأت قبل ثورة اكتوبر ومرّت بمراحل متشابكة ومعقدة) وعلاقته مع ستالين بعد تأسيس الاتحاد السوفيتي، هذه العلاقة التي يمكن ان نسميها (غير السلسة) ان صح التعبير. وكل هذه الجوانب حول غوركي لازالت غير واضحة المعالم للقارئ العربي، ولهذا، فان القارئ العربي لا يستوعب المقارنة بين هذين الاديبين، بل وحتى لا يتقبلها، كما هو حال صاحبنا العراقي، الذي أشرت اليه في بداية مقالتي، اذ لا يجد التشابه بينهما، ولا يفهم امكانية المقارنة بينهما . ان موضوع تشيخوف وغوركي حيوي جدا في روسيا، ويمكن على سبيل المثال الاشارة الى موضوع طرحه احد الباحثين الروس عام 2015 ليس الا، وكان بعنوان (تشيخوف وغوركي ضد تولستوي)، بل ان ميرشكوفسكي (انظر مقالتنا بعنوان - الاديب والفيلسوف الروسي ميرشكوفسكي) قد كتب بحثا معمقا في وقته، ذكر فيه ان تشيخوف وغوركي أقرب الينا (وحسب طاقتنا، كما يقول) من دستويفسكي وتولستوي (واللذان هما

اعلى من طاقتنا)، وذلك لان تشيخوف وغوركي يعكسان حاضرنا، اما دستويفسكي وتولستوي فانهما يعكسان الماضي والحاضر والمستقبل، وهي افكار فلسفية عميقة وممتعة تستحق التأمل فعلا، ولا يمكن ايجاز كل ذلك ضمن هذه السطور . وهذا الموضوع حيوي ايضا بالنسبة لاوربا ايضا، وخصوصا بالنسبة للموقف من غوركي بالذات، وذلك لان اوربا تتابع بدقة ما يجري في الفكر الروسي، ودراسة غوركي ترتبط بشكل مباشر بهذه المتابعة الفكرية ولحد الان. وباختصار شديد، يمكن لنا ان نقول - ختاما لهذه المقالة - ان هذا الموضوع يستحق ان نكتب عنه بتفصيل وان ندرسه بعمق ومن كافة الجوانب، كي لا تتكرر تلك الآراء الساذجة عند بعض القراء العرب...

14- ستانسلافسكي وتشيخوف

ستانسلافسكي (1863- 1938) ولقبه الحقيقي اليكسييف - مخرج وممثل مسرحي روسي وعالمي معروف، وهو احد مؤسسي فرقة مسرح موسكو الفني، التي لازالت تعمل في موسكو لحد الآن، واصدر ستانسلافسكي العديد من الدراسات في فن المسرح، منها كتابه المشهور - (حياتي في الفن) والذي تمت ترجمته الى الكثير من اللغات الاجنبية، ومنها لغتنا العربية، وترتبط باسمه مدرسة مشهورة في الفن المسرحي تعرف ب - (طريقة ستانسلافسكي).

ابتدأت الاوساط الثقافية الروسية بالاحتفال في بداية عام 2013 بذكرى مرور (150) سنة على ميلاده، وكتبت وسائل الاعلام الروسية المختلفة حول ذلك، ومنها صحيفة - ليتيراتورنايا غازيتا (الجريدة الادبية) في عددها الصادر بتاريخ 16 - 22 كانون الثاني / يناير 2013 مقالة بعنوان - أحقا ستانسلافسكي مرة اخرى؟ والتي شغلت صفحة كاملة تقريبا من الجريدة، تناولت فيها ريما كريجيتوفا (طريقة) ستانسلافسكي وكيف ان هذه المفردة اللغوية ارتبطت به واصبحت مرادفة له وصولا الى الوقت الحاضر، ورغم ان التقنيات الحديثة اخذت تسود المسرح، الا ان (طريقة ستانسلافسكي) وانعكاساتها عند بعض المسرحيين المعاصرين لا زالت تتعايش مع كل تلك التقنيات، مشيرة الى ان التجديد في الافكار الجمالية للمسرح لا زال يجد الاجابات في (صندوق الجدات). هذا وقد وعدت جريدة ليتيراتورنايا غازيتا الاستمرار في اعدادها القادمة بنشر حوارات مع اساتذة باحثين في فن ستانسلافسكي. ومن جانب آخر، تم عرض خاص في مسرح موسكو الفني بهذه المناسبة كتبت عنه الصحف الروسية تفاصيل طريفة، وتحدثت عن الفنانين الكبار الذين ساهموا في اعداد هذا العرض وتنفيذه، معتمدين على وثائق عن ستانسلافسكي والرسائل المتبادلة بينه وبين كبار الادباء والفنانين، ونشر الاستاذ عبد الله حبه، الفنان والصحفي العراقي المعروف والمقيم في موسكو منذ اكثر من خمسين سنة، مقالة ممتعة جدا بعنوان - (عودة الى ما وراء الطريقة... ستانسلافسكي في يوبيله ال 150) تناول فيها بالتفصيل كل جوانب ذلك العرض الخاص في مسرح موسكو الفني.

ساهم ستانسلافسكي مع رفيق دربه المخرج نيميروفتش - دانجنكو في اخراج مسرحيات تشيخوف في مسرح موسكو الفني، وادّى ادوار عدة شخصيات فيها، وبمناسبة الاحتفالات بالذكرى ال (150) على ميلاده نقدم للقراء خلاصة لمقالة بعنوان - (ستانسلافسكي وتشيخوف) كتبها البروفيسور ف.ب. كاتايف، استاذ الادب الروسي في جامعة موسكو، ونشرها في كتاب صدر بموسكو عام 2011 عن تشيخوف، ويعد البروفيسور كاتايف في الوقت الحاضر واحدا من ابرز المتخصصين الروس في ادب تشيخوف.

يشير الباحث الى ان ستانسلافسكي وتشيخوف قد التقيا في نهاية عام 1888، اي قبل تأسيس مسرح موسكو الفني، في مناسبات متباعدة ليس الا,وان ستانسلافسكي بدأ واقعيا بالتعرف على نتاجات تشيخوف عندما قرر صديقه نيميروفتش - دانجنكو ان يعرض مسرحية (النورس) بعد ان اقتنع بذلك تماما، وهي المسرحية التي فشلت فشلا هائلا اثناء عرضها في مسرح بطرسبورغ، واضطر تشيخوف ان يهرب من المدينة بسبب ذلك. ويتوقف الباحث عند اعتراف ستانسلافسكي شخصيا، الى انه لم يفهم المسرحية عندها، ولكنه - (اثناء العمل فقط، وبشكل لم الاحظه انا نفسي بدأت اتعايش معها، وبدون وعي احببتها.. واصبحت معجبا بعبقرية تشيخوف ومتحمسا له) (ستانسلافسكي، المؤلفات الكاملة في 8 اجزاء. موسكو 1954-1961، الجزء الخامس، ص. 331-335).

كان تشيخوف يحضر تمارين المسرحية، وقد لاحظ رأسا كيف تتعمق انطباعات المخرج ستانسلافسكي، وفهم ايضا القيمة الحقيقية لمسرح موسكو الفني واهميته التاريخية، ولهذا فقد طرح امام هذا المسرح متطلبات صارمة وحازمة وجدّية جدا.

اثناء عملية الاعداد لعرض المسرحيتين الاولى والثانية لتشيخوف، لم يختلط الاثنان واقعيا، ولم تعكس رسائلهما الى بعض ذلك (تم الاحتفاظ ب 17 رسالة من تشيخوف الى ستانسلافسكي، و 37 رسالة من ستانسلافسكي الى تشيخوف. انظر مراسلات تشيخوف في ثلاثة اجزاء. موسكو 1996، الجزء الثالث, ص.116-138)، ولكن هذه المراسلات اصبحت منتظمة فقط عند الاعداد

لمسرحية (الاخوات الثلاث)، وقد اختلفا في الرؤية تجاه بعض المشاهد فيها، رغم ان تشيخوف كان راضيا بشكل عام بشأن عرض تلك المسرحية في مسرح موسكو الفني، وقد تبلور التناغم الفكري بين تشيخوف وستانسلافسكي حول اهداف المسرح واهميته ومضامينه.

يتوقف البروفيسور كاتايف بعدئذ عند ستانسلافسكي، الذي كان يعتبر نفسه المخرج المعبر والمجسم لروحية تشيخوف على خشبة المسرح بواسطة اساليبه الجديدة في مجال استخدام العناصر والتأثيرات الصوتية والضوئية. لقد كان ستانسلافسكي يؤكد على انه المخرج الذي استطاع ان يجعل الممثلين يعبرون عن مزاج تشيخوف، وان يعكسوا ذلك للمشاهدين ايضا، رغم ان نيميروفتش - دانجنكو (وتشيخوف نفسه) لم يتقبلا في اخراج ستانسلافسكي هذه (الاشكال الساطعة) للتعبير، وبالذات الوسائل الصوتية المتنوعة والاضاءة على خشبة المسرح، لان هذه الوسائل لا تستطيع الكشف بدقة عن افكار الكاتب المسرحي .

يتناول كاتايف فيما بعد الرسائل المكرسة لمسرحية تشيخوف الاخيرة وهي - (بستان الكرز) مشيرا الى انها عكست التقارب الكبير والعلاقات الحميمة التي تبلورت بين ستانسلافسكي وتشيخوف، اذ ناقش تشيخوف اثناء العمل على عرض هذه المسرحية بشكل تفصيلي مع ستانسلافسكي حتى قضية توزيع الادوار على الممثلين والخصائص المرتبطة بذلك، مؤكدا على الدور المهم لعمل المخرج بشأن العرض الفني للمسرحية، وقال تشيخوف لستانسلافسكي - (لا تتحرج بشأن الديكورات) واشار الى انه يجلس اثناء التدريبات في المسرح (فاغرا فمه)، وتحدث بتفصيل عن دور لاباخين المهم، واشار الى انه يثق بستانسلافسكي لاداء هذا الدور، معتبرا انه الوحيد الذي يستطيع ان يعكس (تعقيد هذه الشخصية في المسرحية). اما ستانسلافسكي، فقد كان شديد الاعجاب بمسرحية (بستان الكرز)، وكتب في رسائله الى تشيخوف عن (انبهاره) بها، وارسل برقية الى تشيخوف جاء فيها - (اعتبر مسرحية بستان الكرز العمل المسرحي الافضل بين كل الاشياء الرائعة التي كتبتموها، وابعث بتهاني القلبية لك ايها الكاتب المسرحي العبقري. اني اتحسس واقّدر كل كلمة فيها.)، وكتب ستانسلافسكي لتشيخوف في رسالة اخرى يقول - (الانطباع عظيم... وكل الادوار فيها رائعة دون استثناء... ولو

اقترحوا عليّ ان اختار دورا لنفسي، وحسب ذوقي، فانني ساحتار، اذ ان كل دور يجذبني اليه... واخشى ان كل هذا سيكون صعب التقبل من قبل الجمهور، وانه لن يستطيع استيعاب كل هذه التفصيلات الدقيقة رأسا.آه، كم من الغباءات سنكون مضطرين ان نقرأ ونسمع عن هذه المسرحية، ومع هذا فان النجاح سيكون مدويا...)، واشار ستانسلافسكي ايضا الى ان المسرحية متكاملة الى حد، بحيث لا يمكن ان نحذف منها اي كلمة، وانه لم يجد اي نقص فيها، وان الشئ السلبي الوحيد هو انها تتطلب ممثلين كبار وعمالقة اكثر مما ينبغي، من اجل الكشف عن كل جماليتها. وتحدث ستانسلافسكي بعدئذ، كيف ان القراءة الاولى لهذه المسرحية اثارته وسيطرت عليه، وان هذا الاحساس لم يحدث مع مسرحيتي (النورس) و (الاخوات الثلاث)، اما بالنسبة ل (بستان الكرز)، فيقول ستانسلافسكي انه سيطرت عليه لدرجة (باني بكيت، مثل امرأة، وحاولت ان اتمالك نفسي، ولكني لم استطع..)، ويصف لاحقا احساسه المرهف وحبه الكبير تجاهها، ويعلن ان هذه المسرحية (خارج التنافس، وانها لا تخضع للنقد، وان الذي لا يفهمها هو احمق)، مؤكدا ان هذه هي قناعته الحقيقية، وانه مستعد لاداء كل الادوار فيها (اذا كان ذلك ممكنا) دون استثناء.لكن عندما بدأ الاعداد لعرض المسرحية ظهرت بينهما المواقف المتباينة، خصوصا بشأن الصفة العامة للمسرحية، وهل هي (كوميديا) كما كتب تشيخوف، ام (تراجيديا)، ولم يكن تشيخوف راضيا على العرض المسرحي ذاك، بل انه اشار الى ان ستانسلافسكي قد اودى بها، ولكن العرض الذي قدمه ستانسلافسكي في مسرح موسكو الفني اصبح الان نموذجا كلاسيكيا، ولا زال تأثيره على المشاهدين كبيرا، رغم ان تشيخوف لم يتفق مع تفسيراته في الاخراج و التمثيل، ولم يستطع تشيخوف المشاركة في التمارين الاساسية بسبب مرضه وابتعاده الاجباري عن موسكو، ولكن من المهم الاشارة - كما يؤكد البروفيسور كاتايف - الى ان ستانسلافسكي نفسه كتب بعد عقدين من موت تشيخوف تقريبا، في كتابه (حياتي في الفن) ان تشيخوف قد أغنى تطور المسرح لانه كان (متطلعا ابدا الى امام)، واوصى ستانسلافسكي المخرجين والممثلين في المستقبل، ان الفصل عن تشيخوف لا يزال مطروحا ولم ينته بعد، ولم تتم عملية القراءة كما يجب ان تكون، ولم نتعمق في جوهره، واننا اغلقنا الكتاب قبل الآوان، مؤكدا على ضرورة فتح الكتاب من جديد ودراسته كي تكتمل القراءة حتى نهايتها.

15- تشيخوف والفيلسوف شيستوف

كتب الفيلسوف الروسي شيستوف حول ابداع تشيخوف مقالة شهيرة له في تاريخ النقد الادبي الروسي عنوانها - (ابداع من لاشئ)، ولازال هذا القول (الغريب او غير المفهوم للوهلة الاولى!) قائما في النقد الادبي الروسي (وغير الروسي ايضا) حول تشيخوف بشكل او بآخر. نحاول في مقالتنا هذه التوقف عند هذه النقطة وتوضيحها - من وجهة نظرنا - للقارئ العربي انطلاقا من ضرورة التعمق في دراساتنا لاديب عالمي كبير مثل تشيخوف واهميته في تاريخ الادب الروسي والعالمي.

تشيخوف - كاتب معروف طبعا لنا (رغم اننا لا نعرفه بشكل متكامل الابعاد، ولا نستوعب مثلا سبب استمرار مسيرته في العالم لحد الان)، أمّا شيستوف فانه يكاد ان يكون مجهولا تقريبا لنا، رغم ان المهتمين العرب بالشأن الفلسفي وتاريخه واعلامه تحدثوا عنه هنا وهناك، لهذا فاننا نبتدأ مقالتنا اولا بالكلام الوجيز عن شيستوف، ثم ننتقل الى فحوى مقالته ذات العنوان المشار اليه اعلاه.

ولد ليف شيستوف عام 1866 في الامبراطورية الروسية، وهرب من روسيا السوفيتية مع عائلته بعد ثورة اكتوبر 1917 كما هو حال الكثير من المثقفين آنذاك، واستقر في فرنسا، وتوفي فيها عام 1938 ودفن هناك.

شيستوف فيلسوف قبل كل شئ، وقد وضع بصماته الفكرية والفلسفية حتى على مسيرة الفلسفة الوجودية في اوربا، ولكنه كان لصيقا بالادب ان صح التعبير. اول كتاب اصدره بروسيا في هذا المجال (اي الفلسفة والادب) كان عام 1898 و بعنوان - (شكسبير وناقده براندیس)، وصدر كتابه الثاني بعد سنتين (في عام 1900) وكان بعنوان - (الخير والشر في تعاليم تولستوي ونيتشه)، ثم بدأ بنشر فصول في مجلة (عالم الفن) الروسية حول علاقة دستويفسكي ونيتشه واصدرها في ما بعد بكتاب مستقل تحت عنوان - (دستويفسكي ونيتشه). تشير المصادر الروسية الى ان شيستوف كان مهتما بتشيخوف ويتابع ابداعه، وان تشيخوف نفسه ايضا كان يتابع نشاط شيستوف الفكري، وقد انعكس كل ذلك في مراسلات مدونة ومنشورة بين الاصدقاء المعاصرين لهما (لا مجال لذكرها

هنا)، الا انهما لم يلتقيا معا، رغم ان ذلك اللقاء كان يمكن ان يحدث على وفق تلك الرسائل في عام 1902 (كان تشيخوف آنذاك مريضا و كان مضطرا ان يعيش في مدينة يالطا بالقرم)، حسب هذه المراسلات المتبادلة بين هؤلاء الاصدقاء. لقد كتب الفيلسوف شيستوف مقالته التي أشرنا اليها عام 1905، اي بعد وفاة تشيخوف عام 1904 مباشرة، اذ كانت هذه المقالة جاهزة في ذهنه واقعيا، وهو ما يؤكد اشارتنا في اعلاه على اهتمامه ومتابعته لنتاجات تشيخوف. لقد تم نشرالمقالة في كتاب شامل صدر عن تشيخوف عام 1905 في الذكرى الاولى لرحيله.

مقالة شيستوف تتوزع ضمن ثمانية اجزاء، كل جزء منها يقف تحت رقم خاص به. في الجزء الاول يشير شيستوف - (الى ان وفاة تشيخوف تسمح لنا ان نتكلم عنه بحرية)، ويقصد طبعا الكلام عنه بشكل كامل بغض النظر عن تعددية آراء النقاد حول ابداعه، ثم يستعرض تلك الآراء التي تحمل تناقضات واختلافات حادة بشأن ابداع تشيخوف، ويتوقف تفصيلا عند آراء وافكار الناقد الروسي ميخايلوفسكي، الذي كان آنذاك من أبرز النقاد الروس، ويتحدث بعدئذ عن المقارنة بين تشيخوف وموباسان، ويختتم هذا الجزء بالاشارة الى ان تشيخوف (ذهب ابعد جدا من موباسان)، رغم ان ابطال تشيخوف (كانوا يموتون)، بينما ابطال موباسان (كانوا يبقون على قيد الحياة) . يكتب شيستوف في الجزء الثاني من مقالته تلك عن انتقال تشيخوف من مرحلته المبكرة الساخرة، عندما (كان يكتب مثل الطير) الى قصته (تاريخ ممل) ومسرحيته (ايفانوف)، والتي كتبهما عندما كان عمره يتراوح بين 27 – 28 سنة ليس الا، ويتوقف الفيلسوف تفصيلا عندهما، مشيرا الى انه يرى، ان (تشيخوف كان يبكي في كل سطر من سطورهما)، ويستنتج شيستوف، ان بكاء تشيخوف لا يمكن ان يكون منطلقا فقط من رؤيته لمعاناة الآخرين وحسب، وانما من معاناته الشخصية في اعماق روحه، والتي لم يتمكن النقد الادبي االروسي من ملاحظتها . يختتم شيستوف هذا الجزء بالحديث عن تأثير تولستوي على ابداع تشيخوف في تلك المرحلة. في الجزء الثالث يستمر الحديث عن (تاريخ ممل) بشكل معمق، حيث يؤكد الفيلسوف شيستوف على فكرته الاساسية وهي ان تشيخوف يجسّد اليأس في روحيته الجديدة، ويشير في الجزء الرابع ايضا الى نفس الفكرة ويقول ان (ابطال

تشيخوف وحيدون) في عالمهم الشخصي والروحي . في الجزء الخامس يحاول شيستوف ان يصل الى الاستنتاج نفسه ويشير الى ان الانسان عند تشيخوف (بلا أمل) . في الاجزاء المتبقية، وهي - الجزء السادس والسابع والثامن يتوقف شيستوف طويلا عند الحوار المشهور بين كاتيا والبروفيسور في (تاريخ ممل)، والتي يصف فيه تشيخوف كيف تتعذب كاتيا وهي تلح باكية بالسؤال وكيف يجيب البروفيسور بانه لا يعرف الاجابة وهو يكرر جملة - (لا اعرف)، ويختتم شيستوف مقالته تلك بالاشارة الى ان تشيخوف ايضا قال للقارئ نفس الجملة - (لا اعرف).

لا يمكن لهذا العرض السريع لمقالة شيستوف ان يرسم صورة متكاملة لكل الجوانب العميقة لها، وان الاستيعاب الحقيقي لافكارها يقتضي (للقارئ العربي) قراءة الترجمة الكاملة لهذه الدراسة الى العربية بلا شك . لقد أثارت هذه المقالة في حينها ضجة كبيرة في اوساط النقد الادبي الروسي، اذ أشار البعض الى انها (كلمة جديدة تمجّد تشيخوف وابداعه)، بينما قال البعض الآخر انها أساءت الى تشيخوف معتبرة اياه (كاتب اليأس والموت)، واعتبر النقد الادبي السوفيتي اسم شيستوف رمزا لعدم استيعاب الباحثين في مرحلة ما قبل ثورة اكتوبر 1917 لابداع تشيخوف وانسانيته، بل واعتبروا عنوان الدراسة هذه نفسها، اي (ابداع من لاشئ)، اساءة لتشيخوف وابداعه، بينما أكّد الاخرون، ان شيستوف اراد ان يقول في صياغته للعنوان، ان عبقرية تشيخوف استطاعت ان تعطينا ابداعا من لاشئ، وان هذا الابداع قد جعله في مصاف الادباء الكبار في روسيا وفي خارجها ايضا، وانه يمتلك خصائصه الفنية والابداعية.

ان هدف مقالتنا هو الاشارة - قبل كل شئ - الى دراسة شيستوف واهميتها في تاريخ النقد الادبي الروسي (والتي تكاد ان تكون مجهولة للقارئ العربي)، والتأكيد - مرة اخرى - على مكانة تشيخوف في مسيرة الادب الروسي خصوصا والادب العالمي بشكل عام .

اتمنى ان (يتطوع !) مترجم عراقي او عربي بترجمة هذه الدراسة العميقة للفيلسوف الروسي شيستوف عن تشيخوف، وذلك لاغناء مكتبتنا العربية، اذ لا مجال لي شخصيا القيام بذلك مع الاسف. هل من مجيب؟

16- تشيخوف وموباسان

تشيخوف وموباسان موضوع قديم - نسبيا - في الدراسات المقارنة بين الادبين الروسي والفرنسي بشكل خاص وعلم الادب المقارن بشكل عام، فقد كان بعض نقاد الادب الروس يطلقون على تشيخوف تسمية - (موباسان روسيا) عندما كان تشيخوف لا يزال على قيد الحياة في القرن التاسع عشر، وقد استمرت هذه المقارنة في النقد الادبي الروسي طويلا، وانعكست بعدئذ حتى في الدراسات النقدية الادبية المقارنة خارج روسيا، بما فيها في عالمنا العربي، على الرغم من ان هذه المقارنة الادبية قد خفتت في نهاية حياة تشيخوف، خصوصا بعد ان برز تشيخوف في عالم الادب المسرحي، والذي كان بعيدا جدا بالطبع عن اجواء موباسان وقصصه، ولكن يجب الاشارة من جانب آخر، الى انه كان هناك في روسيا نفسها - مع ذلك - من يعتقد ان عوالم قصص تشيخوف تختلف عن عوالم قصص موباسان، وقد كتب - مثلا - الاديب السوفيتي المعروف ايليا ايرنبورغ (1891-1967) حول هذا الموضوع من جديد في ستينيات القرن العشرين (بكتابه الذي ترجمته الى العربية بعنوان -تشيخوف، ونشرته في بيروت اولا في نهاية السبعينات من القرن الماضي ضمن سلسلة اعلام الفكر العالمي، وصدرت طبعته الثانية في بغداد قبل اكثر من ثلاثين سنة تقريبا) قائلا، انه يتعجب (كيف استطاع كثير من النقاد ولعشرات السنين ان يطلقوا على تشيخوف اسم - موباسان روسيا)، رغم ان ايرنبورغ نفسه يشير الى ان (غالبا ما كان تشيخوف يتحدث برقة وامتنان عن موباسان، ويوجد فعلا في المهارة الفنية لتشيخوف وموباسان شئ ما مشترك، اذ انهما قد توصلا الى تعبيرية فذّة وغير اعتيادية في مجال القصة، والتي غالبا ما كانت خالية من الاحداث والمواضيع المتشابكة، ومع هذا، فان تشيخوف لا يشبه موباسان)، ويستطرد ايرنبورغ قائلا (ان الالوان والاحاسيس والمواضيع التي نجدها عند موباسان غريبة عن تشيخوف، وهي على الارجح بعيدة المنال بالنسبة له، ولكن لم يكن باستطاعة موباسان ابدا ان يكتب (حكاية مملة) او (قصة انسان مجهول) او (ردهة رقم 6) ...) (وهذه عناوين قصص معروفة ومشهورة لتشيخوف)، وكنت اظن ان هذا الموضوع (اي تشيخوف وموباسان) قد أصبح عتيقا نوعا - ما في النقد الادبي المقارن

والبحث العلمي في روسيا وخارجها ايضا، ولكني اكتشفت قبل فترة قصيرة ليس الا ان الامر ليس كذلك ابدا، فقد وجدت - مثلا - اطروحة دكتوراه بعنوان - (تشيخوف وموباسان) قدمتها الباحثة الروسية ساكولوفسكايا في جامعة نوفغورد الحكومية عام 2005، واطلعت على خلاصتها، وادهشتني هذه الاطروحة بافكارها وروحيتها وشموليتها وخصوصا عدد مصادرها الروسية والفرنسية والانكليزية والتي بلغت 439 مصدرا، لهذا قررت العودة الى هذا الموضوع وكتابة هذه المقالة حول تشيخوف وموباسان، كي اعرض للقارئ العربي هذه الاطروحة اولا، لأني اظن ان هذا العمل العلمي يستحق بجدارة ان نطلع عليه ونتأمله وربما نستفاد منه في بحوثنا العلمية في مجال الادب المقارن، اي من افكاره وخلاصاته واستنتاجاته، وثانيا لاني وجدت ان هذا الموضوع لا يزال فعلا مطروحا في الساحة الادبية الروسية، رغم كل هذه الفترة الزمنية الطويلة التي مرّت منذ نهاية القرن التاسع عشر ولحد الان، اذ يتناوله ويشير اليه العديد من الباحثين الروس في ادب تشيخوف لحد الان، ومنهم - مثلا - البروفيسور كاتايف - رئيس قسم تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر في كلية الاداب بجامعة موسكو، والذي سبق لي ان أشرت اليه في بعض مقالاتي السابقة حول تشيخوف، والذي يعد في الوقت الحاضر واحدا من اكبر الباحثين المتخصصين الروس في ابداع تشيخوف، والذي كتب في موضوع الدراسات النقدية المقارنة مقالة معروفة ونشرها في كتاب اصدرته دار نشر (ناووكا) (علوم) المشهورة باصداراتها العلمية المعمقة، والتي تشرف عليها اكاديمية العلوم الروسية، وعنوان الكتاب هذا هو (تشيخوفيات) ويضم مجموعة من المقالات، وكان عنوان مقالته هو - (موباسان وتولستوي وتشيخوف - ثلاث قمم لموضوع واحد)، ولا مجال هنا للتوسع في هذه الاشارة البسيطة الى مقالة كاتايف، اذ اني اود في ختام مقالتي هنا ان اعرض اطروحة الدكتوراه عن تشيخوف وموباسان، التي اشرت اليها اعلاه.

تقع الاطروحة المذكورة لساكولوفسكايا ب 194 صفحة وتحتوي على مقدمة وفصلين وخاتمة وقائمة بالمصادر. تتناول المقدمة دراسة نظرية معمقة جدا لنظرة النقد الادبي الروسي تجاه موباسان اولا ثم تجاه تشيخوف ثانيا، وتؤكد الباحثة، ان النظرة الى موباسان - رغم سعتها وخصوصا في العشرين سنة

الاخيرة في روسيا - لا زالت غير شاملة وهي في الواقع أقل مما يجب تجاه هذا الاديب الفرنسي الكبير، اما النظرة الى تشيخوف - حسب رأيها - فانها شاملة جدا ومعمقة في النقد الادبي الروسي، وبالتالي فانها اوسع واكثر شمولية من النظرة الى موباسان، وتستنتج من ذلك ان الدراسات النقدية المقارنة بين الاديبين غير متكافئة، وتعرض في الفصل الاول التنوع القومي عند الاديبين وارتباط كل منهما بالتقاليد القومية لادبيهما ومسيرته وانعكاسات تلك التقاليد على ابداعيهما وبالطبع انطلاقا من خصائص السرد الادبي لكليهما، ثم تنتقل في الفصل الثاني الى مقارنه الشخوص الفنية في نتاجاتهما الابداعية من انسانهما المسحوق اجتماعيا الى شخوص الفلاحين والنساء ورجال الدين ...الخ. ولا يمكن بالطبع عرض كل تلك الاراء التي جاءت في تلك الاطروحة تفصيلا، واظن انه من الواجب على الباحثين العرب في مجال الادب الروسي وكذلك في مجال النقد الادبي المقارن ترجمة خلاصتها في الاقل الى العربية، هذه الخلاصة التي يمكن لها ان تمنحنا صورة مختصرة ولكن متكاملة بلا شك عن هذه الاطروحة المهمة، وخصوصا المصادر، والتي كما اشرنا اعلاه، الى انها بلغت 439 مصدرا باللغات الروسية والفرنسية والانكليزية حول هذا الموضوع، اذ ان جمع هذه المصادر بحد ذاتها وترتيبها في قائمة واحدة في اطار الضوابط العلمية الدقيقة يعد عملا علميا غاية في الاهمية، ومن الضروري جدا للمترجم - في حالة تحقيق هذا المقترح - ان يلحق بترجمته – قدر الممكن طبعا - هوامش وتعليقات حول تلك الخلاصة بشكل عام وحول تلك المصادربالذات بشكل خاص.

تشيخوف وموباسان - موضوع مطروح في النقد الادبي المقارن منذ نهاية القرن التاسع عشر ولحد الان - هذه هي خلاصة المقالة الوجيزة، التي قدمناها للقارئ هنا وهذا هو استنتاجها.

17- تشيخوف وبرنارد شو

كلاهما (تشيخوف وبرنارد شو) ولدا في القرن التاسع عشر، وكلاهما توفيا في القرن العشرين، الا ان برناردشو ولد عام 1856، اي قبل 4 سنوات من ولادة تشيخوف، وتوفي عام 1950، اي بعد وفاة تشيخوف ب 46 سنة، ولا توجد في الوثائق والدراسات الادبية حول تشيخوف ما يشير الى ان الاديب الروسي قد اطلع على ابداع برنارد شو بشكل عام، او على دوره في عالم الادب المسرحي اثناء حياته، اما بردنارد شو فعلى العكس تماما، اذ انه قد اطلع - وبعمق - على نتاجات تشيخوف وادبه المسرحي بالذات واهميته في هذا المجال الابداعي ودوره المتميز فيه، بل وقد انعكس هذا الاطلاع حتى على نتاجات برنارد شو المسرحية اللاحقة بشكل دقيق و مباشر، وتتناول الدراسات الروسية في مجال الادب المقارن بين تشيخوف وبرناردشو هذه العلاقات بين الاديبين المسرحيين الكبيرين، وهذا ما سنحاول - بشكل عام - التطرق اليه في هذه المقالة الوجيزة والتحدث عن هذا الموضوع الطريف والممتع حقا والذي لم يسبق للباحثين العرب - حسب معلوماتنا المتواضعة - ان تناولوه في بحوثهم وكتاباتهم بشكل واسع ومعمق، رغم ان الكاتبين يعدان من اشهر المؤلفين المسرحيين لدى القراء العرب عموما.

النقطة الاولى والاساسية في هذه المقالة والتي تستوجب التوقف تفصيلا عندها في هذا المجال هي مسرحية برنارد شو (بيت القلوب المحطمة) (جاءت في بعض الترجمات العربية ب - منزل القلوب المحطمة)، و قد كتبها برنارد شو عام 1917 و صدرت عام 1919، وهي مسرحية كوميدية مشهورة عالميا، ونتوقف عندها بالذات لان النقد الادبي الروسي يربطها وبشكل واضح ودقيق بالتأثير المباشر لمسرح تشيخوف وبنيته على مسرح برنارد شو، وقد أشار برنارد شو نفسه في العنوان الثانوي لتلك المسرحية الى انها - (فنتازيا على الطريقة الروسية حول موضوعات انكليزية)، بل يوجد قول لبرناردشو نفسه في الذكرى الاربعين لوفاة تشيخوف يذكر فيه - من جملة ما يذكر - بانه (.. كتب مسرحيته بيت القلوب المحطمة تحت تاثير تشيخوف)، ويرى النقاد الروس ان هذه المسرحية تذكّر فعلا بمسرحية تشيخوف - (بستان الكرز) بشكل او بآخر من

حيث رمزيتها، اذ انها تتناول ايضا، مثل مسرحية تشيخوف، مصير البلاد في بداية مرحلة جديدة تختلف نوعيا وجوهريا وجذريا عن المرحلة التي مضت، ف (البيت - الباخرة) في مسرحية برنارد شو هو رمز لانكلترا التي خرجت من الحرب العالمية الاولى، اي رمز للبيت الذي لم يكن هناك من يمتلكه او يديره او يوجهه في ذلك الزمن الجديد، وهو يذكّر - بالتالي - ببستان الكرز عند تشيخوف، والذي كان يرمز الى روسيا نفسها، التي كان يجري بيعها وتقسيمها في بداية قرن جديد يختلف ايضا نوعيا وجذريا عن القرن الذي مضى، وعدا ذلك، فان مسرحية برنارد شو الكوميدية تلك كانت مليئة بالحوارات المتشابكة جدا حول احداث حياتية تخلق تلك الاجواء الفنتازية - حسب العنوان الثانوي للمسرحية - والتي تذكرنا فعلا بالاجواء الروسية الغريبة جدا. وهناك في النقد الادبي الروسي الكثير من الدراسات التفصيلية حول المقارنة بين هاتين المسرحيتين بالذات بما فيها أطاريح جامعية عديدة، بل ان هذا الموضوع يدخل حتى في منهج بعض المدارس الثانوية لتوسيع افق المعرفة للتلاميذ واعدادهم لاحقا للتخصص في دراسات العلوم الانسانية، وقد اطلعت على كتيب تفصيلي خاص أعدته احدى مدرسات الادب الروسي في الصف العاشر في تلك المدارس حول هذه المقارنة بين مسرحية تشيخوف بستان الكرز ومسرحية برنارد شو بيت القلوب المحطمة، وما الذي يجب على مدرس الادب في هذا الصف ان يركّز عليه في شرحه للتلاميذ بشأن هذا الموضوع والمقارنة بين الافكار والشخصيات ..الخ، ولا مجال هنا طبعا للحديث التفصيلي عن كل هذه النقاط، الا ان النقد الادبي العربي لم يتحدث عن ذلك الارتباط لهذه المسرحية بالادب الروسي بشكل محدد وواضح، على الرغم من اننا نجد بعض الاشارات البسيطة حول ذلك هنا وهناك ليس الا، مثل ما كتبته ندى زين الدين في الموسوعة العربية، الصادرة بدمشق (الفقرة الخاصة ب جورج برنارد شو) ما يأتي حول هذه المسرحية - (.. ويتضح من خلال المسرحية تأثر شو بأنطون تشيخوف وليف تولستوي ..)، ولكنها لم تبين اين انعكس هذا التأثر، ولم توضح كيف استخلصت ذلك الاستنتاج الكبير والمهم فعلا، وربما لا تسمح طبيعة الكتابة التعريفية المركّزة والمضغوطة - ان صحّ التعبير - في الموسوعات عامة الاستطراد في هذا المجال واعطاء تفصيلات حوله، ولكن الاشارة الى هذه القضية الكبيرة كانت تقتضي - مع ذلك - اضافة

جملة او جملتين في الاقل لتوضيحها والا فانها تفقد معناها، اما الصحفي والناقد الادبي المعروف الاستاذ ابراهيم العريض فقد كتب مقالة طويلة عن هذه المسرحية في جريدة الحياة اللندنية بتاريخ 6 آب / اغسطس عام 2014 وتحت عنوان - (بيت القلوب المحطمة لجورج برناردشو - خرافات المجتمع الانكليزي وأكاذيبه)، وهي مقالة رائعة كما هو الحال في كل ما يكتب الاستاذ العريض، ولكنه لم يذكر هناك بتاتا موضوع تأثير تشيخوف او الادب الروسي بشكل عام على برنارد شو حول اجواء هذه المسرحية وافكارها، بل اني اندهشت لان هذا الكاتب المتميز بدراساته العميقة حول الاداب الاجنبية عموما والادب الروسي بشكل خاص (انظر مقالتنا بعنوان - ابراهيم العريض والادب الروسي) لم يتوقف حتى عند العنوان الثانوي الذي كتبه برنارد شو نفسه لهذه المسرحية و هو انها - فنتازيا على الطريقة الروسية حول موضوعات انكليزية، كما اشرنا اعلاه، وبالتالي لم يوضح لنا لماذا كتب برنارد شو هذا العنوان الثانوي لمسرحيته وما الذي اراد ان يقوله عبر ذلك، اذ لا يمكن ان يكتب المؤلف المسرحي - وباهمية ومستوى برنارد شو - هذا العنوان الثانوي لمسرحيته عبثا ودون دلالات محددة ودقيقة ترتبط بذلك فعلا.

هناك نقاط اخرى طبعا في اطار هذا الموضوع، واهمها عناصر التشابه والاختلافات بين المسرحيات ذات الفصل الواحد التي كتبها تشيخوف وبرنارد شو، و تناولها النقد الادبي الروسي في القرن العشرين وقد اطلعت على بحث معمق صدر عام 2005 حول ذلك في المجلة العلمية لجامعة فولغوغراد الحكومية تناولت فيه الباحثة فاسيلييفا وبالتفصيل كل هذه المسرحيات ذات الفصل الواحد مع مقارنة تفصيلية بينهم من حيث الموضوعات والاسلوب الكوميدي والشخصيات..الخ، وبشكل عام، فان النقد الادبي الروسي يولي اهمية كبيرة جدا للنتاجات الابداعية لجورج برنارد شو ومقارنتها بنتاجات الادباء الروس، وهو موضوع كبير في علم الادب المقارن و يستحق الدراسة والتأمل بلا شك.

18- شاكر خصباك و تشيخوف

ولد أ.د. شاكر خصباك في الحلة عام 1930، ويعد واحدا من اعلام العراق المعاصر، فهو قاص وروائي وكاتب مسرحي ومترجم وكاتب مذكرات ومقالات اضافة الى انه اكاديمي كبير ومعروف في علم الجغرافيا، وقد حصل على درجة الاستاذية (بروفيسور) عام 1974. اصدر د.خصباك اكثر من ثلاثين كتابا بين تأليف وترجمة في كل تلك الاجناس الادبية وفي مجال اختصاصه (الجغرافيا) بالطبع. تتناول مقالتنا هذه كتابا واحدا من اصداراته تلك وهو بعنوان / تشيخوف / والذي يندرج ضمن موضوعة الادب الروسي في العراق.

صدر هذا الكتاب عام 1954 في بغداد ضمن منشورات مجلة / الثقافة الجديدة / المعروفة، والتي لا زالت تصدر في العراق لحد الان، وهي مجلة مهمة جدا في تاريخ العراق الفكري بشكل عام والسياسي بشكل خاص،وتعكس اراء الحزب الشيوعي العراقي وتعبر عن نظرته الفلسفية وسياسته.

اشار د. خصباك في رسالة له الى أ.د. عبد العزيز المقالح (رئيس جامعة صنعاء ومستشار الرئيس اليمني في شؤون الثقافة آنذاك) الى هذا الكتاب وسبب اصداره قائلا - (طلب مجلس السلم العالمي من محبي الكاتب الروسي انطون تشيخوف الاحتفال بمرور خمسين عاما على وفاته، فأقترحت عليهم ان اتولى اخراج كتاب عن تشيخوف، عوضا عن المجلة (يقصد مجلة الثقافة الجديدة التي أوقفت الحكومة آنذاك اصدارها) فرحبوا بذلك، فانهمكت ليلا ونهارا في عملي، واستطعت انجاز الكتاب في موعده. وقد اشتمل على مختارات من قصصه ومسرحياته القصيرة مع دراسة عن ادبه وملخص عن اهم المحطات والاحداث عن حياته، وصدر الكتاب في مطلع الشهر، اي في موعد صدور المجلة تحت عنوان (منشورات الثقافة الجديدة) وكان اول منشور تصدره مجلة الثقافة الجديدة عام 1954..... وبهذه المناسبة،ان كتاب انطون تشيخوف كان يومذاك من اوائل الكتب التي تصدر باللغة العربية عن تشيخوف...)، / من رسالة د.خصباك الى د.المقالح عنوانها - علاقتي بالادب والمجلات الادبية / موقع الحوار المتمدن. وكما هو واضح في الرسالة، فان اصدار هذا الكتاب لم يكن بمبادرة من هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة وانما بطلب من مجلس السلم العالمي،

والمجلس هذا - منظمة سياسية، اي ان هدف اصدار الكتاب كان سياسيا، ويتلائم هذا الهدف مع طبيعة المرحلة آنذاك عندما امتزجت السياسة بالادب كليا لدرجة يتعذر الفصل بينهما، وقد كان كل كلام عن الادب الروسي حينها يعني موقفا يساريا بالضرورة. ويشير د. خصباك في رسالته تلك ايضا، الى ان الكتاب كان (من اوائل الكتب ..عن تشيخوف) اي انه ليس اول كتاب عن تشيخوف بالعربية كما صرح د. خصباك نفسه في كلمته باتحاد الادباء في صنعاء بجلسة مكرسة لتكريمه عام 2001، والتي حضرتها عندما كنت استاذا زائرا في جامعة صنعاء، واذكر اني همست في اذن صديقي أ.د. علي يحيى منصور رئيس قسم اللغة الالمانية في كلية اللغات بجامعة صنعاء آنذاك والذي كان يجلس جنبي، ان جملة د. خصباك ليست دقيقة، اذ ان اول كتاب عربي عن تشيخوف كتبه نجاتي صدقي وصدر عام 1947، وان كتاب د. خصباك هو اول كتاب في العراق وثاني كتاب باللغة العربية عن تشيخوف. ولم أشأ (وكذلك صديقي د . علي منصور) ان نشير الى ذلك في تلك الجلسة التكريمية الجميلة للاديب والعالم العراقي الجليل في صنعاء. بعد انتهاء الجلسة اقتربتا مني فتاتان منقبتان وقالت لي احداهما، انهما سمعا ما همست به وسألتني لماذا لم تتحدث بذلك علنا؟ فوجئت بهذا السؤال واكتفيت بالابتسامة متملصا من هذا الموقف المحرج. هذا وقد التقيت به في بيت أ. د. عبد العزيز المقالح، رئيس جامعة صنعاء آنذاك، والذي ذهبت اليه بصحبة أ.د.حاتم الصكر وأ.د.عبد الرضا علي وأ.د. علي يحيى منصور، وكانت جلسة مفتوحة رائعة حضرها كثير من اساتذة جامعة صنعاء ومثقفي اليمن، وقد كان د.خصباك في صدارة الحاضرين، وقد اقتربت منه بعد انتهاء الجلسة وقلت له ،باني تشرفت بالكتابة له عندما كنت طالب دكتوراه في جامعة باريس عام 1967 ،عندما كان يعمل في جامعة الرياض، وطلبت منه نسخة من كتابه عن تشيخوف، فرد د. خصباك رأسا بانه يعتذر لأنه لم يكتب لي ردا على رسالتي تلك، فقلت له باني استلمت جوابا جميلا منه ، وانه يعتذر عن ذلك لعدم وجود الكتاب لديه في الرياض، وانني لا ازال احتفظ برسالته وطلبت منه السماح لي بنشرها، فابتسم د. خصباك عندها ووافق بكل سرور على طلبي. وقد تشرفت فيما بعد ان ازوره في شقته مع قريبه د.عائد خصباك ،التدريسي في احدى الجامعات اليمنية، وتحدثنا كثيرا عن ترجمات الادب الروسي الى العربية ودور

غائب طعمة فرمان المتميز في ذلك، ولا تسمح لي طبيعة هذه المقالة الاسترسال اكثر، ولكن يجب علي حتما ان اشير الى ان الانطباع عن د.خصباك كان رائعا، واني لمست فيه تواضع العلماء وسعة الثقافة وعمق المعرفة. واعود الى صلب الموضوع ،اي الى كتاب د. خصباك عن تشيخوف. لقد كان عمر د.خصباك عند اصداره لهذا الكتاب 24 سنة ليس الا، وعلى الرغم من ان خصباك بدأ بالنشر منذ كان عمره 15 سنة عندما كان تلميذا في المدرسة، وانه اصدر كتابه الاول عندما كان عمره 18 سنة (وكان بعنوان صراع وهو مجموعة قصص قصيرة) عندما كان طالبا في جامعة القاهرة، واصدر كتابه الثاني عام 1951 في القاهرة ايضا (كان بعنوان عهد جديد وهو مجموعة قصص قصيرة ايضا) وكان عمره 21 سنة، وهذه ظاهرة فريدة في تاريخ الادب العراقي الحديث،ومن الممكن ان يكتب الشخص الموهوب (وكان خصباك نموذجا فذا لتلك الظاهرة) نتاجا ادبيا سواء كان شعرا او نثرا، الا ان كتابة دراسة عن اديب اجنبي لم يكن معروفا تقريبا وبما فيه الكفاية باللغة العربية آنذاك هو أمر يثير الاستغراب فعلا. انني اعتقد جازما، ان اصدار خصباك لكتاب عن تشيخوف وهو بهذا العمر يعد مأثرة فكرية من هذا الشاب العراقي اليافع، وهي خطوة لا يستطيع ان يقوم بها سوى شاب متحمس جدا، اذ كيف يمكن ان نؤلف كتابا عن اديب اجنبي لم نقرأ له شيئا تقريبا، ولا نعرف اللغة التي كتب بها وفي بلد مثل العراق في خمسينيات القرن الماضي، حيث كانت السياسة تمتزج بالادب بشكل لا يمكن الفصل بينهما؟ والحق يقال، ان الشاب الشجاع شاكر خصباك قد خاض هذه التجربة العلمية الفذة وخرج منها سالما تقريبا. لقد كان خصباك بحكم دراسته في العراق ومصر يعرف اللغة الانكليزية، واستطاع ان يجد عدة مصادر بالانكليزية عن تشيخوف، وقد اختار مسرحيتين ذات فصل واحد وعدة قصص له وترجمها الى العربية (وهذا بحد ذاته عمل ابداعي رائع) وكتب مقدمة حول ادب تشيخوف معتمدا على ما اطلع عليه في تلك المصادر الانكليزية، واضاف الى ذلك جدولا تفصيليا لمسيرة تشيخوف الحياتية والابداعية ترجمها عن الانكليزية من تلك المصادر ايضا. ونرى انه من الضروري جدا هنا التوقف قليلا عند المقدمة تلك، اذ انها تحمل كل صفات المرحلة الفكرية، التي كانت تسييس الادب والفن عموما

وتؤدلجه وتجعل الخطاب السياسي المباشر سائدا وحاكما. لقد ركّزت المقدمة تلك على مواقف تشيخوف السياسية وليس الابداعية ،ونستشهد ببعض الامثلة الآتية -

(..من الغريب ان ينجو تشيخوف من عقاب الحكومة القيصرية التي لقي على يديها اغلب الكتاب الروس الوان العذاب وصنوف التشرد والسجن والانتقام بل والموت)، (لم يألو تشيخوف جهدا في مساعدة الفقراء)، (يرفض تشيخوف الاجور التي يقدمها له الفلاحون الفقراء)، (كشف تشيخوف في كتاباته عن وحشية الحكومة القيصرية في معاملة الشعب الروسي)، (لم يكن تشيخوف يكتب للشعب الروسي فقط بل للانسانية جمعاء، وقد آمن بضرورة الرحلات ليطلع على حياة مختلف الشعوب... وسافر فعلا الى الشرق الاقصى والاوسط وجاب بلدان اوربا وكان يود السفر الى استراليا وامريكا لولا صحته المعتلة..) ولم يخطر ببال كاتبي هذه السطور ولا ببال مترجمها الشاب العراقي اليافع خصباك كيف يستطيع تشيخوف ان يسافر هكذا في ظل حكومة وحشية لقي الادباء على يدها الوان العذاب. ولا اريد التوقف عند النظرة السائدة حول الادب الروسي في العراق في تلك الفترة اذ لم يكن المثقف العراقي آنذاك عميق النظرة الى الاداب العالمية عموما والادب الروسي خصوصا ولا ما كان يجري من صراعات فكرية عميقة في مضمارها.

يختتم د. خصباك مقدمته (التي اسماها دراسة في رسالته) بالاشارة الى كتابات (نقاد)، وهم في الواقع باحثون كتبوا عن تشيخوف من وجهة النظر الرسمية التي كانت سائدة آنذاك ليس الا، ثم يتوقف عند مكسيم غوركي ويستشهد بما كتبه عن تشيخوف وهي كلمات حماسية جميلة تشير الى جانب من عبقرية تشيخوف الابداعية ولا تؤكد تلك الصفات التي اغدقها خصباك على تشيخوف في بداية مقدمته والتي جعلت تشيخوف مناضلا اجتماعيا...

ان كتاب (تشيخوف) للاستاذ الدكتور شاكر خصباك - مؤلف رائد تماما في تاريخ الادب الروسي في العراق والعالم العربي عموما، اذ انه اول كتاب عن تشيخوف في العراق وثاني كتاب عنه في العالم العربي باللغة العربية،وتكمن اهميته طبعا في انه اعطى للقارئ العراقي والعربي عموما عدة نصوص

لمسرح تشيخوف وقصصه، لم يسبق ان ترجمها احد، اضافة الى تعريفه لمسيرة حياة تشيخوف وابداعه.

من كتاب -

من بوشكين الى سولجينيتسن

صفحات من دفاتر الادب الروسي

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

معدة للطبع

19- عـادل كـاظـم وتشيخـوف

سنحت لي الفرصة أن أطّلع على بعض أعداد مجلة (المثقف) العراقية الشهرية، التي صدرت بعد 14 تموز 1958 عن جمعية الخريجين في الجمهورية العراقية، واستمرت الى 8 شباط الاسود 1963، وهي مجلة مهمة جداً في مسيرة الثقافة العراقية، ووجدت في محتويات العدد الثامن والعشرين (السنة الخامسة، والصادر في تموز 1962) مسرحية كتبها الأستاذ عادل كاظم عنوانها - (المنتقم)، وتذكرت رأسا تشيخوف، إذ نه كتب قصة قصيرة في بواكير مسيرته الابداعية بهذا العنوان، ولم يخطر ببالي ارتباط ذلك بمسرحية عادل كاظم أبداً، وقد أسرعت - مع ذلك - الى الصفحة 61 من المجلة المذكورة لأطلع عليها، ووجدت فعلاً أن (المنتقم) هي - (مسرحية في فصل واحد أعدها عادل كاظم جواد عن قصة تشيخوف القصيرة بهذا العنوان)، وتذكرت أن هناك مسرحية أعدها الفنان العراقي الكبير بدري حسون فريد ونشرها في مجلة (الأقلام) العراقية عن قصة تشيخوف (الحرباء)، وهي محاولة رائعة لمسرحة تلك القصة التي تتناغم مع كل المجتمعات الانسانية ، حيث يسود النفاق الاجتماعي أمام السلطة، وتذكرت أيضاً المحاولات الرائعة الأخرى للفنانة الكبيرة عواطف نعيم، التي قامت بمسرحة قصص تشيخوف، ولا مجال هنا للتوسع بالكلام عن كل ذلك، إذ أن تلك المحاولات تستحق كتابة مقالات خاصة بها في إطار دراسة موضوعة الأدب الروسي في العراق، لكني أود العودة الى مسرحية (المنتقم) للأستاذ عادل كاظم التي نشرها قبل أكثر من خمسين عاماً، والذي يُعدّ الآن العمل الرائد في هذا المضمار.

إن المسرحية هذه تدخل - بلا أدنى شك - ضمن موضوعة الأدب الروسي في العراق، ويمكن الاستشهاد بها وتقديمها كنموذج لتفاعل المثقف العراقي مع الأدب الروسي إبداعياً ، ويمكن أن نتفاخر بها أمام المتخصصين الروس، الذين يدرسون ويرصدون عملية انتشار الادب الروسي في العالم، ويؤسفني أن أقول، أن هؤلاء لم ينتبهوا الى ما قام به المثقفون العراقيون من جهد كبير في هذا المجال. لقد اطلعت على العديد من المصادر الروسية حيال ذلك، ووجدت أن موقع العراق يكاد أن يكون معدوماً تقريباً، بل أني اطلعت على كتاب ضخم من

القطع الكبير وبجزأين عن تشيخوف في آداب العالم صدر قبل عشر سنوات تقريباً، ولم أجد فيه أية إشارة الى العراق، واطلعت أيضاً على كتاب صادر عام 2011 عنوانه - (تشيخوف. الانسكلوبيديا)، والذي تم إصداره لمناسبة اختتام احتفالات روسيا بالذكرى الـ 150 سنة على ميلاد تشيخوف، وهو كتاب من القطع الكبير يقع في 696 صفحة، ولا توجد فيه أيضاً أية إشارة الى العراق (توجد إشارة بسيطة الى مصر واستشهاد بكلمة قالها الأديب المصري محمود تيمور ليس إلا حول تشيخوف)، ولا يتحمل الجانب الروسي الذنب في ذلك فقط، بل يتحمل الجانب العراقي ايضا جزءاً من هذا الذنب، إذ أننا لا نأخذ بنظر الاعتبار هذا النشاط المهم في الحوار الثقافي والحضاري مع شعوب العالم بشكل عام، وليس مع روسيا وحدها، بل ولا نولي له أية أهمية مع الأسف. ولا يمكن الاستطراد اكثر بشأن ذلك في إطار هذه المقالة، ونعود الى صلب الموضوع، أي الى الكاتب المسرحي العراقي المبدع عادل كاظم ومسرحيته - (المنتقم). تقع قصة تشيخوف في صفحتين تقريباً، أما مسرحية عادل كاظم فانها تشغل تسع صفحات كاملة من مجلة (المثقف)، والمؤلف العراقي محق في إطالة المسرحية، لأنه يكتبها قبل كل شيء لغرض عرضها على خشبة المسرح، وليس فقط للقراءة، وقد أشار الكاتب المسرحي الى ذلك قائلا - (لقد حاولت أن أحافظ على أجواء تشيخوف، وان تكون شورا قريبة من شخوص تشيخوف، برغم أني غيرت المكان الذي جرت فيه القصة من محل لبيع الأسلحة الى غرفة استقبال في بيت السيد سيجاييف، وأضفت شخصية جديدة ليس لها وجود في قصة تشيخوف، وهي شورا.)

من الواضح تماماً، أن الأستاذ عادل كاظم كان معجباً بقصة تشيخوف هذه، وإلا لما اختارها وحولها الى مسرحية، وهذا يعني انه قد فهم خصائص قصص تشيخوف، التي تعتمد على الحوار، وبالتالي فانه من السهل مسرحتها، وهذا شيء مهم جداً يجب الإشارة إليه والإشادة به،إذ أن الشاب العراقي عادل كاظم قد استوعب هذه الحقيقة الموضوعية حول أديب عالمي كبير مثل تشيخوف منذ 1962، أي قبل خمسين سنة، وحتى لو أنه قد تمرن عليها من أجل إبراز موهبته الإبداعية في هذا المجال لاحقا، ليس الا. هذا أولاً، أما ثانياً ،فإنه لم يكن موفقاً في اختيار تلك القصة، إذ أن مضمونها لا يتناغم ولا ينسجم بتاتاً مع الأخلاقيات

السائدة في مجتمعاتنا الشرقية، بل أنه لا يتطابق أيضاً مع أخلاقيات المجتمع الروسي بشكل عام. ان مضمون هذه القصة في الواقع ليس سوى نكتة ابتدعها خيال الشاب تشيخوف لعرض نموذج تافه من تلك النماذج الإنسانية، التي سخر منها تشيخوف، وعرضها في الكثير من قصصه المبكرة الساخرة آنذاك، شخصيات لم تتبلور أبعادها الإنسانية، ولا تمتلك إرادتها، ولا تعرف كيف تتصرف في مختلف المواقف الحرجة في الحياة، ولا رأي شخصي واضح لها. ان قيمة هذه القصة القصيرة لتشيخوف تكمن بالذات في تلك الصفات للبطل وليس في مضمونها بتاتاً، وقد استطاع المؤلف العراقي أن يعبّر عن ذلك فعلاً، إلا أن إطار المضمون بقي سائداً، ومن المؤكد أن المشاهد العراقي لا يمكن أن يستوعب هذا المضمون بتاتاً، ولهذا السبب لم تعرض هذه المسرحية على خشبة المسارح العراقية حسب علمي المتواضع، ومع ذلك أود أن اطرح سؤالي أمام الأستاذ عادل كاظم وهو - (هل تم عرض هذه المسرحية في مسارح العراق؟). إذاً سيكون الجواب سلبيا، فإن هذا يعني أن ملاحظتي صحيحة، أما إذا سيكون الجواب إيجابياً، فأرجو أن أعرف ردود الفعل تجاه هذه المسرحية، وفي كل الأحوال، أكرر وأؤكد، أن هذا العمل الابداعي الذي قدمه الاستاذ الكاتب المسرحي العراقي الشهير عادل كاظم قبل خمسين سنة يبين تفاعل المثقف العراقي مع الادب العالمي بشكل عام، والأدب الروسي تحديدا، ويشير بلا أدنى شك الى ان الكاتب المسرحي الكبير عادل كاظم (الذي أسهم بإغناء حركة المسرح العراقي كثيراً) هو واحد من المثقفين والمبدعين العراقيين الكبار، والذي يمكن لنا - وبثقة - أن نقدمهم للعالم العربي والعالمي عموماً، ونتباهى بهم.

20- بدري حسون فريد وتشيخوف

هذه خاطرة سريعة ليس الا، وهي تحتاج الى معلومات اوسع و بحث اعمق في سيرة حياة الفنان المسرحي الكبير الراحل بدري حسون فريد بلا شك، ولكني اود ان أطرحها فقط لانها - من وجهة نظري - تشكّل ركنا مهما جدا في اطار موضوعة الادب الروسي في العراق، وهي موضوعة اهتم بها بحكم اختصاصي ونشاطي الفكري منذ ان كنت تدريسيّا في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد طوال اكثر من ثلاثين سنة، و التي لا زلت متابعا لها بعد تقاعدي.

ابتدأت فكرة هذه المقالة عندي عن علاقة بدري حسون فريد بتشيخوف عندما كنت مشرفا علميا على اطروحة ماجستير بعنوان - (الادب الروسي في مجلة الاقلام العراقية)، والتي انجزها طالب الماجستير آنذاك هاشم الموسوي في تسعينات القرن الماضي في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد، اذ وجدنا عندها، ان الراحل بدري حسون فريد قد أعدّ مسرحية ذات فصل واحد ونشرها في مجلة الاقلام العراقية بعنوان - (الحرباء)، وهي في الاصل قصة قصيرة معروفة للكاتب الروسي تشيخوف، ولا اذكر - مع الاسف الشديد - عدد تلك المجلة ولا حتى التاريخ التقريبي لصدورها، وقد حاولت ان اجدها الآن عبر البحث في (غوغل)، والاستفسار هنا وهناك، ولكني لم أصل الى نتيجة، رغم اني أتذكر بشكل دقيق، ان الراحل بدري حسون فريد قد حافظ على روحية تشيخوف وخصائص بنيته الفنية في قصته تلك، واستطاع بمهارة فائقة ان يحولها الى مسرحية، مستخدما طبعا خبرته الطويلة في المسرح تمثيلا واخراجا ودراسة اكاديمية عميقة. ان العمل الذي قام به الراحل بدري حسون فريد في هذا الاعداد المسرحي لقصة تشيخوف تجعله يقف - وبجدارة واستحقاق عاليين - مع طليعة الفنانين المسرحيين العالميين الكبار، الذين فهموا بعمق طبيعة قصص تشيخوف و خصائصها، والتي يمكن بالتالي تحويرها وتحويلها الى مسرحيات في حالة معالجتها مسرحيا من قبل مسرحيين موهوبين ويمتلكون تجربة مسرحية كبيرة وعميقة فعلا مثل الراحل بدري حسون فريد.

لقد وجدت في المقالات التي نشرها العديد من الادباء والصحفيين والمسرحيين العراقيين بمناسبة رحيل بدري حسون فريد نقطتين ترتبطان بتشيخوف ايضا،

وهما، ان الراحل اثناء دراسته للمسرح في امريكا قد اشترك مع زملاء مسرحيين له في تمثيل مسرحية (الدب) لتشيخوف، والنقطة الثانية، ان الراحل قد أعدّ قصة تشيخوف (ردهة رقم 6) مسرحيا وقدّمها في مسارح بغداد في تسعينات القرن الماضي.

ان النقاط الثلاث، التي ذكرتها أعلاه، تجعل من طرحنا لهذه المسألة صحيحا جدا، بل وتجعلنا نستنتج، ان بدري حسون فريد قد تعامل مع تشيخوف بشكل علمي دقيق جدا، اذ انه اختار جوانب تتلائم وتنسجم، بل و حتى تعالج القضايا الاجتماعية العراقية بالذات، فقصة تشيخوف (الحرباء) التي حوّرها بدري حسون فريد ترتبط بشكل مباشر بموضوعة النفاق الاجتماعي البليد والخطير في نفس الوقت امام السلطة الغاشمة، وكيف (يتلوّن !) رجل البوليس و (يتنقل !) من موقف الى موقف آخر يتناقض تماما تبعا للظروف السائدة، أما قصة (ردهة رقم 6)، فانها تعتبر واحدة من قصص تشيخوف الشهيرة عالميا، والتي صوّر بها الواقع الروسي الرهيب، والتي أشار اليها او استشهد بها الكثيرون من الادباء والمفكرين الروس والاجانب (انظر مقالتنا بعنوان - لينين والادباء الروس، ملاحظات اولية // ومقالتنا بعنوان - أخماتوفا ومایاكوفسكي).

ختاما لهذه الخاطرة السريعة، أتمنى ان يحوز هذا الموضوع على الاهتمام اللائق به من قبل المتخصصين العراقيين في مجال الادب الروسي عموما، والعلاقات الثقافية العراقية - الروسية بشكل خاص، هذا الموضوع الحيوي، الذي يقتضي التعمق بدراسة السيرة الفكرية للراحل، اذ ان هذا الفنان المسرحي العراقي الكبير يستحق فعلا هذا الاهتمام به وهذه العناية الشاملة بتراثه الرائع.

21- تشيخوف الكويتي على مسرح اردني

اهدى لي أحد الاصدقاء قبل ايام العدد الاخير من مجلة (العربي) الكويتية العتيدة (العدد 711 الصادر في فبراير / شباط 2018)، وقال لي، انه يعرف حبي القديم لهذه المجلة العتيدة، وقد شكرته جزيل الشكر على هذه الهدية القيّمة الجميلة، وبدأت رأسا - وبكل شغف وحب - بالتعرّف على فهرسها، كما كنت افعل في الايام الخوالي، واستوقفني عنوان غريب في هذا الفهرس عن مسرحية (العطسة)، التي قدمتها فرقة مسرحية كويتية على خشبة المسرح الدائري في المركز الثقافي الملكي بالعاصمة الاردنية، أقول (استوقفني) هذا العنوان، لأنه ذكّرني رأسا بقصة معروفة كتبها تشيخوف بعنوان - (موت موظف)، وهي قصة مشهورة جدا لدى القراء في العالم العربي، اذ تم ترجمتها عدة ترجمات وعن اللغات الروسية والفرنسية والانكليزية على مدى السنوات الثلاثين الاخيرة (انظر مقالتنا بعنوان - حول قصة تشيخوف القصيرة موت موظف)، والتي تتحدث عن عطسة موظف بائس اثناء عرض مسرحي على شخص كان يجلس امامه، وكيف أدّت هذه العطسة اللعينة الى موته في نهاية القصة تلك، ولكني طرحت على نفسي سؤالا محددا وهو - لماذا جاءت هذه التسمية، اي العطسة، اذا كانت هذه المسرحية مقتبسة من قصة تشيخوف (موت موظف)؟ وهكذا بدأت أقرأ تلك المقالة مسرعا لمعرفة الاجابة عن سؤالي هذا، ووجدت الجواب فعلا، وقلت مبتسما لصديقي الذي أهدى لي المجلة - سأكتب مقالة حول ذلك بعنوان - تشيخوف الكويتي على مسرح اردني (وها انا ذا احقق ما وعدت به صديقي!)، لأنني اتابع الادب الروسي وانعكاساته في الحياة الثقافية العربية، واعتقد جازما، ان الموضوعة الروسية في آدابنا تستحق هذه المتابعة الدقيقة من قبل المتخصصين في كلا البلدين، لانها تعني دراسة التفاعل الثقافي والفكري بين روسيا والعالم العربي، و لاني اعتقد جازما ايضا ان الثقافة أفضل سبيل للتفاهم بين الشعوب.

وبعد مطالعتي لتلك المقالة، وهي بقلم الباحث الاردني رسمي الجراح، فهمت، ان مخرج هذه المسرحية الاستاذ عبد الله التركماني قد اختار تقنية (المسرح داخل المسرح)، وعرض مسرحية تشيخوف المعروفة - (الدب)، ولكنه اثناء عرض تلك المسرحية، جعل أحد ممثليها يعطس على مؤخرة رأس احدهم ،

ونتيجة لهذه العطسة، يتوقف عرض مسرحية (الدب)، وتصبح العطسة محور العرض، وهكذا يمزج المخرج الاحداث اللاحقة لعرضه بجوهر قصة تشيخوف - (موت موظف)، ويحاول استخدامها بشكل ذكي جدا وابداعي، اذ انه يتحدث عن خوف ورعب الناس البسطاء امام السلطة (في بلداننا طبعا!) بغض النظر عن كونهم ليسوا مذنبين امامها، وهو نفس الهدف الذي طرحه تشيخوف في قصته بشكل ساخر جدا وغير مباشر، ولكن المعالجة الابداعية للمخرج جعله ينطلق في اجواء اخرى، رغم انه استخدم نفس العناصر التشيخوفية، مثل موقف زوجة العطاس ورعبها من هذه العطسة، او تفكير العطاس بالاعتذار عن عطسته، او ضرورة ارسال رسالة اعتذار بالبريد للشخص الذي عطس على مؤخرة رأسه...الخ تلك التفصيلات الصغيرة والنموذجية طبعا، التي تعكس الخوف والرعب الذي يعاني منه الانسان البسيط الاعتيادي في مثل هذه المجتمعات.

تحية للفنانين المسرحيين في الكويت على هذا المزج الفني الابداعي لمسرحية تشيخوف (الدب) مع القصة القصيرة (موت موظف) لنفس هذا الكاتب، وتحويرها بهذا الشكل الجميل والرائع، وجعلها تعالج مشاكل مجتمعاتنا، هذا التحوير الذي يدّل - بما لا يقبل الشك - على تفهّم الفنانين الكويتين لاعماق الادب الروسي وروحيته.

ختاما، اود ان اهدي مقالتي الوجيزه هذه الى زملائي المتخصصين الروس، الذين يدرسون - وطوال سنين كثيرة - موضوع انتشار الادب الروسي خارج روسيا، ويؤكدون دائما على دول الغرب، ولا يلاحظون ما يجري في بلداننا في هذا الخصوص، وقد سبق لي ان كتبت حول هذا الموضوع المؤلم بالنسبة لنا، واقول (المؤلم) لاننا لا يمكن ان نبرر هذا الموقف من قبلهم، لدرجة، ان بعض الزملاء العرب المتخصصين في الادب الروسي بدأوا يتحدثون عن هذه الظاهرة، معتبرين ان موقف الزملاء الروس هو موقف متعمد. دعونا نأمل ان ذلك الموقف هو نتيجة لعدم معرفتهم فعلا لما يجري في بلداننا من دراسات وترجمات وكتابات حول الادب الروسي، وان علينا ايضا تقع مسؤولية اعلامهم بذلك.

22- ثلاثة كتب عن تشيخوف في سلسلة واحدة

الكتاب الاول عن تشيخوف في تلك السلسلة من الكتب الروسية صدر العام 1946، وهو من تأليف يرميلوف، والكتاب الثاني عن تشيخوف في نفس تلك السلسلة صدر العام 1974، وهو من تاليف بيردنيكوف، والكتاب الثالث عنه (وايضا ضمن نفس تلك السلسلة) صدر العام 2010، وهو من تأليف كوزيتشيفا.

الترجمة الحرفية لتسمية هذه السلسلة هي - (حياة الناس الرائعين // البارزين // المشهورين)، والترجمة العربية الملائمة والمناسبة لهذه السلسلة هي - (سيرة حياة الأعلام // العظماء). تصدر هذه السلسلة من الكتب الروسية واقعيا منذ القرن التاسع عشر، رغم انها لم تكن طبعا بمثل هذه الصورة المتكاملة والشاملة، الا انها توقفت بعد ثورة اكتوبر1917، ثم عادت الى الصدور بمبادرة من مكسيم غوركي في الثلاثينات بالاتحاد السوفيتي (ولازالت هذه الكتب تصدر وعلى صفحتها الاولى جملة - اسسها غوركي عام 1933)، واستمرت بالصدور منذ ذلك الحين و الى حد الان، وصدر منها مئات الكتب المتنوعة حول عظماء روسيا والعالم، وهي كتب تقع في مئات الصفحات وذات أغلفة فخمة وجميلة ومتميّزة، وفي كل كتاب نجد عشرات الصور النادرة والوثائقية لتلك الشخصية، وباختصار، فان تلك الكتب تحولت الى مصادر اساسية في المكتبة الروسية حول تلك الشخصيات، وقد وصلت نسخ طباعة بعض اعدادها من (100000) الى (150000) نسخة وحتى أكثر.

موضوعنا هنا هو الكتب الى صدرت عن تشيخوف ضمن هذه السلسلة، وعلى الرغم من ان هذه السلسة تتناول سيرة حياة شخص معين، اي تسجّل وقائع محددة ومعروفة، الا انها - مع ذلك - تختلف باختلاف المؤلف والمرحلة التي كانت تمر فيها روسيا، وهكذا نجد الكتاب الصادر عام 1946 عن تشيخوف بقلم يرميلوف يحمل خصائص تلك المرحلة السوفيتية، وليس عبثا، ان هذا الكتاب حاز على جائزة ستالين من المرتبة الثانية. يقع هذا الكتاب في 430 صفحة من القطع المتوسط، وقد تم ترجمته الى عدة لغات، منها لغتنا العربية. يصور يرميلوف في كتابه هذا حسب مفهوم سوفيتي بحت سيرة حياة تشيخوف، والتي كانت تعيسة، وكيف انه (اي تشيخوف) كان يبشّر بالمستقل الوضّاء، وهكذا نرى

عناوين الفصول في كتابه ترسم تلك الصورة - اذ تبتدأ بفصل عنوانه (في طفولتي لم تكن عندي طفولة)، ثم نجد بعد ذلك (نحن نعيش قبيل الاحداث العظيمة)، ثم نرى بعد عدة فصول فصلا بعنوان - (لا يمكن العيش أكثر هكذا)، ثم يأتي بعدئذ فصل - (السعادة - في المستقبل)، ثم في الختام تقريبا - (مرحبا ايتها الحياة الجديدة). وكل عناوين هذه الفصول مأخوذة فعلا من رسائل تشيخوف او من كلمات بعض ابطاله في قصصه الكثيرة او مسرحياته، وهي منتقاة بدقة ومهارة من نتاجاته ورسائله، وتؤدي بالقارئ الى استنتاج محدد مفاده، ان تشيخوف كان مبشّرا للنظام الذي حلّ في بلده لاحقا، وهو النظام السوفيتي، حيث ابتدأت (الحياة الجديدة !)، التي يقول فيها أحد ابطال تشيخوف - (مرحبا ايتها الحياة الجديدة) كما مرّ ذكره أعلاه. مؤلف الكتاب فلاديمير يرميلوف (1904-1965) كانوا يسمونه (الناقد الحزبي)، وكانت كتاباته كلها تؤكد على خط الحزب الشيوعي السوفيتي ونظرته الى الادب، وكان في تلك الفترة مشهورا واسما كبيرا في حركة النقد الادبي السوفيتي، الا ان مؤلفاته فقدت الان اهميتها و قيمتها، اذ اصبح مفهوم (الحزبية في الادب) في خبر كان كما يقول التعبير العربي الطريف.

الكتاب الثاني عن تشيخوف صدر عام 1974، وهو من تأليف بيردنيكوف (1915-1996)، الباحث السوفيتي المعروف، ومؤلف العديد من الكتب النقدية حول تشيخوف وتولستوي وغيرهم من كبار الادباء الروس، وهو بروفيسور في جامعة لينينغراد (بطرسبورغ حاليا). كتاب بيردنيكوف ذو طابع اكاديمي صرف، وقد وضعه الباحث في قسمين، وكل قسم يحتوي على عشرة فصول . تتوزع فصول القسم الاول بين مدينة تشيخوف تاغنروغ ودراسته فيها، ثم انتقاله الى جامعة موسكو وعمله في الطب والصحافة و كتابة القصص القصيرة و الكثيرة وتأثره بتولستوي وينتهي القسم بالبحث عن افكاره، اما القسم الثاني فيبدأ برحلته المهمة الى سخالين، والتوقف عند جملة جاءت في احدى رسائله تقول، ان الانسان بحاجة ولو الى (قطعة) من الحياة الاجتماعية والسياسية، ويتوقف الباحث في هذا القسم عند الحب لدى تشيخوف (يوجد فصل خاص بحبيبته ليكا ميزينوفا - وهي كاتبة ناشئة، وهناك قصة حب رومانسية بينهما)، وعن حياة

تشيخوف بعيدا عن موسكو وعن (السعادة الصعبة) عنده . لازال كتاب بيردنيكوف مهما في مسيرة الدراسات عن تشيخوف في روسيا.

الكتاب الثالث عن تشيخوف صدر عام 2010، ويقع في 847 صفحة من القطع المتوسط، وقد أصدرته سلسلة الكتب المشار اليها بمناسبة الذكرى (150) سنة لميلاد تشيخوف. مؤلفة الكتاب كوزيتشيفا (ولدت عام 1941) من أشهر المتخصصين في أدب تشيخوف بروسيا في الوقت الحاضر، ولديها عدة كتب عنه، منها كتاب مهم بعنوان - تشيخوف في النقد المسرحي الروسي، ويعدّ كتابها عن حياة تشيخوف ضمن هذه السلسلة واحدا من الاصدارات الرئيسة لدراسة حياة تشيخوف وابداعه، وقد اعيد طبعه عام 2012، ويتميّز بنظرة تفصيلية و شاملة ومتكاملة وموضوعية بكل معنى هذه الكلمات.

ثلاثة كتب عن سيرة حياة تشيخوف صدرت في روسيا، ولكن كل كتاب منها يحمل خصائص تلك المرحلة، التي صدر فيها.

23- كتاب بونين عن تشيخوف

هذا كتاب فريد ومتميز في مسيرة الادب الروسي وتاريخه، اذ لم يؤلف الادباء الروس الكبار كتبا مستقلة عن بعضهم البعض، بل ان البعض منهم قد كتبوا - ليس الا - مقالات مختلفة ومتفرقة هنا وهناك او رسائل الى الاصدقاء تضمنت ذكريات وانطباعات وملاحظات وأقوال... الخ عن بعضهم فقط، وتوجد كلمات وتصريحات سجلها صحفيون او مؤرخون او نقاد ادب حول هذا وذاك من الادباء الروس، اما ايفان الكسييفتش بونين (1870-1953)، وهو أحد كبار الادباء الروس ضمن سلسلة الاسماء الكبرى في هذا الادب و التي تبدأ ببوشكين في القرن التاسع عشر، فقد أصدر كتابا خاصا حول تشيخوف و بعنوان واضح ودقيق وصريح وهو – (عن تشيخوف) (و يمكن ترجمة العنوان الى العربية ايضا - (حول تشيخوف)، وقد كتب بونين هذا الكتاب في فرنسا، حيث هاجر وأستقر هناك بعد ثورة اكتوبر 1917 في روسيا، وحيث توفي وتم دفنه هناك ايضا عام 1953، ولكن الكتاب المذكور صدر عام 1955 في نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية، اي انه آخر كتاب لبونين، وصدر بعد سنتين من وفاته، وهذا يضفي على هذا الكتاب الجميل والمتميز في تاريخ الادب الروسي اهمية استثنائية جدا بالطبع، وقد اشارت دار النشر الروسية في نيويورك التي أصدرت هذا الكتاب الى ذلك في نهايته، حيث كتبت انها تنشر مخطوطة هذا الكتاب كما استلمتها من ورثة بونين دون اي تعديل اوحتى اي تصحيح احتراما وتقديرا للكاتب الروسي الشهير ايفان بونين وذكراه ومكانته في تاريخ الادب الروسي على الرغم من وجود ضرورة لذلك بشأن بعض النقاط، والتي اشارت دار النشر تلك الى ان بونين - في حالة لو كان باستطاعته مراجعة الكتاب هذا كان من المؤكد ان يقوم بتصليحها، ولهذا يطلقون على هذا الكتاب ايضا في مصادر النقد الادبي الروسي وتاريخ الادب الروسي ومسيرته تسمية - (مخطوطة غير منتهية، او غير نهائية) وهذا شئ صحيح ودقيق فعلا، وذلك لان وفاة بونين في باريس عام 1953 قد حالت - مع الاسف - من ان يضع مؤلف الكتاب المذكور - اي بونين - تلك اللمسات الاخيرة والنهائية لهذا الكتاب وان

يقوم بتصحيحه نهائيا قبل طباعته واصداره عام 1955 في نيويورك من قبل دار النشر الروسية هناك.

لقد تم تعارف بونين بتشيخوف في الامبراطورية الروسية آنذاك عام 1895، واصبحا بعدئذ قريبين في علاقاتهما وصداقتهما مع بعض في بداية عام 1900، وهناك (14) رسالة من تشيخوف الى بونين في ارشيف بونين، و(17) رسالة من بونين الى تشيخوف في ارشيف تشيخوف، وصدرت مقالة حول ذكريات بونين عن تشيخوف في روسيا لاول مرة عام 1905 (اي بعد سنة واحدة من وفاة تشيخوف) في كتاب يضم مجموعة مقالات بعنوان - (في ذكرى تشيخوف)، واعيد طبع هذا الكتاب في عام 1906، وقد دخلت تلك المقالة عن تشيخوف في مؤلفات بونين الكاملة، و التي صدرت عام 1915 في روسيا، ثم ظهرت مرة اخرى (منقحة ومزيدة) عام 1935 في مؤلفات بونين الكاملة و التي صدرت في برلين بالمانيا، ثم في كتابه الموسوم - (ذكريات) الذي صدر في باريس بفرنسا عام 1950، ثم في الكتاب الذي نحن بصدد عرضه هنا وهو - (عن تشيخوف) الذي صدر بعد وفاة بونين كما ذكرنا اعلاه.

مقدمة الكتاب كتبتها ارملة بونين السيدة ف.ن. بونينا، والتي أشارت الى ان الوضع الصحي لبونين عام 1952 لم يسمح له ان ينهض من السرير، ولكنه عندما كان يقدر ان ينهض ويتحرك، فانه يعود رأسا الى كتبه ونشاطاته الادبية ومنها بالذات كتابه الذي كان يعدّه عن تشيخوف، والتي كان يسميها بشكل عام ودقيق وساخر ايضا - (طبعات ما بعد الموت) . لقد اطلع بونين - حسب مقدمة ارملته للكتاب - با لذات في تلك الفترة على كتاب بعنوان - (رسائل تشيخوف) والذي كتب فيه تشيخوف عن بونين ونتاجاته وافكاره لاصدقائه واقاربه، وتأثر بونين جدا باراء تشيخوف الايجابية والموضوعية عنه في تلك الرسائل، ثم قرأ كتابا صدر آنذاك في موسكو بعنوان - (تشيخوف في ذكريات معاصريه) (انظر مقالتنا حول هذا الكتاب وبنفس العنوان) واعجبته مقالة السيدة أفيلوفا في ذلك الكتاب عن تشيخوف والتي كانت بعنوان - (تشيخوف في حياتي) (صدرت هذه المقالة بالعربية في بغداد بترجمة كامران قره داغي، انظر مقالتنا بعنوان كامران قره داغي والادب الروسي في العراق)، وهكذا قرر ان يكتب عن حياة هذه

المرأة وارتباطها بتشيخوف، ثم قرأ مقالة الناقد الادبي والفيلسوف الروسي المعروف في بداية القرن العشرين شيستوف بعنوان - (ابداع من لاشئ)، وهي مقالة مشهورة جدا في تاريخ النقد الادبي الروسي وأثارت ضجة كبيرة في حينها، والتي كتبها شيستوف ونشرها بعد وفاة تشيخوف، ثم بدأ بونين يطلب من زوجته ان تقرأ له كتبا اخرى بما فيها بعض نتاجات تشيخوف والتي حددها بونين نفسه او اشار اليها بقلمه عندما طالعها في حينه. لقد اشارت ارملته الى كل هذه النقاط العديدة وتحدثت عنها - وبالتفصيل الدقيق - في تلك المقدمة للكتاب المذكور والتي كتبتها بتاريخ 1955/2/28 كما اشارت في نهايتها، ويمكن القول - وبلا أدنى شك - ان هذه المقدمة تعد وثيقة مهمة جدا من وثائق تاريخ الادب الروسي ومسيرته.

الجزء الاول في الكتاب يتكون من معلومات وجيزة عن سيرة تشيخوف، والتي ذكرها لبونين شخصيا، ويتحدث الكاتب حتى كيف حصل على نسخة من شهادة ميلاد تشيخوف، ثم ينتقل الى تاريخ تعارفهما وبداية صداقتهما، ويتوقف عند اللقاء في يالطا مع تشيخوف وتولستوي وحديثهم عن الفن، وينتقل الى الحديث عن السيدة أفيلوفا ودورها في حياة تشيخوف وكيف تعارف معها هو شخصيا وعن تلك اللقاءات معها في موسكو عام 1915 وعام 1917 ومراسلاته معها في اوائل سنوات الهجرة في العشرينيات ثم انقطاع تلك المراسلات، ثم يتكلم عن الكلمة التي ألقاها في مسرح موسكو الفني عن تشيخوف بمناسبة مرور خمسين سنة على ميلاده، اي في عام 1910، وقد تحدّث بونين عن كل ذلك باسلوب طريف وجديد ومبتكر، اذ انه وضع كل هذه الذكريات في نقاط منفصلة عن بعض، مما اعطاه الحرية المطلقة بالانتقال من موضوع الى آخر دون الضرورة لربط تلك المواضيع المختلفة في بوتقة واحدة او نص واحد متكامل، وهو اسلوب رائع وسلس ويشدّ القارئ تماما، اذ ان هذا الانتقال السريع بين تلك النقاط التي يبدو وكأنها منفصلة عن بعض رغم انها تدور حول تشيخوف وشخصيته وتلك الآراء حول ابداعه، يجدد انتباه القارئ الى تلك النصوص دائما، وقد جاءت تلك المقاطع - بعض الاحيان - في جملة واحدة او جملتين لا أكثر، وأضرب هنا مثلا على ذلك ليس الا - (سألت والدة تشيخوف واخته - هل بكى تشيخوف يوما - ما؟، أجابتا - كلا، ابدا وطوال حياته. ويعلق

بونين على ذلك بكلمة واحدة فقط وهي - رائع) أو هناك قول لتشيخوف يكتبه بونين بايجاز دقيق ومحدد - (العبقرية - هي معرفة الحياة، العبقرية - هي الشجاعة)، وهناك الكثير من تلك الامثلة المشابهة لذلك. اما الجزء الثاني من ذلك الكتاب فتتضمن ملاحظات من دفاتر مذكرات بونين لعام 1914 ثم مقاطع مطولة من رسائل تشيخوف الى ادباء كثيرين وملاحظاته حول نتاجاتهم الادبية، وهم ادباء روس كبار مثل غوركي وكوبرين وفيريسايف وغيرهم، مع تعليقات ومداخلات من بونين نفسه طبعا بشأن تلك الملاحظات.

لقد رسم بونين في كتابه هذا صورة قلمية رائعة لتشيخوف، صورة يمكن ان تكون واحدة من أجمل لوحات المدرسة الانطباعية في الفن التشكيلي اذا امكن لنا التعبير هكذا، اذ انه رسم تلك الصورة لتشيخوف من عدة مواقع و زوايا مختلفة تمام الاختلاف وحسب الضياء الذي يسقط عليها، واعطى للقارئ حرية بلورة السمات الكاملة لتلك اللوحة في مسيرة النقد الادبي طبعا، اي انه رسم لوحة تشيخوف الفنية بكل ما يعني ذلك من معاني و احتمالات واجتهادات وحسب حزمة الضوء التي تسقط عليها كما في قوانين المدرسة الانطباعية في الفن التشيكيلي تماما. كم اتمنى ان يمتلك القارئ العربي ترجمة كاملة لهذا الكتاب المهم جدا حول تشيخوف - هذا الانسان الرائع والكاتب الجميل والرشيق والعميق فعلا قلبا وقالبا!

24- حول مسرحية تشيخوف الكوميدية - (الدب)

مسرحية تشيخوف الكوميدية - (الدب) هي سادس مسرحية لهذا الاديب المسرحي الروسي الشهير حسب التسلسل الزمني لمسرحياته، وقد كتبها في شباط / فبراير عام 1888 ونشرها في جريدة (نوفويه فريميا) (الزمان الجديد) في 30 آب / اوغسطس عام 1888 ولم تظهر باسمه الصريح، بل تم نشرها بتوقيع أ. ب. وهما الحرف الاول من اسمه (انطون) والحرف الاول من اسم الاب (بافلوفيتش)، رغم ان تشيخوف في تلك الفترة كان اديبا معروفا، وقد ترك الاسماء المستعارة والتي كثيرا ما استخدمها اثناء مسيرة حياته الادبية منذ ان ابتدأ بالنشر عام 1880، وربما يعني هذا ان تشيخوف اراد عدم الاعلان عن تلك المسرحية الكوميدية ذات الفصل الواحد،والتي عاد مرة اخرى لكتابتها بعد مسرحية (ايفانوف) المتعددة الفصول، وهي المسرحية الخامسة حسب التسلسل الزمني لمسرحياته، ومما يؤيد رأينا هذا، ان تشيخوف نفسه كتب بتاريخ 22 شباط / فبراير عام 1888 الى صديقه بولونسكي (اي في نفس الوقت الذي كتب فيه مسرحيته تلك) ما يأتي - (لقد كتبت فودوفيل فرنسي صغير وتافه بعنوان الدب لاني لا اقدر ان اعمل اي شئ، اذ استهلكت كل طاقتي عندما كتبت قصة السهب، بحيث اني لن استطيع - ولفترة طويلة - ان ابدأ بشئ - ما جدّي...ما العمل اذا كانت (يدي تحكني) وارغب بكتابة (ترللا)، وانا لا اقدر - مهما حاولت - ان اكون جديًا، وتختلط عندي دائما وابدا الجدية مع التفاهة. يبدو ان ذلك هو قدري) (مداخلة - كلمة فودوفيل التي استخدمها تشيخوف اعلاه تعني مسرحية هزلية ذات فصل واحد وهي كلمة فرنسية الاصل وقد دخلت الى اللغة الروسية بهذا المعنى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر)، وفي ايلول / سبتمبر من نفس العام وافقت رقابة المسرحيات بصعوبة كبيرة على السماح لهذه المسرحية بالعرض، بل كادوا يمنعونها،اذ كتب الرقيب عنها قائلا - (تثير هذه المسرحية انطباعا سيئا، وموضوعها اكثر من غريب، وتسودها الفظاظة، والاجواء فيها غير طيبة..)، وكذلك كان الموقف تجاهها شبه سلبي من قبل الادارة العامة لشؤون المطبوعات، والتي اشارت الى تفاهتها، ولكنهم سمحوا بنشرها لانها لا تتضمن (الاساءة الى احد).

تم العرض الاول لهذه المسرحية في 28 تشرين الاول / اكتوبر عام 1888 في مسرح كورش بموسكو، وقد كتب تشيخوف عن ذلك العرض قائلا - (كانت القهقهة سائدة ومتواصلة اثناء العرض، وقوطعت بعض المشاهد بالتصفيق، وبعد انتهاء العرض صفق الجمهور لها وطلب ظهور الممثلين مع المؤلف وصفقوا لهم ايضا)، اما شقيق تشيخوف، ميخائيل فقد كتب الى شقيقه بعد فترة من الزمن رسالة اخبره فيها ان هذه المسرحية يجري عرضها في المسارح البيتية لبعض الشخصيات الرسمية الروسية مثل وزير المالية ووزير الخارجية، وان افراد المجتمع الراقي هذا من المعجبين بها وانهم يقهقهون وهم يشاهدونها في تلك العروض، كذلك تحدث شقيق تشيخوف عن عرض هذه المسرحية في مسرح الدراما في موسكو والمسرح الامبراطوري، وكتبت زوجة تشيخوف الممثلة المسرحية اولغا كنيبر مرة، ان الكاتب الروسي الكبير ليف تولستوي قد شاهد هذه المسرحية عام 1900 في جمعية الفن والادب واعجب جدا بها، وانه كان (يقهقه ويضحك اثناء العرض). ومن الوقائع المهمة حول هذه المسرحية انها ترجمت الى 8 لغات اثناء حياة تشيخوف نفسه، وهذه اللغات هي - البلغارية والهنغارية والالمانية والبولونية والرومانية والصربية والجيكية والسلوفاكية. اما بالنسبة للغتنا العربية فقد تم ترجمتها عن لغتين وسيطيتن وهما الانكليزية والفرنسية، وترجمها عن اللغة الروسية فيما بعد المترجم المصري المعروف الدكتور ابو بكر يوسف (الحائز على ميدالية بوشكين لنشر الادب الروسي في العالم العربي) وصدرت ضمن الجزء الرابع من مؤلفات تشيخوف المختارة والتي نشرتها دار النشر السوفيتية المعروفة (التقدم) في بداية ثمانينات القرن الماضي باربعة اجزاء،و التي تعد افضل ترجمات تشيخوف الى العربية، وقد قرأت قبل فترة خبرا جاء في احدى الاصدارات عن ترجمة لعدة مسرحيات لتشيخوف قام بها المترجم العراقي تحسين عبد الجبار اسماعيل وصدرت عن دائرة الثقافة والاعلام بالشارقة، ومن ضمنها مسرحية (الدب) هذه، ولكني لم اطلع - مع الاسف - على هذه الترجمة. وهكذا تحولت هذه المسرحية الكوميدية التي اطلق عليها تشيخوف نفسه صفة (ترللا) الى مسرحية تطوف العالم بمختلف لغاته، بل من الطريف ان نشير الى انها تحولت الى فيلم سينمائي انتجته ا لسينما السوفيتية عام 1938 وكررته عام 1984 وعام 1988، وتحولت المسرحية كذلك الى

اوبرا كتب موسيقاها كبار المؤلفين الموسيقين وانها لازالت تعرض لحد الان، وآخر عرض لها تم بجهود مشتركة من فناني مدينتي بطرسبورغ وكراسنادار.

مضمون هذه المسرحية بسيط جدا رغم انه غير اعتيادي فعلا، فهناك ارملة لا زالت حزينة على وفاة زوجها وتقف في الصالة تناجي صورته، ويتوسل اليها خادمها ان تتفاعل مع الحياة وان تنسى المصاب الاليم هذا، والذي مرّت عليه فترة طويلة، ولكنها ترفض باصرار، وتؤكد انها ستبقى محافظة على ذكراه الى الابد، وفي هذه الاثناء يأتي جارها في الضيعة المجاورة ويطالب بايفاء دين لزوجها الان لانه بحاجة ماسة للنقود، وتطلب منه الارملة ان يمر بعد ايام عندما يعود الشخص المسؤول عن شؤونها المالية، ويتطور النقاش بينهما ويتشعب، وبعد كلام حاد بينهما يقرران اجراء مبارزة بالمسدسات لحسم هذا الاختلاف، ويندهش هذا الجار لشجاعة هذه الارملة وتصميمها على المبارزة رغم انها لا تعرف حتى كيفية اطلاق الرصاص من المسدس، ويبدا بالاعجاب بها، بل يقع في حبها، وتنتهي هذه المسرحية بقبلة بين الاثنين وسط دهشة الخدم والفلاحين الذين اسرعوا وهم يحملون كافة ادواتهم المنزلية لحماية سيدتهم الحزينة من هجوم هذا الجار الفظ والشرس.

25- حول مسرحية تشيخوف - بستان الكرز

كتب المخرج الفرنسي جان - لوي بارو هذه الكلمة خصيصا لمجلة تياتر (المسرح) الروسية اثناء زيارته لموسكو في نهاية ثمانينات القرن الماضي، ولا تزال هذه الافكار - من وجهة نظرنا - مهمة وصحيحة وتستحق الاطلاع عليها.

اني اعتبر مسرحية (بستان الكرز) قمة ابداع تشيخوف.ان هذه المسرحية تمثل النتاج الاكثر شمولية بين المسرحيات الاربع الكبرى التي كتبها تشيخوف للمسرح، المسرحية التي تعبر بدقة متناهية عن الروح الروسية، والتي تنسلخ فجأة عن تلك الروح وتجوب العالم وتوقظ الاصداء في اعماق النفس الانسانية في كل مكان. الحدث في (بستان الكرز) يسير بشكل بطئ، مثل الحياة نفسها، مثل جدول رقراق تسمع خرير مياهه، كما لو ان النفس الانسانية تتحدث بهمس. هناك مسرحيات قليلة جدا تثير مثل هذه الاحاسيس الملموسة لمسيرة الزمن... كل القضية تكمن في ان هذه المسرحية توقظ الحاضر في الذاكرة وبشكل استثنائي. المسرح هو بالذات الحاضر. وهنا يكمن جوهر المسرح. ان الحاضر هو اكثر الاشياء التي لا ندركها في الحياة، ولهذا ليس غريبا اننا لا ندرك (بستان الكرز) ايضا.

ان الحدث في المسرحية يدور في (السكوت) وفي الملاحظات حول الحوار، ما عدا المقاطع الشعرية التي تقف متفردة... من اجل اجبارنا (كما في الموسيقى) على الاحساس بالحياة المليئة بالصراع مع الزمن الذي يتحول امام اعيننا وبلحظة واحدة الى مستقبل - مستقبل و ماضي - ذكريات.

هذه مسرحية عن زوال الزمن. لهذا فلا يوجد فرق للانسان، اذا كان محورها روسيا او يابانيا.

(بستان الكرز) ابداع انساني شمولي، ولانها كذلك، يجب ان تصبح ملكا لجميع الشعوب، جنبا لجنب مع ابداع شكسبير وموليير. لكن، مهما تكن عالمية (بستان الكرز) فاننا لا يمكن الا ان نعطي للروح الروسية حقها، لانها شقّت لنا الطريق امام هذا التقبل الرهيف للزمن الذي يمضي...

البناء الدراماتيكي للمسرحية موسيقي بشكل عميق، والحاضر هناك سريع وعابر لدرجة ان الكاتب لا يستطيع ان يلحق بتطوير الموضوع الذي يتناوله، وينتقل الى الموضوع الذي يليه بدون ان ينتهي منه...ان هذا (اللااكتمال) لكل لحظة هناك، هو الذي يخلق احساسا بالقلق الاصم وهو الذي يشكل بالنهاية محور المسرحية.

الآن من الشائع التحدث عن وجود الاحداث القليلة في مسرحيات تشيخوف... نعم، فعلا مواضيع مسرحيات تشيخوف بسيطة، ولا يوجد فيها احداث مترابطة، والعقدة فيها غير متشابكة، لكن هذا لا يعني ابدا، ان الاحداث قليلة عند تشيخوف. لا يجوز خلط الحدث والعقدة. في مسرحية (بستان الكرز) الحدث لا ينقطع، انه متوتر ومتكامل، وذلك لان كل لحظة من لحظاته مليئة حتى الاشباع. كل لحظة تمتلك اشباعها الخاص بها. لكن، ليس الحوار هو الذي يخلق ذلك، وانما الصمت والحياة التي تمضي. وهذه الحياة المليئة بالسكوت، وهذه الوحدة المخفية لمواضيع الحدث الزائل، وهذا البطء الحزين ...كل هذا يخلق للممثلين مشاكل مقلقة.

(بستان الكرز) هي واحدة من تلك المسرحيات النادرة جدا التي يمكن للفرقة المسرحية ان تتولع بها، وتنسى بانها على خشبة المسرح، وتصدق بانها عائلة واحدة وان هذا البيت موجود فعلا، وان الحياة الحقيقية تحيط بهم.

هذه الاجواء الساحرية يمكن الوصول اليها فقط بالوسائل الفنية العالمية، اذ ان هذه المسرحية لا ترتبط بالمدرسة الطبيعية كما كان القول سائدا عام 1904، ولا ترتبط حتى بالواقعية بالمعنى الضيق للكلمة. انها ترتبط بالحقيقة، التي تتناسب مع الجانبيين (الحقيقة دائما ذات جانبين) تضم في اعماقها الواقعي والشاعري، المرئي والمخفي. واذا شاء القارئ، فانها واقعية شاعرية، كما هو الحال عند شكسبير... ان المحور الذاتي بعمق والاعتيادي للمسرحية يتطور بشكل منتظم من الخاص الى العام... وبطريقة لا يلاحظها القارئ او المشاهد يتحول الاعتيادي واليومي ويصل الى الاجواء الفلسفية.

والشئ الذي يدهشنا اكثر، هو ان هذه المسرحية وهي تبدأ من الذات الانسانية مع عالمها المبتذل، تصل بسرعة الى نطاق المجتمع باكمله. وليس هذا كل شئ -

انها تحلّق، ومن جديد تنعطف نحو الذات الانسانية وتعود اليها، الى الذات الانسانية بالمعنى الاكثر سعة وفلسفة وانسانية وشمولا وهذا بالذات هو الذي يجعل منها مسرحية عظيمة.

(بستان الكرز) مسرحية تتخطى (الظاهرة الروسية) البحتة ويتجاوب معها المشاهد بشكل قوي جدا، انها تؤثر فينا من وجهة نظر (المكان)، اذ انها تصل الى قلب كل انسان على الكرة الارضية، وكذلك من وجهة نظر (الزمان)، اذ يتحسس كل انسان ان الافكار التي تعبر عنها المسرحية عادلة لكل زمان.

(بستان الكرز) ليست فقط اجتماعية،اذ ان تشيخوف كان استاذا باهرا وكبيرا، لهذا لا يمكن ان يحدد نفسه بالتعبير عن الوسط الاجتماعي وحسب. انها مسرحية شاعر عظيم، ساعدته رهافة الاحاسيس غير الاعتيادية وعمق الروح في الوصول الى منابع الحياة نفسها.

ويوجد هناك درس آخر لبستان الكرز. فعندما كتب تشيخوف هذه المسرحية اراد ان يعرض لنا وبشكل جلي - كيف يجب ان يكون الفنان.اننا نتجنب هذه الكلمة عادة نتيجة للتواضع الكاذب. ان الفنان هو - قبل كل شئ - شاهد لعصره. والفنان، بالتالي، يجب ان يكون خادما مخلصا للعدالة، وانه لا يستطيع ان يخونها من اجل اي هدف من الاهداف... تشيخوف - مثل نادر للفنان العادل بصدق، والذي يستحق بجدارة الاعتراف الشامل من قبلنا جميعا بمكانته تلك...

ويعط ويفوح من مسرحية (بستان الكرز) التجرد وعدم المحاباة. ان فن تشيخوف هو فن العدالة، وهو الفن الذي يصلح للمسرح الكبير.

وتشيخوف فنان ايضا، لانه يعطينا درسا في ادب السلوك والذوق والعاطفة، وبكلمة واحدة - درسا في العفاف، ولا يمكن ان يكون الفنان عظيما الا اذا تميز بذلك.

ان تشيخوف يعلمنا الحرص على كل كلمة نكتبها، اذ اننا لا يمكن ان نحذف كلمة واحدة من (بستان الكرز). كل شئ يمكن ان يتغربل، غربله تشيخوف. لقد تخلص من كل ما هو فائض... تماما كما كتب معلمنا راسين - (كل ما تقدموه على المسرح، كل شئ يجب ان يكون ضروريا وعلى احسن وجه).

واخيرا،فان تشيخوف - هو الفنان النموذج ايضا، لأن كل شخصياته مزدوجة، كما هو الحال عند شكسبير... لا يوجد عند تشيخوف بطل نمطي. عند جميع ابطاله توجد صفات معقدة. لا يوجد عنده انسان آلي،ففي كل شخصية من شخصياته يوجد قلب حي ينبض.هذه مسرحية تمس القلب، والقلب اقوى من العقل.

26- قصة تشيخوف القصيرة: (فرحة)

ابتدأت مسيرة تشيخوف الابداعية عام 1880، عندما انتقل من مدينته التي ولد فيها وهي - تاغنروغ في جنوب روسيا الى موسكو واصبح طالبا في الكلية الطبية بجامعة موسكو، وقد نشر في سنوات دراسته تلك كثيرا من القصص القصيرة في المجلات الفكاهية الروسية، التي كانت تصدر آنذاك، وهي مجلات من الدرجة الثانية ان صح التعبير، وكان الهدف من النشر هو الحصول على بعض النقود من اجل تذليل متطلبات العيش ليس الا، اذ ان وضع العائلة كان عندها صعبا. وتمضي الايام و السنوات ويصبح تشيخوف كاتبا معروفا ولامعا في بلده روسيا وفي ارجاء العالم ايضا،وهكذا بدأ مؤرخو الادب والنقاد بالبحث عن كل ما قام بنشره طبعا في مسيرة حياته، وعندئذ رجعوا الى مجلات الدرجة الثانية تلك والتقطوا منها القصص القصيرة التي كتبها ونشرها هناك في سنوات الدراسة الجامعية و اعادوا اصدارها ضمن الاعمال الكاملة لنتاجاته، ونتناول في مقالتنا هذه واحدة من تلك القصص بالذات وهي بعنوان - (فرحة) و التي نشرها تشيخوف في عام 1883 عندما كان لا يزال طالبا في كلية الطب بجامعة موسكو، اي في بداية مسيرته الابداعية، ونحاول - عبر قراءة تحليلية وتاريخية لها - ان نحدد قيمتها الفنية وايجاد ملامح العناصر التشيخوفية - ان صح التعبير - في ثناياها ، و نتكلم عن موقف الكاتب نفسه والنقد الادبي تجاهها فيما بعد.

نشر تشيخوف قصته القصيرة (فرحة) في العدد رقم 3 لشهر كانون الثاني / يناير 1883 لمجلة (زريتل) (المشاهد) وكانت بعنوان - (شرف عظيم) وبتوقيع تشيخونتيه، وهو أحد الاسماء المستعارة العديدة لتشيخوف في بداية طريقه الابداعي، وقد أجرى عليها فيما بعد تصحيحات في الاسلوب وتم تغيير العنوان ايضا عندما قرر تشيخوف ان تدخل هذه القصة القصيرة ضمن مجموعته القصصية التي أصدرها الناشر الروسي ماركس في ثمانينات القرن التاسع عشر في مدينة بطرسبورغ، والقصة هذه هي واحدة من تلك القصص المبكرة التي أدخلها تشيخوف نفسه فيما بعد ضمن مؤلفاته المختارة التي أصدرها لاحقا، وكل هذه الوقائع تؤكد بلا شك اعتزاز تشيخوف بهذه القصة القصيرة، رغم انه كتبها

عندما كان طالبا في الكلية ومن اجل كسب بعض النقود لتمشية امور الحياة اليومية آنذاك ليس الا.

مضمون او حدث تلك القصة بسيط جدا كما هو حال كل القصص القصيرة المبكرة لتشيخوف ذات السمات الهزلية، والتي يمكن حتى ان نسميها ب - (اللامضمون) او (اللاحدث)، اذ يدخل البطل في الساعة الثانية عشرة ليلا الى شقة اهله وبيده جريدة ويوقظ جميع من في البيت ليخبرهم بان احدى الصحف كتبت عنه خبرا وانه بالتالي اصبح معروفا ومشهورا (في روسيا كلها)، ويؤنبهم لانهم جهلة و لا يطالعون الصحف ولا يتابعون ما تنشره من انباء عن المشاهير، وعندما يقرأ والده الخبر المنشور في زاوية اخبار الناس في تلك الصحيفة امام أفراد كل العائلة المندهشين، يتبين انه يشير الى ان صاحبنا سقط تحت عجلات عربة امس لانه كان سكرانا مع صديق له ولم يصب بأذى، وهكذا تنتهي القصة بخروجه من بيت عائلته مسرعا وبيده الجريدة كي يذهب الى بيوت الاقارب والاصدقاء الآخرين ليعلمهم بذلك الحدث الذي اصبح نتيجته مشهورا ومعروفا، لأن الصحف تنشر فقط اخبار المشاهير.

كتب أحد الباحثين الروس قبل فترة مقالة طريفة عن قصص تشيخوف المبكرة الهزلية تلك بعنوان جميل وهو - (افكار جديّة حول قصص تشيخوف الهزلية)، وجاء فيها جملة اود ان اتوقف عندها قليلا، وهي، ان - (الكاتب كان يضحك أما القارئ فكان يبكي)، واريد ان أقول لهذا الباحث باني متّفق معه فيما ذهب اليه وهو ان الكاتب الشاب والطالب في كلية الطب بجامعة موسكو تشيخوف كان يضحك ويسخر فعلا عندما كتب هذه القصة وغيرها من القصص الهزلية، ولكني اريد ان اطرح عليه السؤال الآتي - (هل ان القارئ هنا كان يبكي؟)، و اجيب عن هذا السؤال قائلا، باني شخصيا - كقارئ - لم أذرف اي دمعة عندما قرأت القصة القصيرة تلك، بل ضحكت وحتى قهقهت مثل مؤلفها تشيخوف، ضحكت من الموقف الهزلي هذا، وضحكت من تفاهة هذا الشخص وضحالته، وهكذا تحول ضحكي بالطبع الى شجب لهذه الضحالة والتفاهة التي يمكن ان تحدث في مسيرة الحياة اليومية لاي انسان في كل المجتمعات وبغض النظر عن سمات وطبيعة تلك المجتمعات كافة، والشجب غير البكاء - في رأي المتواضع -، اذ

اني أرى ان الشجب أعمق وأعلى من البكاء، وهذا ما حققه تشيخوف في قصصه تلك، وربما، او على الاغلب، حتى دون تخطيط مسبق من قبله، بل كان كل ذلك تعبيرا طبيعيا عما يكمن في أعماقه من أفكار. واود ان اشير هنا الى انه يوجد تعبير معروف في تاريخ النقد الادبي الروسي في القرن التاسع عشر يرتبط بالكاتب العظيم غوغول ونتاجاته الابداعية وهو - (ضحك عبر الدموع)، و يوجد مثل هذا التعبير بلغتنا العربية ايضا قبل مئات السنين من ميلاد التعبير الروسي هذا، واقصد به طبعا قول المتنبي العظيم الذي ذهب مثلا - (ضحك كالبكا)، ولكن كل ذلك لا ينطبق على تشيخوف وابداعه . ضحك تشيخوف لا يؤدي الى البكاء، بل الى المرح الحلو الفتّان، المرح الجميل واللطيف، وقد شاهدت قبل فترة قصيرة - وبامعان - تسجيلا كاملا لحفلة فنية في احدى المدارس المتوسطة الروسية، حيث جرى تقديم تلك القصة القصيرة لتشيخوف على خشبة المسرح المدرسي من قبل التلاميذ، ورأيت كيف كان التلاميذ يضحكون ويقهقون ويصفقون ويتمتعون وهم يشاهدون احداث هذه القصة ويتفاعلون معها، ومن المؤكد طبعا، ان ضحكهم وتصفيقهم جعلهم اعلى واسمى من تفاهة وضحالة ذلك الحدث، وتذكرت ما قرأته مرة في مقالة البروفيسور الدكتور كاتايف - رئيس قسم تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر بكلية الآداب في جامعة موسكو (وهو من أبرز المتخصصين الروس في ادب تشيخوف بالوقت الحاضر) حول هذه القصة عندما أشار الى انها تجسّد المحاولات الاولى لفلسفة تشيخوف الابداعية وتطبيقاتها، وأشار كاتايف ايضا الى ان هذه القصة يمكن (مثل حال الكثير من قصص تشيخوف القصيرة الاخرى) ان تتحول الى مسرحية كوميدية ببساطة، وفي هاتين النقطتين من هذه القصة بالذات (اي التعامل الفلسفي في ثنايا الابداع الفني اولا، وامكانية مسرحة القصص القصيرة ثانيا) نرى بوضوح بدايات سمات عبقرية تشيخوف وخصائصه، و التي ظهرت في قصصه المبكرة، و تبلورت وبرزت وتجسّمت فيما بعد اثناء مسيرته الابداعية لاحقا، و هي التي استطاع الكاتب المسرحي العراقي المعروف عادل كاظم ان يفهمها ويستوعبها ويتعامل معها تطبيقيا قبل اكثر من خمسين سنة ويحول قصته (المنتقم) الى مسرحية (انظر مقالتنا بعنوان عادل كاظم وتشيخوف)، وكذلك قام بذلك كل من الفنان العراقي الكبير بدري حسون فريد والفنانة العراقية القديرة عواطف نعيم،

عندما تعاملا مع قصص تشيخوف الاخرى (انظر مقالتنا بعنوان تشيخوف في العراق).

ختاما أود ان اشيرهنا الى ان المترجم المبدع المصري الكبير وزميلي في الدراسة بكلية الاداب في جامعة موسكو وصديقي الحبيب الدكتور ابو بكر يوسف قد افتتح مختاراته الرائعة والشهيرة في اربعة مجلدات لترجمات مؤلفات تشيخوف الى العربية بهذه القصة القصيرة بالذات، ولا اريد ان احمّل الفرضيات اكثر من طاقاتها كما يقال، وبالتالي لا اريد ان أستنتج ان ذلك التسلسل في القصص لم يكن عفويا، ولكنني استطيع ان اقول - مع ذلك - ان هذا التسلسل لقصة (فرحة) في تلك المجلدات ينسجم ويتناغم ويتطابق مع روحية هذه المقالة الوجيزة حول قيمة ومكانة القصة القصيرة تلك واهميتها، و يؤكد الاستنتاجات التي أشرنا اليها.

27- قصة تشيخوف (البدين والنحيف) والصراع الطبقي

كتب انطون بافلوفيتش تشيخوف هذه القصة القصيرة عام 1883، عندما كان طالبا في الكلية الطبية بجامعة موسكو، وكان عمره آنذاك 23 سنة. لقد كتب تشيخوف في تلك السنة الكثير من القصص القصيرة، ونشرها في المجلات الفكاهية الروسية من الدرجة الثانية وحتى الثالثة، وذلك من اجل الحصول على بعض النقود لتعينه في حياته و اكمال دراسته ليس الا، كما هو الحال بالنسبة لكل القصص القصيرة الاخرى، التي كتبها تشيخوف في بداية حياته الادبية آنذاك.

تقع قصة (البدين والنحيف) هذه في أقّل من صفحتين فقط في مؤلفات تشيخوف الكاملة باللغة الروسيّة (وكذلك طبعا في مؤلفاته المترجمة الى اللغات الاخرى، بما فيها بالعربية)، وتتحدث عن لقاء عابر- حدث بمحض الصدفة - في احدى محطات القطار بين شخصين درسا بمدرسة واحدة في بداية حياتهما الدراسيّة، وافترقا منذ ذلك الحين، وتذكرا بعضهما البعض في ذلك اللقاء بعد كل هذه السنوات التي مضت، وكان هذا اللقاء طبعا حارًا وصميميا ومليئا بالعواطف الجيّاشة بين صديقين درسا معا ايام الصبا، وتحدّثا بتفصيل وتلقائية عن مسيرة حياتهما وذكرياتهما اثناء فترة الدراسة تلك، ولكن ما ان عرف النحيف (وهو موظف صغير في احدى مؤسسات الدولة) بالموقع الوظيفي الكبيرالذي يشغله صاحبه البدين، حتى اختلفت سحنته وتبدلت لهجته وأخذ يتكلم معه بصيغة رسمية وبخوف وهلع شديدين وبشكل مصطنع جدا، على الرغم من محاولات زميله البدين بالاعتراض على هذا التصرّف الغريب، وايقاف هذه الصيغة المفتعلة بالحديث معه، ولكن عبثا، اذ لم يتوقف النحيف من الكلام بهذه الصيغة، وهكذا افترقا مرة اخرى، و هكذا تنتهي القصة القصيرة تلك.

لقد تم ترجمة هذه القصة القصيرة الى العربية منذ فترة طويلة، وقام المترجم المصري القدير الدكتور ابو بكر يوسف بترجمتها ايضا في المؤلفات المختارة لتشيخوف ب (4) أجزاء، التي اصدرتها دار النشر السوفيتية المعروفة (رادوغا) (قوس قزح) في ثمانينات القرن الماضي بموسكو، و تناول المتخصصون الروس

والاجانب (بما فيهم العرب طبعا) هذه القصة القصيرة وتحدثّوا عنها وعن خصائصها واهميتها ومكانتها في الكثير من الاصدارات والدراسات عن تشيخوف، وهي معروفة جدا للقراء العرب، بل انها حتى خضعت مرة الى تعليقات حرّة ومفتوحة للقراء العرب، والذين قالوا ما قالوا بشأنها من آراء سلبية وايجابية (ما انزل الله بها من سلطان !) كما يقول التعبير العربي الطريف، وقد كتبت انا شخصيًا تفصيلات واسعة عن هذه القصة القصيرة في احدى مقالاتي عن تشيخوف، وتناولت تعديلات تشيخوف حولها عندما أدخلها في احدى مجموعاته القصصية آنذاك - (انظر مقالتي بعنوان - حول قصص تشيخوف المبكرة)، ولكننا نريد في هذه المقالة العودة اليها مع ذلك، لاننا وجدنا بعض الآراء الجديدة حولها في بعض المصادر العربية، والتي تحاول ان تطرحها باعتبارها قصة قصيرة تتناول الصراع الطبقي في المجتمع الروسي وتجسّده، وبالتالي طبعا، ينعكس هذا الرأي (اي الصراع الطبقي وتأثيره ودوره واهميته) في مجتمعات انسانية آخرى، بما فيها مجتمعاتنا العربية بالطبع .

يرتبط مصطلح (الصراع الطبقي) بالنسبة للوعي الاجتماعي العربي الحديث بالحركات السياسية اليسارية بشكل عام، والتي ظهرت في العالم العربي بعد الحرب العالمية الاولى ليس الا، والتي تحاول تفسير كل الظواهر الاجتماعية على اساسها، و لا زال هذا المصطلح جديدا نوعا - ما لحد الان بالنسبة للمسيرة الفكرية لمجتمعاتنا العربية عموما، ولا زلت اتذّكر انطباعات المؤرخ والمؤرشف المعروف المرحوم عبد الرزاق الحسني في مهرجان المربد في سبعينيات القرن الماضي بالبصرة عندما تحدّثت معه حول كتاب الباحث السوفيتي كوتلوف عن ثورة العشرين في العراق (يسميها كوتلوف بالنص الروسي - انتفاضة، وقد قام بترجمة الكتاب عن الروسية المحامي الدكتورعبد الواحد كرم، ثم اعيد طبع الكتاب ثانية بمراجعة الحسني نفسه، نتيجة بعض الاخطاء الكبيرة في اسماء العشائر العراقية التي جاءت بالطبعة الاولى، والعشائر - كما هو معروف - هم الذين كانوا عماد تلك الثورة ضد الاحتلال) . لقد قال لي الحسني عندها، انها المرة الاولى في حياته التي قرأ فيها، ان هذه الثورة قد حدثت نتيجة الصراع الطبقي في المجتمع العراقي آنذاك، وقد كان الحسني متعجّبا جدا ومستغربا من ذلك الرأي، الذي ورد - بشكل او بآخر - في كتاب الباحث السوفيتي ذاك !!

ليس عبثا اني تذكرت موقف الحسني هذا في سياق هذه المقالة، اذ اني تعجبت واستغربت مثله ايضا عندما اطلعت على الرأي القائل، ان تشيخوف قد انطلق من موقف (الصراع الطبقي) في قصته تلك، والتي كتبها - كما اشرت اعلاه - في ذلك العمر اليافع من اجل الحصول على قروش تعينه في معترك الحياة .

ان البدين والنحيف في هذه القصة الساخرة القصيرة هما من طبقة اجتماعية واحدة في روسيا، و انهما درسا سوية في مدرسة واحدة، وكانا صديقين حميمين اثناء دراستهما معا، ولم يكتب تشيخوف اكثر من ذلك في قصته، ولا توجد اشارة من الكاتب - لا من قريب ولا من بعيد - الى انهما من طبقتين اجتماعيتين مختلفتين (كي يتصارعا!)، حيث تمتلك كل طبقة خصائصها الذاتية وامتيازاتها ومصالحها المتعارضة مع الطبقة الاخرى، وكلاهما اصبحا بعد المدرسة موظفين في مؤسسات الدولة ليس الا، وان مناصبهما لم تأت نتيجة وضعهما الطبقي ابدا. لقد جسّد تشيخوف في قصته تلك ظاهرة تناولها الادب الروسي منذ (ناظر المحطة) لبوشكين و(المعطف) لغوغول و(المساكين) لدستويفسكي، وتناولها تشيخوف في الكثير من قصصه الاخرى مثل قصة (موت موظف) الشهيرة . تسمى هذه الظاهرة في الدراسات النقدية الروسية، اذا اردنا ان نترجمها حرفيا - معاناة (الانسان الصغير) في المجتمع الروسي، الانسان المسحوق دائما، والذي لم يتحرر من جذور العبودية في اعماقه، وقد كتبنا عن هذه الظاهرة تفصيلا في عدة مقالات حول الادب الروسي، ومنها مقالتنا بعنوان - (تشيخوف وغوغول)، واعطينا ترجمتها العربية التفسيرية وخصائصها، ولا نريد اعادة ذلك هنا، اذ ان ذلك اصبح معلوما للقارئ العربي حول وصف معاناة الانسان المسحوق وخوفه الدائم امام السلطة الغاشمة في اي مجتمع انساني.

ان اقحام مفهوم (الصراع الطبقي) في تفسير قصة تشيخوف القصيرة (البدين والنحيف) - من وجهة نظرنا - يعد محاولة مفتعلة جدا وبعيدة عن النظرة الموضوعية السليمة الى تلك القصة، والى كل ابداع تشيخوف الجميل والرشيق بشكل عام.

28- عطسة موظف تشيخوف واستنتاجاتها

عندما كنت أتصفّح - كعادتي يوميا - جرائد يوم 2015/1/7 لفت انتباهي عنوان طريف وغريب ومثير في صحيفة الشرق الاوسط اللندنية وهو - (عطسة موظف) بقلم الاستاذ خالد البسام، وقلت بيني وبين نفسي، ربما يوجد موظف عربي، او موظف آخر في العالم عطس واصبح مشهورا غير ذلك الموظف الروسي المسكين - بطل قصة تشيخوف المعروفة - (موت موظف)؟ و لكني عندما قرأت المقالة فهمت ان الحديث يدور فعلا حول نفس ذلك الموظف (انظر مقالتي بعنوان - قصة تشيخوف القصيرة موت موظف)، وفرحت جدا في الواقع ليس لاني أعرف ذلك الموظف حق المعرفة، وانما لأن هذا يعني ان الكتّاب العرب في صحفنا قد بدأوا باستخدام رموز الادب العالمي وشخصياته وافكاره في مسيرة حياتنا اليومية، وهذا شئ مفرح بلا شك لأنه دليل نضوج كتّابنا، ولكن الشئ غير المفرح، والذي اصطدمت به هنا، هو ان الاستنتاجات التي توصل اليها الكاتب واستنبطها من مضمون الحكاية (كما اسماها) لم تكن تتناغم او تنسجم مع روحية تلك القصة القصيرة وجوهرها واهدافها، وهي اربعة استنتاجات جاءت في نهاية تلك المقالة وكما يأتي -

(لم يسخر الكاتب الروسي الراحل الشهير انطوان تشيخوف في هذه الحكاية من هذا الموظف الغلبان، لكن حكايته البليغة لها الكثير من الدلالات والمعاني، ولعل اهمها ان هناك نوعا من البشر، ومنذ زمن بعيد وحتى اليوم، يحتقرون بشرا غيرهم لمجرد انهم أقل قيمة وثراء واهمية)، وهذا هو الاستنتاج الاول، وهذه حقيقة موجودة في المجتمعات الانسانية فعلا أشار اليها الاستاذ البسام، ولكنها لا توجد بتاتا في اجواء تلك القصة، التي كتبها الشاب اليافع تشيخوف وكان لا يزال طالبا في الجامعة، ولا توجد اشارة الى ذلك في نص القصة لا من قريب ولا من بعيد، ولا يحس القارئ بهذا الاحساس ابدا عندما يقرأ تلك القصة، وبالتالي، فان هذا الاستنتاج غير وارد هنا ولا يمكن ربطه بتلك القصة.

الاستنتاج الثاني في تلك المقالة هو الآتي -

(ان المحتقرين يظلون مهما فعلوا محل احتقار من هم اعلى منهم)، وهذه ايضا حقيقة من حقائق الحياة فعلا، ولكنها ايضا لا توجد في ثنايا تلك القصة واحداثها مثل تلك التي اشرنا اليها عند الكلام عن الاستنتاج الاول. ان الشخص الذي يتحدث عنه تشيخوف في قصته تلك لم يكن مديرا كما ذكر الاستاذ البسام، ولم يحتقر ابدا ذلك الموظف المسكين الذي عطس في المسرح، بل تعامل معه بكل احترام ومودة دون ان يعرف من هو هذا الشخص ودون ان يحاول حتى التعرف اليه او الالتفات اليه، ثم حاول ان يبين له انه لم يغضب ابدا من جراء تلك العطسة وبكل بساطة واحترام، ولكن الرعب والخوف المغروس في اعماق هذا الرجل البائس تجاه كل ما يمثِّل السلطة العليا هو الذي ادّى به الى هذا التصرّف المضحك والمبكي معا او الكوميدي والتراجيدي معا ، وهذه هي النقطة الجوهرية والاساسية والمهمة جدا في بنية هذه القصة ومضمونها، و التي لم يلاحظها الاستاذ البسام مع الاسف، والتي ادّت به - على ما يبدو - الى استخلاص الاستنتاج الثالث غير الدقيق وغير المنسجم ايضا مع مضمون القصة تلك وهو الآتي -

(والاهم من الاحتقار هو هذا التعذيب الكبير للضمير الذي يحمله البسطاء داخل قلوبهم، حتى في الاخطاء البسيطة والتافهة..)، وليسمح لي الاستاذ البسام ان اعلن هنا عدم اتفاقي كليا معه بشان ذلك، فالتعذيب الكبير للضمير (أو تأنيب الضمير كما نسميه عادة) يحمله في اعماقه كل انسان حقيقي وصادق وامين لانسانيته، سواء كان بسيطا او غير بسيط، وهو احساس انساني رائع يحس به كل شخص شريف عندما يقوم بعمل غير صحيح من وجهة نظره تجاه الآخرين ولا يتناغم مع انسانيته، وليسمح لي ايضا الاستاذ البسام ان أقول له ان بطل تلك القصة لم يعذبه ضميره ولم يحس بتأنيب الضمير لانه عطس ليس الا، ولكنه - واكرر ذلك - ارتعب من العقاب الذي يمكن ان ينزله به ممثِّل السلطة الجائرة والظالمة به لاي سبب من الاسباب مهما تكن تافهة، وهو الانسان البسيط البائس المسحوق والموظف الصغير في ذلك المجتمع الاستبدادي، في حالة ان يظن هذا الشخص الكبير انه اساء اليه متعمدا (وارجو ان يلاحظ القارئ ان هذا الشخص لم يكن مديرا له، واكرر هذه الملاحظة مرة اخرى لاهميتها)، اي ان القضية هنا لا علاقة لها ابدا ب (التعذيب الكبير للضمير) لهذا الانسان البسيط كما جاء في

المقالة وانما المسألة ترتبط بالخوف والرعب الذي يسيطر على الناس البسطاء من جراء الظلم والاستبداد السائدين في المجتمع الانساني ذاك، حيث لا يمتلك الانسان البسيط حقوقه الطبيعية بتاتا، و هذا هو في الواقع جوهر تلك القصة والسبب الحقيقي لشهرتها في المجتمعات الانسانية كافة، تلك التي يسود فيها الظلم والاستبداد لانها تجسّد ذلك الظلم، و تلك التي لا يسود فيها الاستبداد والظلم لأنها تذّكرهم بضرورة الحفاظ على العدل والمساواة بين البشر.

الاستنتاج الرابع في المقالة جاء كما يأتي -

(..غير ان الحكاية الجميلة تقول لنا ايضا ان الكثيرين من البشر ما زالوا ايضا لا يعرفون كيف يعتذرون ولا يجيدون فن الاعتذار)، وهذا استنتاج صحيح من حيث المعنى العام وفي اطار الحياة الانسانية طبعا، ولكنه ايضا لا يمتلك علاقة بهذه القصة، اذ ان تشيخوف اراد ان يقول، ان الرعب والخوف اللذان يسيطران على الانسان البسيط والمسحوق في تلك المجتمعات الانسانية الاستبدادية يؤدي الى فقدان تلك الخصائص الانسانية التي يتمتع بها الانسان الاعتيادي والطبيعي في المجتمعات التي يسود فيها العدل، بما فيها امكانية التعبير المنطقي عن كل شئ (بما فيه الاعتذار طبعا)، وعليه فان هذا الموظف لم يستطع ان يعبر عن مكنوناته ولم يستطع ان يقول ما يعتمل في اعماقه نتيجة الخوف والرعب الذي يسيطر عليه وليس لانه لا يعرف كيف يعتذر، كما أشار الاستاذ البسام في مقالته . واخيرا اود ان اشير الى امتناني وشكري للاستاذ خالد البسام على مبادرته باستخدام قصة من قصص تشيخوف لمعالجة ظواهر اجتماعية في عالمنا العربي وهي ظاهرة حضارية وجميلة في صحفنا العربية، وهذا اولا، وثانيا لانه اجتهد في استنتاجاته رغم اني لست متفقا مع بعضها، ولكني اعترف بالاجتهادات الشخصية واحترمها، ومن نافل القول ان اشير اخيرا الى ان كل الامور نسبية في نهاية المطاف.

29- مسرحيات تشيخوف حسب تسلسلها الزمني

كتب تشيخوف 17 مسرحية في حياته، ويعد في الوقت الحاضر واحدا من اشهر كتّاب الادب المسرحي في روسيا والعالم، وتقف اربع مسرحيات منها في طليعة ادبه المسرحي عالميا وهي (النورس) و(الخال فانيا) و(الاخوات الثلاث) و(بستان الكرز)، ولكننا لم نجد في الدراسات العديدة والكثيرة عن مسرحه باللغة العربية قائمة دقيقة ومحددة لتلك المسرحيات كافة حسب تسلسل ظهورها الزمني، وقد طلب منّي بعض القراء ان اقّدم لهم ذلك، وهم على حق، ولهذا فاننا سنكرس هذه المقالة لذلك الموضوع، لاننا نتفق معهم، اذ ان المتابعين لادب تشيخوف المسرحي والمحبين له بحاجة الى مثل هذه القائمة المتسلسلة زمنيا لمسرحيات تشيخوف للرجوع اليها بين الحين والاخر اولا، وكذلك من اجل تهيئة عملية دراسة هذا المسرح وتحليله بشكل موضوعي ودقيق وبالتالي استيعاب خصائصه وسماته استنادا الى خطوات تطوره التدريجي ثانيا، وهذه القائمة كما يأتي -

1- كتب تشيخوف مسرحيته الاولى عام 1878 (كما يظن النقاد والباحثون)، وكان عمره 18 سنة لا غير، ولم ينشرها، بل ولم يعلن عنها ابدا، وهكذا بقيت مطمورة ضمن مسودات كتاباته طوال حياته، وقد تم اكتشافها بعد موته بفترة طويلة نسبيا، وتم نشرها عام 1923، اي بعد 19 سنة من وفاته، ولم يضع تشيخوف لمسرحيته تلك عنوانا او لم يجدوه، لهذا تم نشرها بعنوان (مسرحية بلا عنوان) ثم اطلقوا عليها تسمية اخرى وهي - (بلاتونف) وهو اسم بطلها، ثم اطلقوا عليها تسمية اخرى وهي - (بلا ابوة) او (جيل بلا آباء) كما جاء في بعض المصادر العربية، وذلك ارتباطا بمضمونها. هذه المسرحية كبيرة وفيها شخصيات كثيرة، وتتضمن احداثا، ولكن تشيخوف لم يحاول ان ينشرها او يعلن عنها في حياته، ويبدو انه كان غير واثق من نجاحها لانه كان في مقتبل عمره ليس الا، ولم يكن يمتلك تجربة في مجال الابداع المسرحي او الادبي بتاتا، وربما توجد اسباب اخرى لا نستطيع الان ان نحددها، ويرى بعض النقاد والباحثين انه من الضروري احترام ارادة تشيخوف في عدم نشرها، وبالتالي عدم اعتبارها ضمن مسرحياته الحقيقية، اذ انها تخطيطات اولية ليس الا لمسرح تشيخوف

الذي سيتبلور لاحقا، وهو رأي جدير بالاخذ به ومراعاته واحترامه، ولكن شهرة تشيخوف قد أدّت الى غير ذلك.

2 - المسرحية الثانية لتشيخوف ظهرت عام 1884 وكانت بعنوان - (في الطريق الكبير) وهي مسرحية من فصل واحد، ولم تسمح الرقابة في حينها بعرضها،فاهملها، وظهرت لاول مرة عام 1914 في الذكرى العاشرة لوفاته باشراف اخيه ميخائيل تشيخوف وتم عرضها على خشبة المسرح وقابلها النقد سلبا، وكتبوا عنها انها لا تمثل تشيخوف - (هذا ليس تشيخوف ..)،و - (من الافضل لو ان تشيخوف مزقها ورماها...).

3 - المسرحية الثالثة له ظهرت عام 1886 بعنوان - (عن مضار التبغ) او (حول مضار التبغ) أو (الاثار الضارة للتبغ) او (ضرر التبغ) كما جاءت في بعض الترجمات العربية، وهي مسرحية كوميدية من فصل واحد وتوجد فيها شخصية واحدة فقط وتعتمد على مونولوج هذه الشخصية ليس الا، ويمكن اعتبارها اول مسرحية حقيقية له.

4 - المسرحية الرابعة ظهرت عام 1887 بعنوان - (اغنية البجع) او (اغنية البجعة) او (اغنية التم) كما جاءت في الترجمات العربية، وهي مسرحية ذات فصل واحد،وقد اكّد تشيخوف فيها على دور (فن الالقاء)، ويشير احد النقاد الى ان الممثل لتلك المسرحية يجب ان يستخدم 12 نبرة مختلفة ومتباينة من هذا الفن، ولهذا فان تمثيل تلك المسرحية يتطلب مهارات عالية في فن الالقاء من قبل الممثل.

5 - المسرحية الخامسة ظهرت عام 1887 ايضا بعنوان - (ايفانوف) وهي مسرحية باربعة فصول،ويرى بعض الباحثين والنقاد ان تشيخوف استخدم اجواء مسرحيته الاولى التي لم ينشرها في وقتها وعكسها في هذه المسرحية، ولهذا اطلقوا على تلك المسرحية تسمية (بلاتونوف) اي استخدموا اسم بطلها، مثلما اطلق تشيخوف اسم بطل مسرحيته (ايفانوف) على هذه المسرحية، وهي اول مسرحية لتشيخوف تعرض على خشبة المسرح.

6 - المسرحية السادسة ظهرت عام 1888 بعنوان - (الدب) وهي مسرحية كوميدية في فصل واحد، وقد أسماها تشيخوف - (نكتة) او (مزحة) كما جاءت بالترجمة العربية.

7 - المسرحية السابعة ظهرت عام 1888 ايضا بعنوان - (طلب زواج) او (عرض زواج) او(خطوبة) حسب الترجمات العربية، وهي مسرحية كوميدية في فصل واحد، وقد اطلق عليها تشيخوف ايضا تسمية - (مزحة).

8 - المسرحية الثامنة ظهرت عام 1889 بعنوان - (العرس) او (الزواج) او (الزفاف) كما جاءت في بعض الترجمات العربية، وهي مسرحية في فصل واحد اعتمد فيها تشيخوف على قصتيه القصيرتين (عرس مع الجنرال) و (زواج وفق حسابات).

9 - المسرحية التاسعة ظهرت ايضا عام 1889 ايضا بعنوان - (تاتيانا ريبينا) وهي مسرحية في فصل واحد تكاد ان تكون مجهولة للقارئ العربي، وقد كتبها تشيخوف كمحاكاة لكوميديا سوفورين (صديقه وناشر مؤلفاته) وذكر انها ليست للنشر وليست للمسرح بتاتا، وهذا ما تحقق فعلا اثناء حياته، ولكن الامور تغيرت بعد مماته.

10 - المسرحية العاشرة ظهرت ايضا عام 1889 بعنوان - (مأساوي بلا ارادته) او(تراجيدي رغما عنه) او (الممثل المأساوي دون قصد) كما جاءت في بعض الترجمات العربية، وهي مسرحية كوميدية في فصل واحد.

11- المسرحية الحادية عشرة كتبها تشيخوف في بداية عام 1890 وكانت بعنوان - (ليلة قبل المحاكمة)، واساسها قصة قصيرة له بنفس العنوان ظهرت عام 1886، ولكن تشيخوف لم ينشر هذه المسرحية الكوميدية الصغيرة ذات الفصل الواحد، بل ولم يكملها اصلا، ولم يضع في نهايتها - كما هي عادته دائما في كل مسرحياته - كلمة (الستارة)، وقد وجد شقيقه ميخائيل مسودة هذه المسرحية ونشرها لاول مرة عام 1914 بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة تشيخوف وحصل على السماح بتقديمها على خشبة المسرح في نفس تلك السنة.

12 - المسرحية الثانية عشرة ظهرت عام 1890 ايضا بعنوان - (شيطان الغابة) او (غابة الشيطان) كما جاءت في بعض الترجمات العربية، وترجمة هذا العنوان مسألة لا زالت تثير النقاش، اذ ان البعض (وانا من ضمنهم) يرى ان الترجمة الدقيقة هي - (جنّي الغابة) .وهي مسرحية كوميدية باربعة فصول.

13 - المسرحية الثالثة عشرة ظهرت عام 1892 بعنوان - (اليوبيل) وجاءت في الترجمات العربية بعنوان - (العيد السنوي) او (الذكرى السنوية)، وهي مسرحية كوميدية في فصل واحد، وقد كانت في الاساس قصة قصيرة حورها تشيخوف فيما بعد واعدها مسرحيا.

14 - المسرحية الرابعة عشرة ظهرت عام 1896 بعنوان - (النورس) وهي دراما في اربعة فصول، وقد جاءت في الترجمات العربية ايضا بعنوان - (طائر النورس) او (طائر البحر) وهذا العنوان الاخيرغير دقيق لان النورس لا يرتبط بالبحر فقط،وهي المسرحية المشهورة بقصة فشلها فشلا ذريعا عند عرضها لاول مرة في بطرسبورغ، هذا الفشل الذي أدى الى هروب تشيخوف من بناية المسرح والمدينة برمتها،والتي ترتبط ايضا بقصة عرضها ثانية في مسرح موسكو الفني ونجاحها الهائل والباهر.

15 - المسرحية الخامسة عشرة ظهرت عام 1897 بعنوان - (الخال فانيا) وهي مسرحية في اربعة فصول، وقد اسماها تشيخوف - (مشاهد من الحياة القروية)، وتترجم الى اللغة العربية بشكل خاطئ بعض الاحيان بعنوان - (العم فانيا) لعدم وجود مفردة خاصة باللغة الروسية للخال او العم، وهي نفس المشكلة باللغتين الانكليزية والفرنسية، واظن انه آن الاوان للمترجم العربي ان يفهم ذلك، الا انه من المؤسف ان نرى تكرار هذا الخطأ لحد الآن.

16 -المسرحية السادسة عشرة ظهرت عام 1901 بعنوان - (الاخوات الثلاث) او (الشقيقات الثلاث) وهي دراما في اربعة فصول، وتتمحور فكرتها الفلسفية حول الحنين والشوق والتلهف لشئ لا يتحقق، وقد ركّز عليها انصار مسرح العبث في محاولة لطرح اسم تشيخوف وربطه مع مفاهيم ذلك المسرح.

17 - المسرحية الاخيرة، السابعة عشرة ظهرت عام 1903 بعنوان - (بستان الكرز) وهي مسرحية باربعة فصول اطلق عليها تشيخوف تسمية - كوميديا، ولكن ستانسلافسكي اختلف معه بشأن تلك التسمية، وكلاهما كانا على حق طبعا لان تفسيرهما كان فلسفيا لمسيرة الحياة ومنعطفاتها.

30- تشيخوف في ذكريات معاصريه

توجد سلسلة شهيرة جدا من الكتب باللغة الروسية التي صدرت في الاتحاد السوفيتي (1917-1991) آنذاك حول الادباء الروس الكبار في ذكريات معاصريهم من الادباء والاصدقاء والنقاد، وهي سلسلة مهمة جدا وعميقة وعلمية و رائعة وممتعة عن هؤلاء الادباء وما كتب عنهم الاصدقاء والزملاء الذين عاصروهم في زمانهم. وكانت دور النشر السوفيتية في حينها تحاول اصدار نفس ذلك الكتاب بطبعات جديدة منقحة ومزيدة بين فترة واخرى، وتضيف لتلك الطبعات فصولا جديدة وتنقح الطبعات تلك وتغنيها بهوامش وملاحظات جديدة يكتبها كبار المتخصصين في ادب هذا او ذاك من الادباء الروس هؤلاء . لقد كان الهدف من تلك السلسلة هو رسم صورة موضوعية قدر الامكان طبعا و متكاملة لهذا الاديب او ذاك ومن مختلف الجوانب الفنية والنقدية والانسانية، وقد سبق لنا ان عرضنا كتابا صدر ضمن هذه السلسلة عن تولستوي (انظر مقالتنا بعنوان تولستوي في ذكريات معاصريه)، ومن جملة الادباء الروس الكبار الذين صدرت عنهم مثل هذه الكتب هو انطون تشيخوف طبعا (1860-1904)، اذ ظهرت الطبعة الاولى حوله ضمن هذه السلسلة من الكتب بعد اكثر من اربعين سنة بعد وفاته، في عام 1947، اما الطبعة الثانية، التي جرى تنقيحها والاضافة اليها فقد صدرت عام 1952، وصدرت الطبعة الثالثة عام 1954 (عام الذكرى الخمسين لوفاة تشيخوف) وهي ايضا مزيدة ومنقحة مقارنة بالطبعة الثانية تلك، ثم صدرت الطبعة الرابعة عام 1960 منقحة ومزيدة ايضا (وهو عام الاحتفال في الاتحاد السوفيتي والعالم ايضا بمرور مئة عام على ميلاد تشيخوف)، ثم الطبعة الخامسة عام 1986 منقحة ومزيدة مثل حال الطبعات السابقة والتي تم طبع 100 الف نسخة منها، وسنحاول في مقالتنا هذه عرض هذا الكتاب المهم في مسيرة الدراسات البيبلوغرافية و النقد الادبي الروسي عن تشيخوف بطبعاته المختلفة تلك للقارئ العربي، انطلاقا من محاولتنا المتواضعة اغناء المكتبة العربية بمصادر وآراء متنوعة حول تشيخوف - هذا الاديب الروسي و العالمي الكبير، والذي اصبح في الوقت الحاضر واحدا من أقرب الادباء الروس الى القارئ العربي.

تم ترجمة بعض تلك المقالات عن تشيخوف الى العربية، وخصوصا مقالات الادباء الروس المشهورين الكبار، مثل غوركي وكورولينكو وكوبرين وغيرهم هنا وهناك في عالمنا العربي (انظر، مثلا، مؤلفات تشيخوف باربعة أجزاء، والتي قام بترجمتها المترجم المصري الكبير د. ابو بكر يوسف، والتي نشرتها دور النشر السوفيتية في الاتحاد السوفيتي آنذاك حيث كان كل مجلد من تلك المجلدات يبتدأ بترجمة مقالة من مقالات هؤلاء الادباء الروس الكبار عن تشيخوف)، ولهذا فاننا سنتحدث هنا عن المقالات الاخرى، التي لم تترجم و لا يعرفها القارئ العربي في تلك السلسلة من الكتب.

مقدمة الكتاب (طبعة عام 1960 وعام 1986) جاءت بقلم كوتوفا، التي أشارت الى ان هذا الكتاب يعكس السيرة الحياتية لتشيخوف وعلاقة الادباء والفنانين الروس تجاهه، وتشير بالذات الى اسماء محددة في تلك الفترة وهم ليسكوف وغريغوروفيتش وكورولينكو وغوركي وكوبرين وبونين وحتى تولستوي من الادباء، ثم تتكلم عن علاقة تشيخوف برجالات الفن الروسي مثل الموسيقار تشايكوفسكي وبالرسامين التشكيليين ريبين وليفيتان والفنان المسرحي ستانسلافسكي وحتى بعلماء الطبيعة مثل تيميريازوف وغيرهم، مؤكدة ان حياة تشيخوف تعكس في الواقع كل مسيرة الفنون والعلوم الروسية في نهاية القرن التاسع عشر، ثم تأتي بعد هذه المقدمة تلك المقالات التي تناولت معظم جوانب حياة وابداع الكاتب وذكريات هؤلاء الاصدقاء حولها، و تبتدأ قبل كل شئ بطفولة تشيخوف والظروف الصعبة التي مر بها، والتي أدّت به الى ان يقول مرة كلماته الشهيرة حولها - (في طفولتي لم تكن لديّ طفولة)، وهي جملة مؤلمة جدا نجد صداها في مقالات المحيطين به آنذاك من اخته وبقية اخوته والعوز الذي كانوا يعيشون في اطاره، ولكننا نجد في تلك المقالات ايضا الاشارة الى ذلك التميز عند هذا الصبي الموهوب وبدايات حبه للمسرح والاداب منذ نعومة اظفاره كما يقال (تم حذف هذه المقالات عن طفولة تشيخوف في طبعة 1986 وذلك لصدور كتاب مستقل لاخيه بعنوان - حول تشيخوف)، ثم نطالع بعدئذ مقالات متعددة تتناول مختلف الجوانب الابداعية لتشيخوف بقلم ادباء ونقاد وصحفيين روس، عدا تلك الاسماء الكبيرة التي أشرنا اليها اعلاه، ولا يمكن بالطبع التوقف عند كل هذه المقالات وعرضها في اطار هذه المقالة، ولكننا اخترنا - كامثلة ليس الا -

التوقف قليلا عند بعضها، ومنها مقالة بقلم غارين - ميخايلوفسكي، وهو اسم معروف في دنيا الفكر الروسي نهاية القرن التاسع عشر. يتحدث ميخايلوفسكي في مقالته تلك عن اهمية القصة القصيرة التي اعطاها تشيخوف للادب الروسي والعالمي ايضا، ويشير الى ان تشيخوف ناضل طويلا وبعناد من اجل تثبيت هذا النوع من القصة القصيرة قائلا - (.. تشيخوف خالق القصص القصيرة الصغيرة، وهي ألاصعب بين انواع القصص، وقد حمل هذه القصص طويلا في حقيبته، الى ان استطاعت هذه القصص ان تحصل على حق المواطنة...)، وهي ملاحظة صحيحة ودقيقة فعلا، ومن المقالات الاخرى في هذا الكتاب نود ان نشير الى مقالة الرسام التشكيلي الروسي الكبير ريبين، اذ انه يقول عن تشيخوف عندما التقاه مرة، انه يذكره ببطل رواية تورغينيف الاباء والبنون - بازاروف، وهي ملاحظة لم ترد ابدا في مقالات الاخرين عن تشيخوف، ولا يوضح الفنان التشكيلي سبب ذلك، ولكن الملاحظة هذه تبقى طريفة بعيون فنان مثل ريبين تجاه تشيخوف، وربما يمكن استنتاج اهمية رواية تورغينيف في الوعي الفني الروسي آنذاك وربط هذه الصورة الفنية بالموقف من تشيخوف باعتباره اديبا جاء بشئ جديد في دنيا الادب وقال كلمة جديدة في هذا العالم مثل بازاروف - بطل تورغينيف، ومن المقالات التي نود الاشارة اليها في ختام هذا العرض السريع للكتاب هي ما كتبه عالم الاجتماع الروسي كوفاليفسكي (1851-1916)، (وهو محامي ومؤرخ وعالم اجتماع أقالته السلطة الروسية القيصرية من وظيفته في جامعة موسكو لافكاره التحررية (كان بدرجة بروفيسور)، فسافر الى الغرب وقام بنشاط علمي في باريس وبروكسل ثم اسس عام 1901 في باريس المدرسة الروسية العليا للعلوم الاجتماعية)، اذ التقى تشيخوف عدة مرات في فرنسا وايطاليا واصبحا قريبين من بعضهما، وكتب عن تشيخوف مقالة جميلة نشرت في روسيا عام 1915، وهي مقالة غنية بافكارها تناول فيها تشيخوف - انسانا وطبيبا ومثقفا ايضا، ونقدم للقارئ مقطعا من جملة بسيطة من هذه المقالة، تعبربعمق و بصدق عن جوهر افكار تشيخوف - (لم يكن تشيخوف يهتم بقضايا النظام الجمهوري او الملكي.. ولكنه كان يتمنى ان يرى روسيا حرة..) وما أعظم هذه الكلمات وما أعمقها!.

31- تساؤلات حول تشيخوف

استلمت من الدكتور عماد غانم رسالة الكترونية بهذا العنوان، وقد أثارت اهتمامي الشديد طبعا. الدكتور عماد غانم أحد طلبة قسم اللغة الالمانية في كلية اللغات بجامعة بغداد، وقد سافر الى المانيا بعد تخرّجه، وحصل هناك على شهادة الدكتوراه باختصاصه، وبقي في المانيا، واصبح واحدا من العاملين البارزين في مجال الاعلام الالماني - العربي بفضل عصاميته وموهبته، وهو كأي عراقي حقيقي واصيل يتابع أحداث العراق العامة بشكل عام، والاحداث الثقافية خاصة بدقّة وتفصيل، وقد أطلع طبعا على مقالتي بعنوان - (أ.د. علي منصور... وداعا)، والتي كتبتها بعد رحيل المرحوم علي منصور(وهو أحد اساتذته عندما كان طالبا في قسم اللغة الالمانية) وأثار انتباهه ما أشرت اليه في نهاية مقالتي تلك حول استعداد (دار نوار للنشر) لطبع مخطوطات الكتب التي أبقاها المرحوم علي منصور، وكتب تعليقا يشير فيه الى استعداده بتزويدنا بمخطوطة المرحوم والتي يحتفظ بها وهي بعنوان - (معجم المصطلحات الادبية / الماني - عربي)، وهذا ما تم فعلا، ويجري الان طبع المخطوطة هذه في بغداد (بدار نوار للنشر) وباشراف أ.م. الدكتوره هديل اسماعيل والاستاذ الدكتور غازي شريف.

هذه مقدمة ضرورية لتعريف القارئ بالدكتور عماد غانم، اما رسالته، التي أشرت اليها في بداية هذه المقالة، فانها تختلف عن عمله الرائد والجميل الذي سيؤدي الى نشر مخطوطة أ.د. علي منصور. رسالته الشخصية لي ترتبط بتشيخوف، فقد عثر د.غانم اثناء بحثه في المصادر العراقية والعربية عن بدايات الادب الالماني المنشور بالعربية وكيفية تقبّل القراء العرب له، عثر على كتاب عراقي صادر في البصرة عام 1934 يتضمن قصتين مترجمتين لتشيخوف. الكتاب هذا بعنوان - (مجموعة قصص من الادب الحديث)، وهو من تأليف عبد الوهاب الامين. لقد ارسل د.عماد هذه الرسالة لي لانه يعرف اهتمامي العلمي بالموضوع طبعا، وسألني عن امكانية متابعة هذه المعلومة الطريفة.

شكرا جزيلا يا اخي د. عماد على هذه الرسالة المهمة جدا في تاريخ الادب الروسي في العراق بشكل عام، وتاريخ دراسة انتشاره في العراق، ودراسة موضوعة تشيخوف في العراق بالذات، ولكنني في الوقت الحاضر خارج

العراق، وبالتالي لا استطيع متابعة هذه المسألة كما يجب، لهذا أودّ ان اتوجه هنا الى طلبتي سابقا، والذين يشغلون الان مواقع طليعية ضمن التدريسيين في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد (دون ذكر الاسماء)، اتوجّه لكم يا اعزائي، ان تجدوا هذا الكتاب (والذي يذكر د.عماد انه موجود في المكتبة الوطنية ببغداد)، وان تحددوا عناوين القصتين ومستوى ترجمتها، وتقارنوها بالنص الروسي، وكل ما هو ضروري لدراستها. ان ظهور قصتين لتشيخوف في البصرة عام 1934 (اي بعد ثلاثين سنة من وفاة تشيخوف ليس الا) - مسألة تثير الفخر للمثقفين العراقيين، ويمكن لهذا الموضوع ان يترجم الى اللغة الروسية، وان ينشر في روسيا، اذ لا توجد في المصادر الروسية عن الادب الروسي في العالم العربي اي اشارة الى ذلك.

هيا يا اعزائي في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد للعمل من اجل تحقيق هذه المهمة العلمية الجميلة والممتعة والتي يمكن ان نفتخر بها في العراق، بل ويمكن حتى ان (نباهي !) بها الآخرين. هيا الى دراسة مساهمات المثقفين العراقيين الاوائل وتقييم ابداعاتهم.

32- الاديب الالماني هاينريش بول يكتب عن تشيخوف

هاينريش بول (1917-1985) روائي وقاص الماني معروف، وقد حاز على العديد من الجوائز الادبية، منها جائزة نوبل للآداب عام 1972. كتب هاينريش بول عن تشيخوف في رسالة الى الصحافي الالماني اوربان في فرانكفورت بتاريخ 1983/12/28، وذلك بمناسبة مرور 125 سنة على ميلاد تشيخوف، الا ان هذه الرسالة لم تنشر اثناء حياة الاديب الالماني، وقد تم نشرها قبل فترة قصيرة ليس الا، واعادت نشرها مجلة (الادب الاجنبي) الروسية في عددها المرقم (12) لعام 2017. نقدم للقارئ العربي خلاصة لهذه الرسالة، لاننا نرى فيها ملاحظات فنية دقيقة وطريفة وموضوعية لكاتب الماني كبير ومعاصر حول تشيخوف، ونعتقد ان هذه الآراء تستحق فعلا الاطلاع عليها لاغناء معرفتنا بابداع تشيخوف.

يبتدأ الاديب الالماني رسالته بالاشارة الى انه لم يكن يمتلك نقودا لشراء الكتب في شبابه، ولكنه استطاع الحصول عندما كان عمره 17 - 18 سنة على عدة اجزاء من قصص تشيخوف، وقد طالعها باهتمام كبير، ولكنها بقيت غير مفهومة بالنسبة له، وبعد القراءة، تبلور لديه رأي محدد عن تشيخوف يتلخص في انه - (كاتب جاف وبارد وروتيني)، ولم يتقبّل النهايات (المفتوحة!) لقصصه، وهي ملاحظات طريفة واستنتاجات تتكرر عند الكثير من قراء تشيخوف في بداية اطلاعهم على قصصه، ولكن هاينريش بول يشير، الى ان هذه النهايات بالذات هي التي أثارته في القراءآت اللاحقة لتشيخوف، وانه وجد فيها (قوة السرد التشيخوفي)، والتي أدّت به الى مقارنة تشيخوف بشوبان في الموسيقى، اذ ان البعض ايضا كان يعتبر شوبان (موسيقارا غير جدّي!) عند الاستماع اليه للوهلة الاولى. يتحدث بول في رسالته تلك عن انطباعاته حول تشيخوف في السنوات اللاحقة، ويقول، ان نتاجاته هي الاقرب الى روسيا الحقيقية من نتاجات هؤلاء الذين يكتبون عن المشاكل الكبيرة والابطال والافكار، النتاجات التي يصفها بول بشكل ساخر وكما يأتي - (المحشوة بالايدولوجيا التقليدية والجمود العقائدي...)، وانطلاقا من مفهومه هذا يحدد ان تشيخوف (كاتب واقعي كبير)، ويقول انه هكذا (يتصور الواقعية، ولا ضرورة للنقاش اسابيع حولها)، ويشير انه حتى غوركي

هو اقرب الى المدرسة الطبيعية مما للواقعية . ينتقل الكاتب الالماني بعد ذلك الى مسرح تشيخوف، ويقول، انه يحب قراءة مسرحياته، ويفضّل القراءة على المشاهدة على خشبة المسرح، ويوضح هذا الرأي الطريف والمتميّز فعلا قائلا، اته اثناء القراءة يتمكن من استيعاب افكار تشيخوف الدقيقة، التي يعبّر عنها همسا او بايماءآت هنا وهناك، اما العرض المسرحي، فان المخرج هو الذي يعرض نفسه هناك وليس تشيخوف، وهذه ملاحظة صحيحة فعلا، وقد تذكرت حديثا طريفا جدا جرى مرّة بحضوري في اروقة القسم الروسي بجامعة باريس في ستينات القرن العشرين، عندما تحدثت واحدة من زميلاتي من طلبة الدراسات العليا هناك (وهي من أصل روسي) عن مشاهدتها لمسرحية (الدب) الشهيرة لتشيخوف في احد المسارح الفرنسية، وقالت - (عندما طلب الممثل كأسا من الفودكا، فان الخادم صبّ له الفودكا من سماور كان موجودا على الطاولة)، وقد سألت الممثل عن ذلك، فقال - (ان المخرج هو الذي حدد ذلك بغض النظر عن نص تشيخوف المسرحي، وذلك لأن الروس يستخدمون السماور دائما!!!)، والامثلة كثيرة في هذا الشأن، بما فيها عروض مسرحيات تشيخوف في العراق.

يختتم هاينريش بول رسالته تلك بالتوقف عند كتاب تشيخوف - (جزيرة سخالين)، والذي يعده كتابا مدهشا وغير اعتيادي كليّا، وهو على حق طبعا، اذ عرض فيه تشيخوف مهارته طبيبا وصحافيا واديبا، ويتمنى الكاتب الالماني ان يقرأ هذا الكتاب (كل الذين يصطدمون او يمتلكون اي علاقة بهؤلاء الذين نسميهم منفّذي العقوبات)، ومن المعروف ان تشيخوف زار جزيرة المعتقلين النائية تلك وكتب وقائع الحياة الرهيبة فيها بشكل موضوعي ووثائقي، ولا زال هذا الكتاب يمتلك قيمته واهميته لحد الان، بل ان تشيخوف نفسه كان يعتبر كتابه هذا اطروحة دكتوراه، والتي اراد يوما ان يحققها.

رسالة هاينريش بول حول تشيخوف - اضافة طريفة وذكية واصيلة من كاتب الماني في القرن العشرين للصورة الجميلة في وجداننا لكاتب روسي من القرن التاسع عشر.

33- سيدة تشيخوف وكلبها الصغير يدخلان التاريخ

أصدر تشيخوف قصتة الطويلة - (السيدة صاحبة الكلب الصغير) العام 1898، وقد مضى الان 120 سنة على اصدارها، ولكن هذه القصة لا زالت تتفاعل مع مسيرة الحياة اليومية وأحداثها، فقد تحولت الى فلم سينمائي عام 1960 في الاتحاد السوفيتي،ثم عام 1971 في الارجنتين، ثم عام 1972 في يوغسلافيا، ثم عام 1975 في بلجيكا، ثم عام 1987 في الاتحاد السوفيتي من جديد، ثم تحولت الى باليه جميلة جدا في روسيا وضع موسيقاها الموسيقار السوفيتي المعروف شيدرين، ثم تحولت الى نصب من البرونز في مركز مدينة يالطا عند ساحل البحر في القرم عام 2004 بمناسبة مرور 100 سنة على وفاة تشيخوف (ونادرا ما يعرف العالم نصبا وتماثيل تتمحور حول نتاجات أدبية بحتة)، والنصب هذا عمل فني مدهش الجمال يجسّد تشيخوف نفسه برشاقته وهو يقف عند حافة جسر وامامه تقف السيدة الجميلة وكلبها الصغير، ثم تم تدشين تمثال جديد لهذه القصة عام 2013 في مسرح بمدينة يوجنو - سخالينسك (وهي مدينة ترتبط بسخالين، التي زارها تشيخوف وكتب عنها كتابه المعروف (جزيرة سخالين) عن وضع المنفيين هناك وتضمّن احصائيات دقيقة عنهم لا زالت لحد الان تمتلك قيمتها العلمية واهميتها الاجتماعية والتاريخية) . وتم ترجمة هذه القصة الى الكثير من اللغات الاجنبية، بما فيها لغتنا العربية (تم ترجمة نتاجات تشيخوف بشكل عام الى 92 لغة، وقد ابتدأت هذه العملية الابداعية اثناء حياته ولا زالت مستمرة لحد الان)، وقد جاءت هذه الترجمة العربية طبعا بمختلف الاشكال وحسب اجتهادات المترجمين العرب، وحتى عنوانها خضع لهذه الاجتهادات، وهكذا نجد العنوان في هذه الترجمات كما يأتي - (السيدة والكلب)، و(سيدة مع كلب)، و(سيدة مع الكلب)، و(السيدة والكلب الصغير)، و(السيدة ذات الكلب الصغير)، و(السيدة صاحبة الكلب الصغير)، وقد ترجمها أحد العراقيين مرة باللهجة العراقية كما يأتي (المريّة ام الجليب الزغيروني) ...الخ).

أعتبر نابوكوف هذه القصة الطويلة (واحدة من أعظم القصص في الادب العالمي)، وأشار الى انها مبنيّة على مبدأ (الامواج) كما أسماه نابوكوف، ولا تعكس اي مشكلة، ولا توجد فيها قمة في تطور الاحداث، ولا توجد (نقطة في

نهايتها!). وقال عنها أحد الباحثين، انها (آنّا كارينينا) تشيخوف، وأشار الى انها حتى أعمق من آنّا كارينينا تولستوي، اذ انها بقيت في منتصف طريقها الذي سلكته باختيارها وارادتها، ولم تنتحر مثلما فعلت كارينينا، وبذلك أثبتت، ان الحب المستحيل أخذ يتعايش مع مسيرة الحياة رغم سيل دموعها الكبير وتعاستها الهائلة.

لقد أراد تشيخوف ان يقول لنا، ان (الحب المستحيل) هو أقوى من (الحب الاعتيادي) رغم كل آلامه وتعاسته، وهي موضوعة انسانية خالدة في مسيرة حياة البشر تتكرر بلا انتهاء وبلا حل ايضا، ولهذا انعكست هذه القصة البسيطة في مختلف أشكال الفنون من سينما ونحت وموسيقى وباليه...

34- تشيخوف بين الطب والادب

كيف اختار تشيخوف (1860-1904) الدراسة في كلية الطب بعد انهاء المدرسة؟ وهل خطط في شبابه كي يصبح طبيبا؟ ولماذا لم يمارس هذه المهنة الانسانية لاحقا بعد ان تخرّج واصبح طبيبا؟ وهل انعكست مهنته هذه على مسيرة نشاطه الابداعي في مجال الادب؟ هذه الاسئلة كانت ولا زالت تدور في الاوساط الادبية الروسية والعالمية حول تشيخوف، الذي يعد الان واحدا من الادباء الروس الكبار، و من ادباء العالم البارزين ايضا.

كتب تشيخوف سيرة حياته بشكل وجيز، وأشار هناك، الى انه (لا يتذكر!) لماذا اختار دراسة الطب عندما أنهى المدرسة، ولكنه أضاف - (انه لم يندم على ذلك). وقد تناول الباحثون في ادب تشيخوف هذه الاشارات الوجيزة بالدراسة و التحليل، وتحدثوا عن اسباب اختياره لمهنة الطب، وربطوها بوضعه الصعب في مدينة تاغنروغ، اذ بقي فيها تشيخوف وحيدا كي ينهي المدرسة، بعد ان سافرت العائلة الى موسكو بسبب افلاس والده، وقد عانى تشيخوف كثيرا في تلك الفترة طبعا من جراء ذلك، وربما كان هذا الوضع هو الذي دفعه الى اختيار مهنة الطب والالتحاق في كلية الطب بمرحلة الصبا تلك، اذ ان مهنة الطبيب تضمن العيش الكريم اقتصاديا، اضافة الى احترام الآخرين لهذه المهنة المهمة والضرورية لحياة الناس، ولكن تشيخوف - على ما يبدو - لم يرغب بكتابة هذه التفاصيل الصغيرة والشخصية جدا في سيرة حياته الوجيزة تلك، ولهذا اختصر كل ذلك بجملة (لا يتذكر)، اذ كيف يمكن للانسان ان (لا يتذكر) تلك الفترة التي يقرر فيها اختيار مهنة المستقبل؟، ولكن الجملة الثانية هي المهمة والحاسمة في هذه السيرة الذاتية الوجيزة، اي - (انه لم يندم على ذلك). لقد كان تشيخوف يفخر بمهنته تلك، وكتب بعد تخرجه لوحة علّقها على باب سكنه، وهي - الدكتور أ.ب. تشيخوف، وبدأ يمارس مهنته طبيبا، وأجاب على رسالة سوفورين، الذي نصحه ان يترك مهنة الطب ويتفرغ للادب قائلا - (انت تنصحني الا اركض وراء ارنبين، والا افكر باشتغالي في الطب، ولا أعرف لماذا يجب عليّ الا اركض وراء ارنبين بالمعنى الحرفي للكلمة، اذا كان الركض ممكنا....؟ فانا راض عن نفسي عندما اعي، باني امتلك عملين وليس عملا واحدا. مهنة الطب زوجتي..،

اما الادآب فعشيقتي، وعندما تضجر من واحدة، تذهب للمبيت عند الاخرى.....)، وعلى الرغم من ان رسالة تشيخوف ذات طابع مرح وساخر جدا وتحمل روح الشباب، الا انها من جانب آخر تعبّر فعلا عن موقفه آنذاك. لقد بدأ تشيخوف بنشر قصصه القصيرة عندما كان طالبا في الكلية الطبية، ونجح فعلا - و بشكل باهر - في المجالين الطبي والادبي معا، ولم يفكر بالتفرغ في مجال واحد، اذ كان في قمة شبابه آنذاك، وكان على قناعة تامة انه يستطيع ان يؤدي في آن واحد (عملين وليس عملا واحدا) كما كتب في رسالته تلك، ولكن استمرار النجاحات الكبيرة في المجال الادبي أخذ يطغي على عمله في الطب تدريجيا، وقد حاول توحيد المهنتين، عندما قرر السفر الى جزيرة سخالين والتعرف على الحالة الصحية والاجتماعية للسجناء وسكان تلك الجزيرة النائية، وأصدر بعد السفرة كتابه الشهير بعنوان - (جزيرة سخالين)، والذي تميّز عن كل كتبه السابقة واللاحقة -، والذي تضمّن احصائيات علمية فريدة مستندة على الاف الاستمارات عن الوضع الصحي والاجتماعي للسكان هناك وضعها تشيخوف نفسه، وكتب عن هذه السفرة يقول - (ان العلوم الطبية لا يمكن ان تؤنبني باني خنتها)، واعتبر تشيخوف كتابه هذا بمثابة اطروحة دكتوراه في الطب، وان هذه الاطروحة تؤهله حتى للعمل تدريسيا في الكلية الطبية، الا ان المجلس العلمي للكلية رفض طلبه هذا، ويقول أحد الباحثين الروس، ان رفض المجلس العلمي لكلية الطب قد خدم الادب الروسي خدمة عظيمة، لانها أجبرت تشيخوف على تكريس كل جهده للعمل الابداعي والى الابد، وهوعلى حق فعلا. لقد ابتدأ تشيخوف في بداية تسعينات القرن التاسع عشر الاقتراب من فكرة التفرغ للعمل الادبي وترك مهنة الطب، لانه اصبح في عداد الادباء الروس الكبار، وابتدأت نتاجاته توفر له ضرورات الحياة الطبيعية، ونجد في احدى رسائله عام 1892 الجملة الاتية - (...ان مهنة الطب تعرقل مهنة الكتابة..)، وقد كتب تشيخوف هذه الجملة عندما انتشرت الكوليرا في روسيا، وكان مضطرا ان يعمل ويسافر الى مناطق مختلفة، وترك تشيخوف اخيرا مهنة الطب عندما سافر للعيش في يالطا بسبب مرضه، ولكنه استمر بمتابعة كل ما هو جديد فيها.

كتب تشيخوف مرّة يقول - (.. ان العلوم الطبية كانت تمتلك تاثيرا جديا على نشاطي الادبي، انها وسّعت مجال ملاحظاتي.. ومنحتني القيمة الحقيقية التي

يمكن ان يفهمها الطبيب فقط، وبفضل ذلك نجحت في عدم الوقوع بالاخطاء..).
وقال احد الاكاديميين مؤكدا ما ذكره تشيخوف في جملته تلك - (تشيخوف يصوّر مرض وموت ابطاله بدقة علمية).

الطبيب تشيخوف فقط كان يمكن ان يكتب قصصا دقيقة ورائعة مثل - (ردهة رقم 6) و (رجل في علبة) و (الراهب الاسود) وغيرها من النتاجات الابداعية التي لا زالت حيوية لحد الان.

35- تشيخوف وخادمته المغفلة والوضع في العراق

طلبت مني السيدة كفاح عبد المحسن السوداني زوجة صديقي الحبيب الاستاذ الدكتور على يحيى منصور - رفيق عمري في كلية اللغات بجامعة بغداد ان اكتب مقالة عن قصة قصيرة لتشيخوف معجبة بها جدا وعنوانها - (الخادمة)، وها انا ذا اقوم بذلك بناء على طلبها، واول شئ اود ان اسجله هنا، ان عنوان القصة القصيرة تلك لا زال غير مستقرا في الترجمات العربية، فقد جاء عند صديقي المترجم المصري القدير الدكتور ابو بكر يوسف في الجزء الاول من ترجماته الشهيرة لمؤلفات تشيخوف هكذا - (المغفلة) و ليس (الخادمة) كما تشير بعض الاصدارات العربية لتلك القصة، اما بوريسوف، مؤلف القاموس الروسي - العربي المعروف فانه يترجم تلك الكلمة الروسية التي استخدمها تشيخوف عنوانا لقصته هكذا - (رخو العود // بارد الدم // فاتر الهمّة) وهي اجتهادات جميلة وصحيحة ولكنها لا تصلح طبعا ان تكون عنوانا لتلك القصة القصيرة بتاتا، ومع ذلك فان هذا يعني ايضا ان العنوانين المذكورين (الخادمة والمغفلة) لا يتناسبان مع الشئ المطلوب ولا يعبّران عنه بشكل دقيق، وباختصار - لا توجد كلمة عربية واحدة تقابل تلك الكلمة الروسية، وهكذا بدأت حيرتي بشأن عنوان القصة هذه، فأخذت ابحث عن اجتهادات اخرى، لعل وعسى أجد فيها جوابا، على الرغم من قناعتي الكبيرة والتامة تقريبا في ان ترجمة صديقي الدكتور ابو بكر يوسف هي الاهم والاصلح، اي هي ال (حكم)، ولكن الموقف هذا ذكّرني - مع ذلك - بتعبير المتنبي العظيم حول (الخصم والحكم)، وهكذا بقيت حائرا، خصوصا وان الروس حولي يقولون ان معنى الكلمة تلك هو - الانسان الذي لا رأي ولا موقف محدد لديه، والذي لا يستطيع حسم اي أمرمن امور الحياة الانسانية المتشابكة حوله، او الانسان الباهت والساذج، وقال لي احدهم ضاحكا انه الانسان الذي يمتلك خصائص الماء - (لا لون ولا طعم ولا رائحه) له، وقد زادت كل هذه التفسيرات من حيرتي، ومع ذلك فانه من المؤكد حتما ان ترجمتها بكلمة - (الخادمة) هو اجتهاد غير دقيق بتاتا، خصوصا وان البطلة في تلك القصة لم تكن خادمة بالمعنى الحرفي للكلمة بل كانت مدبرة شؤون البيت، اما ترجمة الدكتور ابو بكر يوسف - (المغفلة) فانها تتناسب

وتتناسق الى حد - ما بشكل أو بآخر مع المعنى الذي قصده تشيخوف في مضمون قصته تلك، اذ كيف يمكن ان نسمي ذلك الانسان الذي لا رأي له بتاتا عندما يتهمه الاخرون باتهامات كاذبة وباطلة، ولا يعرف حتى كيف يدافع عن مصلحته الشخصية البحتة في هذا المجتمع الذي (يأكل) القوي فيه الضعيف بلا شفقة ولا ضمير سوى ب (المغفل)؟؟؟ ولكن هناك - مع ذلك - من يعترض على هذه التسمية ويقول - ان هذا الانسان ليس مغفلا وانما مسكين طيِّب او ساذج بائس وبسيط جدا او ضعيف الشخصية او مسحوق اجتماعيا، وغالبا ما يتعاطف الناس مع هؤلاء النماذج ويكونون الى جانبهم، اما المغفل فانه ذاك الذي لا يستطيع اداء دوره او وظيفته في المجتمع الانساني كما يجب، وبطلة القصة لم تكن كذلك، بل كانت مسكينة وطيبة وتؤدي واجبها كما يجب ولكنها لا تستطيع باي شكل من الاشكال الدفاع عن ابسط حقوقها ولو بالكلمات لانها مسحوقة من قبل المجتمع الذي تتعامل معه وخانعة لهذه العبودية الاجتماعية كليا وجذريا، بل ان سيدها نفسه كان متعاطفا معها واراد ان يقول لها بضرورة ان تنهض وتنتفض وتدافع عن حقوقها المشروعة، او كما قال هو نفسه لها، انه اراد ان يعطيها درسا للتخلص من هذا الخنوع، وهو جوهر مضمون هذه القصة القصيرة وهدفها، والذي يعرضه تشيخوف بشكل وجيز وحيوي عبر حوار بينها وبين سيدها الذي استدعاها لانه يريد ان يتحاسب معها بشأن راتبها كي يسلمه لها لانه يعرف انها حتى لا تتجاسر على طلبه كما يقول لها هو نفسه، ويختلق سيدها الاسباب والحجج المفتعلة وحتى الاكاذيب لقطع اجزاء من راتبها عقابا على كل ذلك في محاولة منه لاستفزازها كي تتكلم وتعترض وتحتج وتنتفض ولكن بلا فائدة، لانها لا تعرف اصلا كيفية القيام بذلك، وهكذا ترضخ لكل تلك التلفيقات المفتعلة و الاكاذيب وتوافق على كل تلك الاستقطاعات من راتبها رغم انها تعرف انها غير صحيحة، وتنتهي القصة هذه باعطاء السيد كل المبلغ المطلوب دون اي استقطاعات ويقول لها انه اراد ان يعطيها درسا ويعلمها كيف يجب ان تدافع عن مصلحتها، ولكنه يفشل، اذ انها تشكره حتى على منحها هذا الجزء الصغير المتبقي من المبلغ في اول الامر، ويطرح عليها سؤاله - لماذا وعلى اي شئ تشكريني وانا سرقت من راتبك؟ فتقول له ان الآخرين لم يكن يعطوها حتى

هذا، وفي نهاية القصة يقول رب البيت جملته الختامية عن سهولة ان يكون الانسان قويا وسط هؤلاء النماذج الضعيفة من البشر في هذا العالم.

هذه القصة أعجبت الكثيرين من القراء العرب، والعراقيين خاصة، و بالذات في الوقت الحاضرهذا،عندما اشتدّت أزمة الحياة اليومية في العراق الجريح ووصلت الى حد الاختناق، ولهذا أخذ بعض قراء الادب الروسي في العراق يتقبلون هذه القصة على انها دعوة صارخة لشجب روحية الخنوع الكامنة في اعماق الكثيرين من البشر حولهم، وكذلك دعوة للتمرد على هذا الواقع ورفضه كليا بل و حتى الثورة ضد هذا الظلم والتعسف وهذه العلاقات الجائرة في ذلك المجتمع وهذا الاستسلام الكامل والاستعداد الدائم لتقبل هذا الواقع المرير لان الخنوع كامن في اعماق نفوس هؤلاء الضعفاء والمساكين البسطاء، وقد انعكس هذا الاعجاب الكبيروالواسع حتى في صفحات التواصل الالكتروني بين العراقيين، واستلمت انا شخصيا عدة رسائل الكترونية من اصدقاء مختلفين تتضمن الترجمة العربية لهذه القصة وتعليقات القراء حولها بهذا المعنى بالذات، و لو قرأ تشيخوف نفسه هذه التعليقات لتعجب أشد العجب منها، اذ انها تقارن هذه القصة مباشرة حتى بالوضع السياسي السائد في العراق حاليا وتشير الى ان تشيخوف و كأنه قد صوّر في تصرفات بطلته خصائص بعض الشرائح الاجتماعية العراقية الموجودة عندنا بالساحة العراقية في الوقت الحاضر، هذه الشرائح التي يتجذر في اعماقها الخنوع والمشبعة بالعبودية والتي لا تعرف الحرية ولا تفهم معناها ولا تستوعب حتى قيمتها الحقيقية وضرورتها لمقومات الحياة الطبيعية الانسانية، بل انها لا تستطيع العيش بدون تلك العبودية، و تستنتج هذه التعليقات بالتالي ان تشيخوف في قصته تلك يعتبر كاتبا (ثوريا !!!) بكل معنى الكلمة وان هذه القصة تدعو بكل وضوح الى شجب سيطرة الظلم والاستبداد في العلاقات الاجتماعية والى التحرر من العبودية المتجذرة في اعماق الكثيرين من البشر وان هذه القصة بالذات تتناغم وتنسجم مع الوضع القائم في العراق فعلا. ان هذه الاستنتاجات قد ذهبت أبعد مما يجب كما يقال،فقد كتب تشيخوف قصته القصيرة هذه في بواكير مسيرة ابداعه، وتوجد فيها بالطبع ملامح عبقريته الفنية وخصائص ادبه الابداعي بلا شك، والتي ستتبلور لاحقا، بل ان احد الباحثين الروس اشار الى ان هذه القصة بالذات تبين فلسفيا بداية

التحول الجوهري الذي سيحدث لاحقا في مسيرة ابداعه الادبي، ولكن كل ذلك لا يعني بتاتا صحة تلك الآراء عند القراء العراقيين حول هذه القصة القصيرة، والتي أشرنا اليها أعلاه، اذ ان تشيخوف لم يكن ابدا كاتبا ثوريا بهذا المعنى المباشر للكلمة ابدا، ولكنه استطاع ان يعكس في نتاجاته معاناة الانسان الاعتيادي في المجتمع الانساني بغض النظر عن قوميه ونظام ذلك المجتمع او البلد، لهذا فان ابطاله (رغم كونهم روس) يتقبلهم كل الناس في كل بلدان العالم، وقد أشار الى ذلك جميع النقاد، وفي هذه الخاصية بالذات تكمن عظمة تشيخوف واهميته ومكانته في دنيا الادب العالمي واهتمام كل الشعوب به، ومن الواضح تماما ان ردود فعل القراء العراقيين بشأن هذه القصة القصيرة (رغم كل ما ذكرناه من ملاحظات) خير دليل على ذلك، واختتم هذه السطور بجملة كتبها الكاتب السوفيتي الشهير ايليا ايرنبورغ عن تشيخوف وهي كما يأتي - (انطون تشيخوف، هذا المتواضع، هزّ العالم بكتاباته التي اسماها الصغائر. لقد سمعت من شباب فرنسيين وطلبة انكليز وكثير من الامريكيين الذين تفزعهم تفاهة الحياة، سمعت تصريحات كهذه - تشيخوف فتح العيون.. تشيخوف ساعدنا.. تشيخوف أدخل الدفء الى قلوبنا..).

36- تشيخوف في شارع الرشيد ببغداد

ياله من خبر جميل ورائع ومثير! فقد اطلعت على مقالة د. فرحان عمران موسى في جريدة المدى الغراء بعنوان - (تقاسيم على الحياة.. بين معمارية النص ومعمارية التمثيل) بتاريخ 4/15 /2018، ثم على مقالة الاستاذ عبد الجبار العتابي في موقع ايلاف بعنوان - (مسرحية تقاسيم عن الحياة.. تهز الوسط المسرحي العراقي) بتاريخ 2018/4/16، وتذكرت رأسا (روح!!!) مقالتي التي نشرتها عن تشيخوف بمجلة الف باء في بغداد قبل اكثر من ربع قرن بعنوان - (تشيخوف في علاوي الحلة)، واقول (روح مقالتي)، لاني تحدثت عندها عن (احلامي الخيالية !) ليس الاّ حول هذا الموضوع، اما هذا الخبر، فانه يتحدث عن واقع ملموس ومحدد وواقعي، ولهذا فهو خبر رائع، اذ قدّم المخرج المبدع جواد الاسدي مسرحية بعنوان (تقاسيم عن الحياة) (ويا له من عنوان دقيق وذكي ورشيق شكلا ومضمونا)، والمسرحية هذه مأخوذة (حسب تعبير العتابي) او (مستلة) (حسب تعبير د. فرحان) من قصة تشيخوف الشهيرة (العنبر رقم 6)، كما جاء عنوان هذه القصة في بعض الترجمات العربية، والتي نسميها في العراق (الردهة رقم 6)، اذ ان الطبيب والمحلل النفسي والاجتماعي الكبير تشيخوف رسم (ولا اقول كتب) احداث قصته تلك عن الحياة في (ردهة) مستشفى، هذه ال (ردهة)، التي رأى فيها لينين (رمزا) لروسيا القيصرية، ورأت فيها الشاعرة أنّا أخماتوفا (رمزا) لروسيا السوفيتية (انظر مقالتنا بعنوان - تشيخوف وأخماتوفا)، ورأى فيها المخرج العراقي جواد الاسدي الان (رمزا) لكل مشاكل العراق الحالي، بعد ان تعامل ابداعيا معها طبعا (ان تحويل قصة تشيخوف الى مسرحية هو بحد ذاته يعدّ عملا فنيا وابداعيا كبيرا ومتميّزا محليا وعالميا ايضا)، وهكذا قدّم لنا الاسدي تقاسيم معزوفته عن الحياة العراقية من خلالها، وعلى خشبة منتدى المسرح العريق في شارع الرشيد ببغداد، وعلى مدى خمسة أيام باكملها، وبنجاح كبير لدرجة ان العتابي قال في عنوان مقالته انها (تهز الوسط المسرحي العراقي!)، اما د . عمران فقد أشار ايضا الى ذلك النجاح الباهر، رغم انه تكلم عن ذلك بلغة فلسفية معقدة ومتشابكة جدا، لدرجة ان أحد أصدقائي سألني عن معنى بعض جمله، وأردف سؤاله بسؤال آخر، وهو - (وهل

يوافق صديقك تشيخوف نفسه على هذه (المعمارية!!!) اللغوية المبهمة؟ فقلت له ان يتوجه بسؤاليه الى تشيخوف نفسه، اذ انني لا استطيع الاجابة عن هذين السؤالين، واعتبرهما ضمن ال (ترك)، وقلت له ايضا، انني استطيع - بشكل او بآخر - ان اساعده بترجمة هذين السؤالين الى لغة تشيخوف وتوضيحهما له، اذا طلب تشيخوف نفسه ذلك، في حالة عدم استيعابه للنص، فغضب صديقي، وقال لي انك تتهرب من الاجابة لانك لم تفهم معنى تلك الجمل مثلي، ولكنك لا تريد الاعتراف بذلك، فحاولت تهدئة النقاش مبتسما وتغيير مسارالكلام، وبدأت اتحدث معه عن قصة تشيخوف (الردهة رقم 6) واهميتها وقيمتها الفنية في تراث تشيخوف الابداعي وفي تاريخ الادب الروسي بشكل عام، وكيف ان تشيخوف سيفرح فرحا شديدا لو عرف، ان المخرج العراقي جواد الاسدي قد وجد في ثنايا قصته تلك جوابا شافيا عن كل الاسئلة والاشكالات الفكرية المرتبطة بالوضع القائم الان في بلد عريق مثل العراق، وذلك لان تشيخوف تناول هناك، كما في كل نتاجاته، معاناة الانسان، اي انسان بغض النظر عن انتمائه القومي ومجتمعه، وسيفرح تشيخوف اكثر، اذا عرف ان المخرج العراقي قد احتفظ حتى باسماء ابطاله كما في النص الروسي رغم التعامل الابداعي التفصيلي مع تلك القصة، اي التعامل الفني الضروري جدا كي تصبح احداث القصة متلائمة مع ما يريد المخرج ان يقوله للمشاهد من افكار وهو يقف في شارع الرشيد في قلب بغداد. وذكرت لصديقي ان هذا الحدث كبير جدا في مسيرة العراق الثقافية والفكرية عموما، ويجب علينا ان نشيد بهذا العمل، وان نسانده بكل امكانياتنا، وبدون البحث اللغوي التفصيلي بمفردات مبهمة ومعقدة هنا وهناك، وذلك لان هذا العمل الابداعي يعني، من جملة ما يعنيه، ان العراق يسير بشكل حثيث وصحيح للخروج من ازمته الفكرية الرهيبة التي انحدر اليها منذ اواخر القرن العشرين والى حد الان، وان دور المثقفين العراقيين أخذ يبرز اكبر وبصورة اكثر سطوعا في الوقت الحاضر، وهذه مسألة ضرورية جدا (اي دور المثقفين) للمساهمة في عملية انقاذ العراق من ايدي هؤلاء الذين خذلوا الوطن وارادته، فتقديم تشيخوف في شارع الرشيد يجسّد رمزا لاستخدام المثقف العراقي لجواب تشيخوف نفسه على الازمة الفكرية في بلاده انذآك، وهو جواب عميق جدا من كاتب بمستوى تشيخوف، كان يهتّم جدا بمفهوم الحرية الانسانية ويحاول الدفاع عنها وصيانتها

والمحافظة عليها بغض النظر عن النظام السياسي السائد في البلاد، وهي مسألة مطروحة الان وبشكل شديد وحاسم امام الانسان العراقي.

تصفيق حاد للمخرج العراقي جواد الاسدي ولكل الفنانين العراقيين الذين ساهموا معه في تنفيذ هذا العمل الابداعي الكبير!

37- تشيخوف ومسرح العبث

علاقة تشيخوف بمسرح العبث لا زالت لحد الآن غير متبلورة بشكل واضح المعالم في النقد الادبي والمسرحي في داخل روسيا بشكل خاص وخارجها بشكل عام، بل توجد اجتهادات هنا وهناك اطلقها بعض الباحثين والنقاد ليس الا.

لقد برز تشيخوف كما هو معلوم في دنيا المسرح نهاية القرن التاسع عشر (توفي عام 1904)، ووضع بصماته الواضحة في مسيرة المسرح، هذه البصمات التي أخذت تتبلور وتتفاعل تدريجيا في روسيا اولا، ثم اصبحت سمات تشيخوفية ذات طابع عالمي، ولا زالت هذه السمات تتجدد في التطبيقات المسرحية المعاصرة سواء في داخل روسيا او خارجها. اما مسرح العبث (او المسرح المضاد او اللامعقول اواللاوعي او الطليعي او الاحتجاجي او التجريبي او الكوميديا السوداء.. الخ التسميات) فانه ولد بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة ظروف اجتماعية وفكرية محددة في اوربا بالذات، ويرتبط كما هو معروف باسماء يونسكو وبيكيت وآداموف وبنتير وجينيه وآخرين، ولا زالت مسرحياتهم تعرض على مسارح اوربا والعالم عموما بشكل محدود، ولم تصبح تلك المسرحيات جزءا من الوعي الاجتماعي والثقافي لجمهور المسارح مثلما دخلت واستقرت مسرحيات تشيخوف بلا شك. ان تشيخوف يجسّد الظاهرة الاكثر شمولية وانسانية للمسرح العالمي، اذ اننا نجد عنده كل عناصر المسرح المتألق والمعاصر، ويستطيع كل شخص ان يجد فيه ما يريد ويكتشف في ثنايا مسرحه كل ما يرغب باكتشافه، وفي هذه الخاصية بالذات تكمن عظمة مسرح تشيخوف، وقد قال احد المهتمين بهذا المسرح من اصدقائي العرب مرة - مازحا - ان مسرح تشيخوف (حمأل اوجه)، وبالتالي يجب عدم السماح للنقاد والباحثين ان يحتكموا به ويتحاججون على اساسه، وقد تذكرت قول صاحبي هذه عندما قرأت رأيا لاحد الباحثين العرب وهو يتكلم عن ارتباط مسرح العبث بتشيخوف مشيرا الى ان مواقف هؤلاء الادباء المسرحيين تنطلق من موقف تشيخوف في طرح المسألة فقط دون ايجاد حلول لها، ولا اظن ان هذا الرأي الفضفاض والعام جدا يستحق المناقشة المستفيضة والمعمقة، وتكلم بعض الباحثين ايضا عن تأثير تشيخوف على مسيرة هذا المسرح لأنه (اي تشيخوف) كان يؤكد على تفاهة

الوجود الانساني عبر مسرحياته، وان هذا هو نفس هدف (العبثيين)، واكرر عدم استحقاق هذا الرأي ايضا للمناقشة، ومن المعروف ان الناقد المسرحي الانكليزي مارتين اسلين، الذي اصدر عام 1962 كتابه الموسوم (مسرح العبث)، وذلك بعد صدور مسرحية يونسكو الشهيرة (المغنية الصلعاء) ومسرحية بيكيت الاشهر (في انتظار غودو) (وهو الباحث الذي ثبّت هذا المصطلح في النقد الادبي عالميا)، لم يتناول تشيخوف بتاتا ولم يتحدث عن احتمالية تاثيره على هذا المفهوم الجديد في مسيرة المسرح العالمي، رغم انه حاول ان يجد جذور هذا المسرح وتأثيرات الادباء العالميين فيه، وتوقف عند اسماء كثيرة منها البير كامو وكتابه المعروف (اسطورة سيزيف) واستعرض مفهوم عبثيته، وجان بول سارتر وافكاره الوجودية، وتناول الدادائية وفلسفتها وتحدث عن (الشعر دون كلمات). ولكن كل هذه الافكار و الامثلة والاراء المتعددة لا تعني ابدا عدم وجود التناغم بين مسرح تشيخوف وهذه الظاهرة المسرحية . لقد أشار يونسكو نفسه - مثلا- الى ذلك، وتكلم عن مسرح تشيخوف، الذي تناول (المجتمع الذي يموت) في اشارة الى مسرحية (بستان الكرز) الشهيرة، رغم اننا نرى ان تشيخوف تحدث في تلك المسرحية عن مجئ (وليس موت) طبقة اجتماعية اخرى بدلا من الطبقة السابقة.وهناك اشارة دقيقة في النقد الادبي الروسي الى موضوع تأثير تشيخوف على مسرح العبث وهي مقالة كتبتهاالاديبة الامريكية جويس كيرول اوتس عام 1966 بعنوان (تشيخوف ومسرح العبث)، وتم نشرها في الاتحاد السوفيتي آنذاك، وقد تناولت اوتس في مقالتها تلك نقاط التماس بين مسرح تشيخوف وتناغمه مع روحية مسرح العبث، وربطت بين حنين الشقيقات الثلاث للسفر (المستحيل) الى موسكو، وبين انتظار (غودو) عند بيكيت.

هناك بالطبع عدة جوانب اخرى يمكن تحديدها بين مسرح تشيخوف واجواء مسرح العبث منها مثلا موضوعة عنصر الصمت عند تشيخوف، الذي كاد ان يجعله ضمن شخوص مسرحياته، وقد استخدمه جماعة مسرح العبث بشكل واسع ويحتاج هذا الموضوع الى الباحث المتخصص لدراسته تفصيلا وتحديد دقائقه وتفصيلاته، وهناك نقطة اخرى ربما يمكن ايجاد القاسم المشترك بينهما ايضا وهي - استخدام تشيخوف لجمل مفاجئة تاتي على لسان ابطال مسرحياته لا ترتبط بتاتا بالموقف القائم، كأن ينظر البطل الى خريطة معلقة على الجدار

ويقول ان الطقس حار الان في افريقيا، رغم ان الحديث لا يدور حول ذلك لا من قريب ولا من بعيد، وقد استخدم مسرح العبث هذه الاسلوب ايضا.ولكن هذا لا يعني (واكرر ذلك) ان مسرح تشيخوف قد (أرسى مسرح العبث) كما يشير البعض من الباحثين والنقاد.

مسرح العبث هو ظاهرة اوربية انطلقت بعد الحرب العالمية الثانية في اوربا وهو يرتبط بثقافتها ومسيرة مسرحها، ومن الطبيعي ان يستفاد من تاريخ المسرح فيها ومن اعلام ذلك المسرح، ومنهم انطون بافلوفيتش تشيخوف، ولكن تشيخوف يبقى متفردا وشامخا في تاريخ المسرح الروسي والعالمي، والذي اثبت الزمان مكانته الدائمة فيهما، اما اعلام مسرح العبث فان التاريخ لم يقل بعد كلمته بشانهم، رغم كل نجاحاتهم وشهرتهم في اوساط المثقفين. لقد سألوا الكاتب الفرنسي الكبير ستندال مرة عن رأيه باحد الادباء فقال - لننتظر في الاقل مئة سنة ثم نتحدث عندها.

38- حول احدى مسرحيات تشيخوف المجهولة

كتب تشيخوف 17 مسرحية طوال حياته، ويعد في الوقت الحاضر واحدا من اشهر كتّاب الادب المسرحي في روسيا والعالم، وهناك 4 مسرحيات منها ترتبط باسمه قبل كل شئ وتقف في طليعة ادبه المسرحي عالميا وهي - (النورس) و(الخال فانيا) و(الاخوات الثلاث) و(بستان الكرز)، وهناك مسرحيات اخرى معروفة ايضا له بشكل او بآخر،الا انها أقل شهرة من تلك المسرحيات الاربعة المذكورة،و رغم ذلك فانها مهمة ايضا.

ولكن توجد ثلاث مسرحيات تكاد ان تكون شبه مجهولة لهذا الكاتب المسرحي الروسي ولا يعرفها بالذات القارئ والمشاهد العربي بشكل دقيق ومحدد وواضح. المسرحيات الثلاثة هذه هي - (في الطريق الكبير) و (تاتيانا ريبينا) و (ليلة قبل المحاكمة)، ولا نريد الاشارة هنا الى مسرحية رابعة له لم يحدد تشيخوف لها عنوانا ولهذا اطلقوا عليها تسمية - (مسرحية بلا عنوان) او يطلق عليها بعض الاحيان تسمية اخرى وهي - (بلاتونوف) وهو اسم بطلها والتي كتبها تشيخوف في بداية حياته الادبية ولم ينشرها ابدا، وظهرت مطبوعة في روسيا عام 1923 فقط اي بعد 19 سنة من وفاته، اذ ان هذه المسرحية لم تعد بشكل او بآخر (مجهولة) للقارئ العربي، فقد تناولها بعض الباحثين العرب هنا وهناك وتكلموا عنها ومنهم الصحفي العربي المعروف الاستاذ ابراهيم العريس في صحيفة (الحياة) اللندنية، ولعل آخر وابرز من كتب حولها هو الاستاذ الدكتور أحمد علي الهمداني (من اليمن) في كتابه الموسوم (مسرحيات تشيخوف / من بلاتونوف الى بستان الكرز) وقد حاز الدكتور الهمداني قبل فترة وجيزة على ميدالية بوشكين الروسية لنشاطه في مجال نشر الادب الروسي في العالم العربي، وهو اول باحث عربي من اليمن يحصل على هذا التكريم الكبير وهذه الميدالية الرفيعة.

تتناول مقالتنا هذه تعريفا أوليا ليس الا للقارئ العربي بمسرحية (تاتيانا ريبينا) والتي نظن ان الكثيرين من هؤلاء القراء لم يسمعوا عنها شيئا بشكل عام. كتب تشيخوف هذه المسرحية وارسلها الى صديقه وناشر مؤلفاته في حينها الصحفي والاديب سوفورين بتاريخ 1889/3/6 مستخدما نفس عنوان مسرحيته

وشخوصها، في محاولة من تشيخوف لكتابة محاكاة لمسرحية سوفورين تلك، وقد أشار تشيخوف في رسالته المرفقة مع المسرحية انها ليست للتمثيل على خشبة المسرح وليست للنشر ايضا، وانها ليست سوى - (هدية رخيصة وبدون فائدة)، وانه (اي تشيخوف) كتبها بجلسة واحدة،وطلب من سوفورين بعد الاطلاع عليها ان يرميها في الموقد، الا ان سوفورين لم ينفذ ما كتبه له تشيخوف وطبع عدة نسخ منها وارسل نسخة واحدة الى تشيخوف نفسه. وفي عام 1924، اي بعد وفاة تشيخوف بعشرين سنة وجد شقيقه ميخائيل تشيخوف هذه النسخة من المسرحية بين اوراق تشيخوف ونشرها، بعد ان أدخل بعض التصحيحات عليها وكتب بعض الهوامش والتعليقات حولها، وهكذا عادت هذه المسرحية مرة اخرى الى الحياة ودخلت ضمن مؤلفات تشيخوف الكاملة والتي تم طبعها في ثلاثين مجلدا نهاية القرن العشرين الماضي، رغم ان تشيخوف لم يرغب بذلك بتاتا في حياته، وبدأ المسرحيون الروس بعرضها على خشبات المسارح المختلفة، وقد تم ايضاعرضها حتى في احد مسارح نيويورك، وفي عام 1997 عرضها مخرج روسي في موسكو بعد ان وحّدها مع مسرحية سوفورين التي حاكاها تشيخوف عند كتابته للمسرحية، وفي عام 1998 افتتح احد المهرجانات المسرحية بعرضها، ودخلت المسرحية بعدئذ ضمن سيناريو فلم روسي بعنوان (ألحان تشيخوفية)، ولا زال الباحثون والنقاد يتناولونها في كتاباتهم عن تشيخوف ومسرحه هنا وهناك بشكل او بآخر.

مضمون المسرحية يتمحور حول قصة حقيقية عن انتحار فنانة روسية في مدينة خاركوف الاوكرانية (والتي كانت بالطبع ضمن الامبراطورية الروسية آنذاك) واسمها كاديمينا، وذلك بسبب فشل قصة حبها، اذ انها تناولت السم اثناء عملها في المسرح وعانت وتعذّبت بشكل مرعب وتوفيت على أثر ذلك، وقد أثارت هذه القضية في حينها ضجة هائلة وكبيرة، الا ان بعض الباحثين يرون انه كان هناك تأثير آخر على هذه المسرحية، ويربطوها بمسرحية فرنسية عنوانها - (حول زواج)،والتي كتبتها الاديبة الفرنسية مارتيل دي جانفيه عام 1883 ونشرتها باسم مستعار، اذ ان المشهد الخامس من تلك المسرحية الفرنسية يتطابق تقريبا مع مسرحية تشيخوف ذات الفصل الواحد تلك، حيث تجري مراسيم الزواج في الكنيسة وتنتحر العروس اثناء تلك المراسيم بشكل دراماتيكي،

وبالتالي فان هؤلاء الباحثين يشيرون الى ان تشيخوف قد اعتمد في مسرحيته هذه على مصدرين هما - مسرحية سوفورين نفسها اولا، والمشهد الخامس من المسرحية الفرنسية التي أشرنا اليها اعلاه ثانيا، رغم انه لم يأخذ بنظر الاعتبار بالطبع تلك الاجواء الفرنسية البحتة التي كانت سائدة في المسرحية الفرنسية تلك.

ان مسرحية - (تاتيانا ريبينا) ذات الفصل الواحد عادت الى الحياة في نهاية القرن العشرين الماضي لانها بالطبع ترتبط باسم تشيخوف قبل كل شئ ولو لم تكن هكذا لما شغلت هذه المكانة في دنيا الادب المسرحي الروسي، والامر نفسه كذلك بشأن عروضها على خشبات المسارح، ويرى بعض الباحثين - وهم على حق من وجهة نظري الشخصية - ان من الضروري ومن الواجب ايضا احترام رأي تشيخوف تجاه نتاجاته، وبالتالي يجب النظر الى هذه المسرحية على انها ليست سوى كتابات قام بها تشيخوف لمداعبة احد اصدقائه، ومن الممكن طبعا (بعد ان تم نشرها والاطلاع عليها الآن) دراستها وتحليلها والكتابة عنها وابداء الرأي بشأنها لانها تمتلك قيمة تاريخية باعتبارها احدى مسرحيات كاتب كبير مثل تشيخوف، ولكن مع ذلك يجب عدم اعتبارها نتاجا مسرحيا مهما لمؤلف مسرحية (بستان الكرز) العظيمة، اذ انه كتبها عام 1889 ولم ينشرها ولم يتكلم عنها منذ تاريخ كتابتها الى حين وفاته عام 1904.

39- اطاريح الماجستير التي أشرفت عليها

ابتدأت دراسة الماجستير في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد عام 1992. لقد فاتحتنا جامعة بغداد مرة في اواسط الثمانينات حول ذلك، ولكن اللجنة العلمية في القسم لم توافق على المقترح، واقترحنا نحن بدورنا تحقيق هذه الدراسة بالتعاون مع احدى الجامعات الروسية، حيث يدرس طالب الماجستير سنة في قسمنا وسنة في تلك الجامعة الروسية، وان يكون للطالب هذا مشرفان (عراقي وروسي) يتعاونان معا، وان يتم انجاز الاطروحة بالروسية وتتم مناقشتها من قبل لجنة عراقية - روسية مشتركة في بغداد. لم توافق الجامعة والوزارة على مقترحنا في حينها واغلق الموضوع. اما في عام 1992 فقد صدر امر بافتتاح دراسة الماجستير دون مفاتحة الاقسام العلمية في الجامعات (بعد حرب الكويت وبداية الحصار على العراق)، وقد جاء هذا الامر من أعلى السلطة العراقية آنذاك وبعد اجتماعات كان يعرضها تلفزيون بغداد برئاسة رئيس الجمهورية ومجموعة من الوزراء!!!

عندما استلمنا هذا الامر الاداري وبدأنا بتنفيذه، انقسمت الآراء في اللجنة العلمية الى قسمين. القسم الاول يؤيد كتابة الاطاريح حول مواضيع ترتبط بالاختصاص البحت (اي اللغة الروسية وآدابها)، ويؤيد القسم الثاني كتابة الاطاريح المرتبطة بعلوم اللغات والآداب المقارنة والترجمة. كنت انا ضمن القسم الثاني من تلك الآراء والمتحمسين لها ولعلميتها، ولا مجال هنا لعرض تفاصيل النقاشات التي جرت عندئذ في اللجنة العلمية، وربما تسنح الفرصة يوما لنشر تلك التفاصيل.

لقد أشرفت خلال مدة عملي في قسم اللغة الروسية على العديد من اطاريح الماجستير، وكانت كلها ترتبط بالادب الروسي مع واقعنا، وكيف كان يتقبله المجتمع العراقي خصوصا والعربي عموما، وما الذي تم انجازه في حياتنا الفكرية بشأن هذا الادب، والمشاكل المرتبطة بذلك ...الخ.

الاطروحة الاولى التي بدأت بها مسيرتي العلمية آنذاك كانت بعنوان - (مسرح تشيخوف في العراق)، والتي انجزها طالب الماجستير خلف الموسوي

(وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة استاذ)، وقد أشرت في مقالتي - (تشيخوف في العراق) الى ان وفد جامعة بغداد اهدى نسخة منها الى جامعة موسكو اثناء احدى زياراته الرسمية، وكيف تقبلها الجانب الروسي بترحاب، واسماها - (هدية كبيرة).

الاطروحة الثانية كانت بعنوان - (تشيخوف في النقد الادبي العربي)، والتي انجزتها طالبة الماجستير هديل اسماعيل خليل (وهي الان احدى تدريسيات القسم بدرجة ا.م.د. بعد ان حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة بطرسبورغ الروسية).

الاطروحة الثالثة كانت بعنوان - (قصص تشيخوف المبكرة في الترجمات العربية)، والتي انجزها طالب الماجستر تحسين رزاق عزيز (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة ا.م.د. بعد ان حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش الروسية، ويعد الان واحدا من المترجمين العراقيين البارزين عن اللغة الروسية).

الاطروحة الرابعة كانت بعنوان - (المصطلحات الادبية في المعجمات الروسية - العربية والعربية الروسية)، والتي انجزتها طالبة الماجستير نهلة جواد هادي (وهي الان احدى تدريسيات القسم بدرجة ا.م.د. بعد ان حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش).

الاطروحة الخامسة كانت بعنوان - (دراسة تحليلية لبيبلوغرافيا الادب الروسي في المجلات العراقية)، والتي انجزها طالب الماجستير أثير زهير توفيق (ولا اعرف الان مصيره مع الاسف الشديد).

الاطروحة السادسة كانت بعنوان - (حكايات تولستوي في الترجمات العربية - ترجمة كاظم سعد الدين نموذجا)، والتي انجزتها طالبة الماجستير نعيمة ابراهيم محمد (ولا اعرف الان مصيرها مع الاسف الشديد).

الاطروحة السابعة كانت بعنوان - (الادب الروسي في مجلة الاقلام العراقية - دراسة تحليلية)، وقد انجزها طالب الماجستير هاشم صاحب الموسوي (وهو الان احد العاملين العراقيين البارزين في تلفزيون روسيا اليوم في موسكو).

الاطروحة الثامنة كانت بعنوان - (ترجمة شعر بوشكين في العراق - ترجمة أ.د. جميل نصيف التكريتي نموذجا)، وقد انجزتها طالبة الماجستير غادة طارق العاني (وهي الان احدى تدريسيات القسم بدرجة ا.م.د. بعد حصولها على شهادة الدكتوراه من الجامعة التربوية في مدينة فارونش).

الاطروحة التاسعة كانت بعنوان - (تدريس اللغة الروسية وآدابها في العراق . المشاكل والآفاق .)، وقد انجزها طالب الماجستير ياسين حمزة عباس (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة أ.م.د. بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة بطرسبورغ).

الاطروحة العاشرة كانت بعنوان - (غوغول في العراق من السبعينات وحتى وقتنا الحاضر)، وقد انجزها طالب الماجستير منذر ملا كاظم (وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة أ.م.د. بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش).

لقد اعتمدت في مقالتي هذه على كتاب - (دليل الدراسات العليا) الذي اعدته الدكتورة أحلام حنش كاطع مديرة شعبة الدراسات العليا في كلية اللغات، والصادر عن مجلة كلية اللغات عام 2001 / 2002 ، ولكني لم أجد فيه الاطروحة التي انجزتها طالبة الماجستير ابتسام احمد حمزة بعنوان - (الادب الروسي في مجلة الثقافة الاجنبية العراقية)، وهي الان احدى تدريسيات القسم وطالبة دكتوراه في احدى الجامعات الروسية، وكذلك لم أجد في هذا الدليل الاطروحة التي انجزها طالب الماجستير ميثاق محمد وكانت حول ترجمة عبد الله حبه لمسرحيات استروفسكي، وهو الان احد تدريسي القسم بدرجة أ.م.د. بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة فارونش، ولم اجد ايضا اطروحة طالبة الماجستير آيات يوسف حول ترجمة رواية تورغينيف (الاباء والبنون) في العراق، وهي الان م.د. في القسم بعد حصولها على شهادة الدكتوراه من الجامعة التربوية في موسكو. واظن ان سبب ذلك كله هو ان الدليل قد تم طبعه قبل اكمال المناقشات اللازمة لتلك الاطاريح ليس الا.

واختتم هذه السطور بالاشارة الى اني لم استطع اكمال المشوار مع احدى طالبات الماجستير التي اخترت لها اطروحة بعنوان - (كتب عراقية حول الادب

الروسي)، وعملت معها فترة من الزمن، وذلك نتيجة لظروف عملي آنذاك و سفري و تفرغي العلمي في روسيا، وقد أكمل الاشراف أحد زملائي التدريسيين في القسم .

اتمنى ان يحاول كل هؤلاء نشر اطاريحهم باللغة العربية، اذ انها لازالت تمتلك اهميتها لتدوين الحركة الفكرية في العراق والعالم العربي حول الادب الروسي بالنسبة للقراء العراقيين والعرب عموما، وبالنسبة للباحثين الروس ايضا الذين لا يعرفون - مع الاسف الشديد - مستوى الدراسات العراقية والعربية للادب الروسي وما استطاع باحثونا ومترجمونا ان يحققوه في هذا المجال.

40- تسع جمل مفيدة حول تشيخوف

الجملة الاولى

زار تشيخوف عام 1890 جزيرة سخالين في سيبيريا، ونشر كتابا بعد تلك الزيارة بعنوان (جزيرة سخالين) تناول فيه احوال السجناء هناك كما شاهدها، وهي احوال فظيعة جدا، وقد استطاع تشيخوف ان يجمع عشرة الاف استمارة من سكان تلك الجزيرة، تتضمن اسئلة متنوعة وعديدة، وقال في حينها - (من الممكن ان ارقامي قد تفيد مسألة الاحصاء السكاني هناك)، وقد نشرت احدى دور النشر في جزيرة سخالين عام 2005 هذه الاحصائية بكل تفاصيلها، والتي تعد الآن عملا رائدا في هذا المجال. كتاب (جزيرة سخالين) لتشيخوف واوراقه هناك اصبحت فعلا وثيقة عصر باكمله.

الجملة الثانية

مسرحيات تشيخوف اصبحت في الوقت الحاضر (جواز سفر) الادب الروسي الى العالم. لقد كتب ايليا ايرنبورغ مرة قائلا، ان مسرحية تشيخوف (النورس) قد عبرت (كل بحار العالم).

الجملة الثالثة

تم افتتاح اول تمثال لتشيخوف عام 1908 في مدينة بادينفايلر الالمانية، وهي المدينة التي توفي فيها تشيخوف عام 1904، وفي عام 1918 قرر الالمان صهر التمثال المذكور لدعم الصناعة الحربية الالمانية، وذلك قبل انتهاء الحرب العالمية الاولى بثلاثة اسابيع ليس الا، وقد تم تنفيذ ذلك القرار فعلا، (قام الالمان عام 1960 بافتتاح تمثال لتشيخوف في تلك المدينة من جديد)، اما في وطنه روسيا، فقد تم نصب اول تمثال له عام 1935 في مدينة تاغنروغ، وهي المدينة التي ولد فيها تشيخوف ودرس في مدارسها، وتم افتتاح تمثال آخر له في مدينته تلك عام 1960 لمناسبة مرور مئة عام على ميلاده (1860-1960)، وهناك تمثال له في مدينة ميليخوفو التي عاش فيها فترة، وقد تم افتتاح هذا التمثال عام 1951، وتوجد الآن تماثيل لتشيخوف في موسكو وتومسك ورستوف وزفينغورد وسامارا، اما خارج روسيا (عدا المانيا) فيوجد تمثال له في شيريلانكا (سيلان)

لمناسبة مرور 120 سنة على زيارته لها، وتمثال في طوكيو (اليابان)، وتمثال في القاهرة تم افتتاحه عام 2011، وقد نفّذه نحات مصري.

الجملة الرابعة

توجد الآن ستة تماثيل تجسّد شخصيات من قصص تشيخوف وهي - تمثال لقصة (كاشتانكا) في مدينة تشيليبانسك، وتمثال لقصة (رجل في علبة) في مدينة تاغنروغ (وهي المدينة التي ولد فيها كما ذكرنا في اعلاه)، وتمثال لقصة (كاشتانكا) في مدينة تاغنروغ ايضا، وتمثال لقصة (الكونترباس) في تلك المدينة ايضا، وتمثال لقصة (السيدة ذات الكلب الصغير) في مدينة يالطا على ساحل البحر الاسود، حيث جرت احداث تلك القصة، وتقع المدينة الآن في اوكرانيا، وتمثال كاريكاتيري بعنوان (انطون بافلوفيتش بعيون رجل سكران يرقد في ساقية ولم يقرأ قصة كاشتانكا) في مدينة تومسك. اما بالنسبة لمسرح تشيخوف، فيوجد تمثال ل (النورس) في مدينة بادنفايلر الالمانية.

الجملة الخامسة

توجد تسع مسارح تحمل اسم تشيخوف في مختلف المدن الروسية والاوكرانية واللاتفية، وتوجد عشرات الشوارع والساحات في مدن روسية عديدة تحمل اسمه ايضا، اما خارج روسيا، فقد اطلقوا اسمه على الساحة التي يقع فيها الفندق الذي توفي فيه تشيخوف في مدينة بادنفايلر الالمانية، ويوجد شارع في مدينة ميلانو الايطالية يحمل اسمه.

الجملة السادسة

أصدر (بنك روسيا) اربع قطع نقدية لمناسبة الذكرى ال150 على ميلاد تشيخوف، وهي من فئة (3 روبل - فضة) و(100 روبل - فضة) و (50 روبل - ذهبية) و (200 روبل - ذهبية)، واصدرت دائرة البريد الروسية (والسوفيتية في حينها) عشرات الطوابع البريدية التي تحمل صور تشيخوف في اعوام 2010/2004/1985/1960/1954/1940.

الجملة السابعة

يوجدالآن 12 متحفا خاصا بتشيخوف في مختلف المدن الروسية التي عاش فيها، وقد تم تحويل كل البيوت التي سكن فيها الى متاحف، بما فيها مدينة بادنفايلر الالمانية، ويوجد متحف خاص برسائل تشيخوف.

الجملة الثامنة

اطلق اسم تشيخوف في عام 1954 (لمناسبة ذكرى 50 عاما على وفاته) على مدينة غير بعيدة عن موسكو، ولا زالت موجودة ومزدهرة لحد الان وتوجد فيها جامعة، وقام اللاجئون الروس (البيض) باطلاق اسمه على دار نشر المطبوعات الروسية في نيويورك عام 1952، وفي مدينته تاغنروغ اطلقوا اسمه على اكبر مؤسسة تربوية وهي معهد تشيخوف التربوي الحكومي، وتأسست في عام 2010 جمعية تشيخوف في تلك المدينة برئاسة دميتري ميخايلوفيتش تشيخوف - احد احفاد عائلته، واطلق اسمه على جرم سماوي باقتراح من روسيا، وسافر الرئيس الروسي دميتري مدفيديف (في حينها) عام 2010 الى مدينة تاغنروغ كي يضع باقة ورد على تمثال تشيخوف وزيارة متحفه لمناسبة الاحتفالات بالذكرى ال 150 على ميلاده.

الجملة التاسعة

يدخل اسم تشيخوف ضمن عشرة اسماء ادباء العالم، الذين تحولت نتاجاتهم الى افلام سينمائية وتلفزيونية، وقد بلغت تلك الافلام حوالي ال 200 لحد الآن.

الجملة التاسعة (مكرر)

متى نكرم نحن مبدعينا؟؟؟ ومتى تتحول بيوت الرصافي والزهاوي والجواهري والسياب وجواد سليم وعلي الوردي وانستاس الكرملي وعبد الجبار عبد الله ووووو الى متاحف؟؟؟؟

41- صوفي لافيت - الفرنسية الروسية التشيخوفية

صوفي لافيت - بروفيسورة في جامعة باريس، التقيتها عام 1966 عندما وصلت الى باريس (بعد انهاء دراستي في الاتحاد السوفيتي) للالتحاق في قسم الدراسات العليا بتلك الجامعة، وقد تحدثت عن هذا اللقاء الطريف في مقالتي بعنوان - (تشيخوف في العراق وتشيخوف في فرنسا)، حيث كتبت بالتفصيل كيف ان لافيت قامت (في ذلك اللقاء الاول معها) بتدقيق معلوماتي عن تشيخوف، بل يمكن القول انها اجرت لي امتحانا في الادب الروسي من حيث لا ادري (وهو اسلوب رائع من اساليب التدريس، حيث يتخلص الطالب من حالة التوتر النفسي عند الامتحان، وغالبا ما استخدمته انا لاحقا في حياتي التدريسية في جامعة بغداد)، وكيف سألتني عن بحثها حول تشيخوف، وكيف اني تحدثت لها عن ذلك البحث العلمي لكني لم استطع الاجابة عن سؤالها - (من هو كاتب ذلك البحث؟) واجبتها اني لا اتذكر ذلك الاسم الفرنسي، وكيف خجلت وانحرجت واعتذرت لها عندما قالت لي وهي تبتسم، انها هي التي كتبت هذا البحث. بعد ذلك اللقاء (الغريب والحاسم في مسيرة حياتي) وافقت البروفيسورة صوفي لافيت على قبولي في جامعة باريس و ان تكون المشرفة العلمية على اطروحتي في تلك الجامعة، وقد فرحت انا طبعا وسألتها رأسا - (متى يجب عليّ ان اؤدي امتحان القبول؟)، فابتسمت المرحومة صوفي لافيت وقالت لي - (لقد أدّيت هذا الامتحان الان وبنجاح)، وهي جملة لن انساها مدى الحياة.

انتهيت من الدراسة عام 1971، و عدت الى بغداد بعد اكمال دراستي، ثم تراسلت قليلا معها من بغداد، وانقطعت المراسلات واقتصرت على المناسبات، ثم علمت بوفاتها بعد فترة وجيزة.

تذكرت المرحومة صوفي لافيت اليوم (ونحن في نيسان / ابريل من عام 2019)، بعد ان اطلعت على بحث علمي عميق وجميل كتبه المرحوم البروفيسور في جامعة باريس نيكيتا ستروفه (الفرنسي الروسي ايضا مثلها) عن تشيخوف، وجاء هناك اسمها وموقف ايليا ايرنبورغ منها في كتابه عن تشيخوف، والذي ترجمته أنا الى العربية في سبعينيات القرن العشرين، وصدرت طبعته الاولى في بيروت والثانية في بغداد والثالثة في القاهرة دون موافقتي، بل

ودون ان أعرف ذلك . عندما قرأت بحث البروفيسور نيكيتا ستروفه، تذكرت طبعا مشرفتي العلمية المرحومة البروفيسورة صوفي لافيت، وقررت كتابة هذه السطور عنها تحية لذكراها العطرة، و لتعريف القارئ العربي بهذه الباحثة الكبيرة في مجال الادب الروسي في فرنسا.

لا زال اسم صوفي لافيت يرتبط باسم تشيخوف في فرنسا رغم انها رحلت منذ سنوات طويلة، اذ انها مؤلفة كتاب مهم جدا حول تشيخوف بالفرنسية عنوانه - (تشيخوف بقلمه)، وقد صدر ضمن سلسلة كتب مشهورة جدا في فرنسا تتناول حياة المشاهير استنادا الى ما كتبوه هؤلاء المشاهير من رسائل او مذكرات او اي كتابات اخرى. لقد اثبتت لافيت في كتابها ذاك معرفتها الدقيقة والعميقة والشاملة بابداع تشيخوف وتفاصيل حياته، واستطاعت في كتابها ان ترسم للقارئ الفرنسي صورة تفصيلية لهذا الكاتب الروسي الكبير، مستخدمة مقاطع من رسائله ونتاجاته الفنية من قصص ومسرحيات، اي انها واقعيا أعادت للقارئ صورة تشيخوف كما رسمها هو لنفسه (دون ان يعرف تشيخوف نفسه بذلك واستغرق برسمها طوال حياته، ولا قارئ نتاجاته كان يعرف بذلك ايضا)، أقول، أعادت لافيت رسم صورة الكاتب الروسي الكبير هذا وعبر تفاصيل دقيقة وصغيرة لا يمكن للقارئ ان يلاحظها حتى عندما يقرأ نتاجات تشيخوف، وبالتالي، فان القارئ (والباحث ايضا) يجد في كتابها هذا كل الاجابات عن اي سؤال يخطر بباله عن تشيخوف، وهذا عمل رائد وأصيل في النقد الادبي وفي علم الادب بشكل عام، عمل لا يستطيع ان يقوم به سوى الباحث الحقيقي الذي يعرف بعمق كل نتاجات تشيخوف ورسائله وما كتبه عنه الباحثون والنّقاد من دراسات وابحاث، وقد استفدت انا شخصيا منه كثيرا في اطروحتي عن تشيخوف، اذ وجدت هناك تفصيلات صغيرة و لكنها مهمة عن خصائص بعض قصص تشيخوف القصيرة ... وكم نحن بحاجة الى مثل هذه النوعية من الكتب والبحوث بالنسبة لكتّابنا وفنانينا ومبدعينا في عالمنا العربي، كتب يؤلّفها متخصصون عرب حول ادبنا العربي . لقد سألني مرة أحد أقارب الجواهري والمهتمين بالحفاظ على ابداعه، ما هو مقترحي الذي يمكن ان اقدّمه له حول شاعرنا الكبير، فقلت له رأسا - اتمنى ان أرى كتابا بالعربية عنوانه - الجواهري بقلمه، والذي يجب ان يؤلفه أحد الذين يعرفون بعمق ابداع الشاعر الجواهري وتفاصيل

مسيرة حياته، وهي مهمة علمية في غاية الصعوبة، ولا يستطيع ان يقدم عليها سوى العلماء.

الرحمة والطمأنينة و السلام لروح هذه الباحثة الفرنسية (ذات الاصول الروسية)، المتخصصة المرموقة في الادب الروسي، البروفيسورة في جامعة باريس - صوفي لافيت.

==========

==========

==========

==========

42 - حول مسرحية تشيخوف – الخال فانيا

قررت كتابة الملاحظات الوجيزة الآتية عن مسرحية تشيخوف هذه بالذات لأني مازلت أرى عنوانها بالعربية في بعض الاحيان – (العم فانيا) لحد الان , وليس (الخال فانيا) كما كتبها مؤلفها تشيخوف عام 1897 , وسبب ذلك بالطبع يكمن في ان هؤلاء الذين يحوّلون (الخال) الى (العم) في هذه المسرحية يترجمون عنوانها عن لغات توجد فيها كلمة واحدة فقط تطلق على الخال والعم معا , بما فيها اللغة الروسية – لغة تشيخوف نفسه . عندما ارى , ان عنوان المسرحية قد تحوّل الى (العم فانيا) استنتج رأسا , ان كاتب المقالة او مترجمها لم يطلع على نص المسرحية ولم يشاهدها طبعا على خشبة المسرح , وابتسم , ومن ثمّ اضطر ان اعتذر همسا لروح تشيخوف على هذه الهفوة (كدت استخدم كلمة اخرى!) العربية , التي تؤكّد عدم الاحساس بالمسؤولية عند بعض كتّابنا , عندما يسطرون الكلمات وينشرونها , وقد اعتذرت بهذه الطريقة آخر مرة , عندما قرأت خبرا تفصيليا جدا عن هذا (العم !) في جريدة الشرق الاوسط اللندنية الشهيرة .

ونعود الى المسرحية تلك . مضمونها تشيخوفي بحت , اذ توجد فيها افكار يطرحها الابطال اثناء مسيرة حياتهم الاعتيادية ليس الا . وعن هذه المسرحية بالذات قال تولستوي كلمته الشهيرة عندما شاهدها , وخرج من المسرح غاضبا – (...قولوا لتشيخوف وستنسلافسكي , انه لا يمكن ان تكون هناك مسرحية لمجرد ان يرقد شخص على الاريكة وينظر الى الحديقة عبر النافذة ويتحدّث...) . وقد كتب المسرحي الروسي نيميروفيتش – دانتشينكو بعدئذ لتشيخوف عن زيارة تولستوي للمسرح ومشاهدته لتلك المسرحية قائلا – (.. تولستوي معجب بعبقريتك , لكنه لا يستوعب مسرحياتك . لقد حاولت ان اوضح له ذلك (المركز) الذي كان يبحث عنه ولم يجده ...وقال انه توجد في مسرحية الخال فانيا اماكن مدهشة , لكن لا توجد فيها تراجيدية الوضعية ...) , ويقصد تولستوي بذلك المصطلح الحدث الاساسي الذي

يتمحور حوله البناء المسرحي , اي ما اطلق عليه دانتشينكو (المركز) , ويختتم رسالته تلك الى تشيخوف ويقول – (.. ولكن من الطريف ان نقول , ان تولستوي كتب مسرحيته (الجثة الحيّة) بتأثير من الخال فانيا ..) . وفي الواقع , فان تولستوي لم يكتب مسرحيته (بتأثير) من مسرحية الخال فانيا , وانما (جوابا) عليها , لأن تولستوي لم يعترف بمسرح تشيخوف الخالي من الاحداث , والذي يعتمد على الافكار والمزاج , او كما قال أحد النقاد الفرنسيين المعاصرين عن هذا المسرح – (..كل دقيقة فيه مليئة , ولكنها ليست مليئة بالحوار , وانما بالصمت وبالاحساس بالحياة ..) . ولا مجال في اطار هذه المقالة بالطبع الاسترسال في الكتابة عن هذا الصراع بين مفاهيم بنية المسرح عند تولستوي وتشيخوف , وكيف ان الزمن اثبت صمود وازدهار واستمرار الانتشار عالميا للمسرح التشيخوفي (مسرح الافكار والاحاسيس الانسانية الاعتيادية) مقارنة مع المسرح التولستوي (مسرح الاحداث الدراماتيكية) , ان صحّت كل هذه التعابير والتعريفات والصفات . والاستشهاد بموقف تولستوي هذا يوجب علينا الاستشهاد بموقف مكسيم غوركي المعاكس تماما لرأي تولستوي تجاه هذه المسرحية , والذي كتب الى تشيخوف بعد ان شاهدها على خشبة المسرح قائلا – (.. شاهدتها وبكيت مثل امرأة ..) . ويطرح السؤال نفسه تلقائيا , وهو – كيف ولماذا استطاعت هذه المسرحية ان تجعل تولستوي يكتب مسرحيته الشهيرة (الجثة الحيّة) معارضا لها وحوابا عليها , ولماذا بكى غوركي مثل النساء عندما شاهدها ؟

الفكرة المركزية في مسرحية الخال فانيا تتجسّد في (الخيبة) , التي يحسّها الانسان عند نهاية مسيرة حياته , هذه الخيبة المريرة والخانقة , لأن الانسان لا يستطيع ان يلغيها او يغيّرها , اذ لا يمكن ان يعيد مسيرة حياته من جديد (وما أكثر خيبات الامل التي تعرضّنا لها جميعا !) , وفي هذه الفكرة ذات الابعاد الانسانية الشاملة لكل المجتمعات تكمن عظمة تشيخوف الفنية والابداعية , والتي تجعل من فلسفة مسرحه مفهومة من قبل الانسان , كل انسان , بغض النظر عن مجتمعه وقوميته . وهكذا نرى في هذه المسرحية كيف ان زوج اخت فانيا المتوفية البروفيسور سيريبريكوف – العالم

الجليل , الذي كان فانيا ينظر اليه طوال حياته باحترام وتبجيل مع ابنة تلك الاخت واسمها سونيا , وكيف كانا يعملان معا – وبكل اخلاص وتضحية – على خدمته , ولكنه اكتشف اخيرا انانيته , وانه لا يفقه شيئا , وبالتالي , فان الحياة قد ضاعت هباء . وتحاول سونيا (والتي تناديه طوال وقت بالخال فانيا , ومن هنا جاءت تسمية المسرحية) تحاول ان تدخل الطمأنينة على تلك الاجواء المريرة من خيبة الامل هذه , وتقول لخالها فانيا , ان السماء والملائكة ستمنح الراحة له ... وهكذا نرى ان هذه المسرحية تنتهي بعدم انتصار أحد , وان الجميع هنا خاسرون ليس الا , وان تشيخوف يرسم كل هذه الامور ببساطةأ واعتيادية ودون احداث دراماتيكية متشابكة , وهو ما جعل مكسيم غوركي يبكي وهو يشاهدها , وهو ما جعل تولستوي يحتج عليها لانها لا تتضمن احداثا وصراعات بين ابطالها , وهو شئ يتناقض ومفهومه للمسرح , ولهذا قرر ان يكتب مسرحيته الاخيرة – الجثة الحية جوابا عليها , كي يثبت وجهة نظره حول بنية الفن المسرحي .

مسرحية (الخال فانيا) تدور حول فكرة الخيبة في حياة الانسان , وهذه المسرحية ما زالت تعرض على مسارح روسيا والكثير من مسارح العالم منذ ان كتبها تشيخوف عام 1897 ولحد الان , بل انها انتقلت من المسرح الى السينما , حيث تمّ انتاجها (11) مرة في مختلف البلدان , ومن الطريف ان نشير في نهاية مقالتنا حول مسرحية الخال فانيا الى قائمة الافلام السينمائية تلك , وهي كما يأتي – 1 –عام 1957 في امريكا // 2 – عام 1962 في فرنسا // 3 – عام 1963 في بريطانيا // 4 – عام 1967 في السويد // 5 – عام 1970 في يوغسلافيا // 6 – عام 1970 في روسيا // 7 – عام 1986 في روسيا // 8 – عام 1994 في امريكا // 9 – عام 1994 في السويد // 10 – عام 1996 في بريطانيا // 11 – عام 2004 في المانيا .

ختاما اكرر الرجاء الى زملائي الباحثين والمترجمين ان يكتبوا ما يريدون عن (الخال) فانيا , دون ان يحولوه الى (العم) فانيا .

43- أخماتوفا و تشيخوف

ولد تشيخوف عام 1860 , وولدت أخماتوفا عام 1889 , وتوفي تشيخوف عام 1904 , عندما كان عمرها 15 سنة ليس الا , ولهذا لا يمكن القول انهما عاصرا بعضهما البعض في مسيرة الابداع الادبي الروسي , ومن المؤكد , ان تشيخوف لم يسمع باسمها بتاتا . ومع ذلك - وياللغرابة - يمكن تلخيص موقف الشاعرة الروسية الكبيرة أخماتوفا تجاه تشيخوف بكلمة واحدة فقط , وهي – (اللاحب) , ولكن مما يخفف من وقع تلك الخلاصة , انها تمثّل موقفا عاما من قبل جماعة تيّار (الذروة) الادبي , الذي ظهر في بداية القرن العشرين , وكان على رأسه زوج أخماتوفا الاول , الشاعر والناقد الادبي والمترجم غوميليوف (انظر مقالنا عنه بعنوان غوميليوف الشاعر الروسي المخضرم) , هذه الجماعة التي ظهرت بالذات في فترة التحولات والاحداث المصيرية الكبيرة , التي مرّت بها روسيا (الثورة الروسية الاولى والحرب العالمية الاولى وثورة اكتوبر الاشتراكية وانهيار الامبراطورية الروسية وبدايات بناء دولة الاتحاد السوفيتي ..الخ ..الخ) , ولم يكن تشيخوف في تلك الاحداث الجسام نجما ساطعا طبعا , اذ لا توجد عنده – كما هو معروف – موضوعات تتناغم مع طبيعة تلك الاحداث الساخنة جدا , ولا يمكن لابطاله الذين يتحدثون عن شؤونهم ومعاناتهم الحياتية اليومية ان يثيروا ادباء وقراء ذلك الزمان العاصف , او ينسجموا او يتعاطفوا معهم , حتى تروتسكي نفسه (الرجل الثاني في ثورة اكتوبر عندها) كتب في كتابه المعروف (الادب والثورة) الصادر عام 1923 حول فرقة مسرح موسكو الفني ما يأتي – (... اناس يعيشون لحد الان في اجواء مسرح تشيخوف من الاخوات الثلاث والخال فانيا ونحن في عام 1922 .. وانهم لحد الان يعرضون للاوربيين والامريكان كيف كان رائعا بستان الكرز في روسيا الاقطاعية العتيقة ..) . آنا أخماتوفا ايضا كانت ضمن هؤلاء الذين لم يتقبّلوا تشيخوف , ولكن موقفها لم يكن بالطبع منطلقا من موقف تروتسكي تجاه تشيخوف ولا متطابقا معه ولا حتى قريبا منه , اذ انها لم تعتبر

تشيخوف ممثلا لروسيا العتيقة كما هو حال تروتسكي , وانما انطلقت من مواقف منها مثلا موضوع الفن ودوره الانساني وقيمته الاجتماعية , لانها تعتبر الفن (..ظاهرة سامية ..وان الفنان يتقبّل الفن من قوى روحية عليا ..وانه يميّز النص الشاعري العالمي المطلق ..) , وهذه بالطبع آراء جماعة تيار الذروة , وكانت تؤكد ان تشيخوف لم يكن فقط بعيدا عن تلك الافكار حول الفن , بل انه لم يكن يعترف بها اصلا , وانه بالتالي أساء لدور الفنان وقيمته – حسب رأيها – لانه أخذ يكتب كما اراد القارئ منه ان يكون . لقد كتب الكثيرون ممن كانوا يعرفون أخماتوفا ويختلطون معها أقوالها حول تشيخوف في مذكراتهم , ومنها – (..تشيخوف يتناقض مع الشعر ..) و (..لا اصدّق الذين يقولون انهم يحبون تشيخوف ويحبون الشعر ايضا ..) و (.. ابطاله يثيرون الملل وهم باهتون وقرويون ..) الخ .. وبشكل عام كان من الواضح تماما , ان أخماتوفا لم تكن تحب قصص تشيخوف ومسرحياته , ولكن بعض النقاد والباحثين الذين كتبوا حول موقف اخماتوفا هذا توقفوا عند نقاط كانت – مع ذلك – تجمع بين خصائص ابداع اخماتوفا وتشيخوف حسب رأيهم , ومن بين هذه النقاط مثلا , آراء باسترناك حول تشيخوف , التي تحدّث عنها في اربعينيات القرن العشرين , اذ انه لم يتفق فيها مع أخماتوفا بشأن تشيخوف , معتبرا اياه الكاتب الروسي الوحيد الذي لم يرشد القراء او ينصحهم او يعظهم , وبالتالي , فانه بقي فنانا (..نقيّا وخالصا..) , بل ان باسترناك اعتبره (..جوابا على فلوبير..) , وربط هؤلاء النقاد ملاحظات باسترناك بموقف غوميليوف وأخماتوفا , اذ انهما كانا يحلمان معا بتطبيق تلك المواقف والمبادئ نفسها لدرجة ان غوميليوف كان يقول لها مازحا (..اسقيني السمّ..) عندما ترين باني بدأت بارشاد الناس او نصحهم ووعظهم . وأشار هؤلاء النقاد ايضا الى مسألة في غاية الاهمية , وهي ان تروتسكي في كتابه الذي أشرنا اليه اعلاه قد ذكر , ان عبقرية أخماتوفا ترتبط بروسيا العتيقة , مثلما يرتبط موقف فرقة مسرح موسكو الفني بأدب تشيخوف المسرحي (..لروسيا الاقطاعية العتيقة ..) , ويستنتج هؤلاء النقاد ان أخماتوفا تناولت واقعيا في شعرها نفس تلك الموضوعات الانسانية والصور الخالدة في

الادب , التي تناولها تشيخوف لدرجة انهم وجدوا في شعرها بعض الاحيان (..تنفّسات بستان الكرز التشيخوفية ..) , كما كتب احدهم , وان تروتسكي كان محقا – من وجهة نظره طبعا – عندما اعتبرها تمثّل روسيا العتيقة مثلما كان تشيخوف يمثلها ايضا . وهذه كلها ملاحظات صحيحة من وجهة نظرنا . ومن الطريف ان ننهي هذه السطور الوجيزة عن هذا الموضوع الجديد تماما للقارئ العربي بالاشارة الى ما كتبته أخماتوفا نفسها مرّة , عندما كانت محاربة من قبل النظام وممنوعة من النشر في حينها , اذ انها لم تجد افضل من تشيخوف للحديث عن اوضاعها آنذاك . وهكذا قالت , انها تعيش وكأنها في (ردهة رقم 6) , وهو عنوان لقصة تشيخوف المعروفة والمشهورة جدا , هذه القصة التي كتب عنها حتى لينين مرّة قائلا , انه ترك الغرفة متضايقا نفسيا عندما انتهى من القراءة , لانه شعر وكأنه كان في تلك الردهة . لينين استخدم القصة في روسيا القيصرية رمزا لها , وأخماتوفا استخدمتها في روسيا السوفيتية رمزا لها ايضا , وما أبعد روسيا تحت حكم القياصرة عن روسيا السوفيتية , ولكن كلاهما (لينين وأخماتوفا) كانا على حق , ولا نظن ان هناك أروع واعظم من هذا المثل للتأكيد على ان تشيخوف قد رسم في ثنايا ابداعه كل معاناة الانسان في مسيرة حياته بغض النظر عن النظام السياسي القائم في بلاده , وهذا ما يفسّر سر استمرار حب القراء له الى الوقت الحاضر , وليس فقط في وطنه , وان أخماتوفا (التي لم تكن تحبه) قد ساهمت ايضا بالاقرار بذلك .

وختاما لهذه الملاحظات , نريد الاشارة الى ان اللاجئين الروس في الغرب قد اسسوا دار نشر كبيرة في نيويورك , والتي قامت بنشر الكثير من الكتب الروسية وتم توزيعها في اوروبا الغربية بالاساس طبعا وعلى نطاق واسع , وكانت تسمى دار تشيخوف للنشر , وقد طبعت دار النشر هذه مجموعة من قصائد أخماتوفا عام 1952 , وهكذا صدر كتاب يحمل اسمها واسم تشيخوف معا على غلاف ذلك الكتاب , وقد أشار احد النقاد الروس المعاصرين الى ذلك واعتبره رمزا للتقارب الروحي بين أخماتوفا وتشيخوف رغم كل مواقفها تجاهه , وهي اشارة جميلة ورشيقة جدا .

44 - تمثال في جامعة موسكو للطالب تشيخوف

واخيرا , تذكّرت جامعة موسكو , ان تشيخوف كان أحد طلابها وواحدا من أبرز وأشهر خريجيها , وقررت – اعتزازا به وتكريما له - ان تضع له تمثالا على ارض جامعته , جامعة موسكو العريقة . لقد سألت مرة أحد مسؤولي تلك الجامعة عن عدم وجود تمثال لتشيخوف وهو خريج تفخر باسمه كل جامعة , فقال لي , ان هناك اسباب كثيرة , اهمها طبعا تلك الظروف والاحداث التي اعقبت وفاة تشيخوف , اذ انه توفي العام 1904 , اي عندما بدأت سلسلة احداث تاريخية كبيرة و هائلة في روسيا – الحرب مع اليابان , ثورة 1905 وفشلها , الحرب العالمية الاولى 1914 , ثورة اكتوبر 1917 والحرب الاهلية التي أعقبتها, السنوات السوفيتية الاولى وصعوباتها , ظاهرة الستالينية وعواقبها, الحرب العالمية الثانية ونتائجها , وكل هذه الوقائع الكبيرة قد عرقلت اقامة تمثال او نصب لهذا الخريج المتميّز فعلا ... وكلام ذلك المسؤول منطقي ودقيق طبعا , اذ ان الامة تضع تماثيل رجالاتها لتخليدهم عندما تستقر الامور والاحوال فيها . يمكن ان نضيف هنا سببا وجيها آخر لتلك العوامل والاسباب التي حالت دون عمل تمثال لتشيخوف في جامعة موسكو , وهو ان النظام السوفيتي ألغى كليات الطب من الجامعات العامة منذ العام 1930, واقام بدلا عنها معاهد وجامعات طبية متخصصة لدراسة العلوم الطبية بشكل متكامل ومستقل , اي بمعزل عن تلك الجامعات الكلاسيكية (ان صح التعبير) , ولا زال هذا النظام معمولا به في روسيا الاتحادية لحد الان , ولهذا , فان جامعة موسكو (كما هو حال الجامعات الروسية الاخرى) كانت بلا كلية للطب في العهد السوفيتي , و تشيخوف خريج كلية الطب بالذات , ولهذا لم يتم نصب تمثال له , لان الكلية التي تخرّج فيها لم تعد قائمة في تلك الجامعة . الان , تم اقامة المركز الطبي العلمي - التعليمي في جامعة موسكو , وامام بناية هذا المركز بالذات تم وضع تمثال لطالب الطب تشيخوف , وهي خطوة تتلائم طبعا وتنسجم مع طبيعة الدراسة في هذا المركز العلمي بكل معنى الكلمة. تم وضع

اساس هذا النصب العام 2010 , عندما احتفلت روسيا (والعالم ايضا) بذكرى مرور (150) على ميلاد تشيخوف , وقد شارك محافظ موسكو آنذاك في تلك المراسيم , وأشار في كلمته الى (.. ان عشق تشيخوف للعاصمة موسكو ابتدأ بالذات منذ ايام الدراسة في جامعة موسكو ..) , وهي كلمات حقيقية وصادقة فعلا بالنسبة لمسيرة تشيخوف الحياتية والابداعية .

تم تدشين النصب في الاول من ايلول / سبتمبر من العام 2014 , اي في اليوم الدراسي الاول في الجامعة . يجسّد النصب الشاب تشيخوف مرتديا معطفه وهو جالس على مصطبة , ويحتضن بيده اليسرى كلبا صغيرا . التمثال يعتمد على صورة مشهورة جدا لتشيخوف ايام شبابه وهو يجلس – بمرح - بين افراد عائلته . على الجانب الايسر للنصب توجد لوحة نحاسية للعريضة التي كتبها تشيخوف بخط يده الى رئيس جامعة موسكو العام 1884 , حيث يرجو فيها منحه دبلوم كلية الطب , التي انهاها بنجاح في ذلك العام الدراسي , اما في الجانب الخلفي للنصب , فتوجد قائمة بالاسماء المستعارة , التي استخدمها تشيخوف , عندما كان ينشر قصصه الساخرة الاولى في الصحف والمجلات الروسية , وهو طالب في كلية الطب بجامعة موسكو , وهي اسماء طريفة جدا, واصبحت الان معروفة طبعا في تراث تشيخوف, مثل – (انتوشا تشيخونتيه , او , شقيق شقيقي , او , طبيب بلا مراجعين مرضى ...الخ). بعد سنة من تدشين النصب هذا , اي في العام 2015 , تم زرع حديقة كبيرة من اشجار الكرز امام هذا التمثال , تذكيرا بمسرحية تشيخوف الشهيرة (بستان الكرز) , واكمالا للاجواء التشيخوفية حول هذا النصب الرمزي الجميل لطالب كلية الطب بجامعة موسكو تشيخوف , والذي اصبح واحدا من الاسماء العملاقة في مسيرة الادب الروسي , والادب العالمي ايضا.

45- تشيخوف وتشايكوفسكي

تشيخوف أصغر عمرا من تشايكوفسكي بعشرين سنة , وليس ذلك الفرق بقليل , ولكنهما التقيا مع ذلك , اذ ان الفن هو الذي جمعهما معا , وقصة تشيخوف الاديب وعلاقته مع تشايكوفسكي الموسيقار تستحق التوقف عندها بلا شك , اذ انها ليست عفوية ابدا , بل ابتدأت عندما اطلع جايكوفسكي على قصة قصيرة منشورة لتشيخوف في بداية مسيرته الابداعية واعجب جدا بها , وكتب الى احد معارفه يقول , ان هذا الكاتب الجديد سيكون (قوة ادبية هائلة) , و كتب تشايكوفسكي ايضا الى تلك المجلة رسالة تحدث فيها عن اعجابه بالقصة وكاتبها , ولكن المجلة لم توصل مع الاسف رسالة تشايكوفسكي تلك الى تشيخوف في حينها . وتمرّ الايام , وكان تشيخوف في بطرسبورغ , ودعاه شقيق تشايكوفسكي الى بيته , وقد مرّ الموسيقار تشايكوفسكي الى بيت أخيه في هذه الاثناء , وتمّ تعارفهما , فقال تشايكوفسكي لتشيخوف انه معجب بقصصه ومتابع لنشاطه الادبي منذ فترة , وقد حدث هذا اللقاء عام 1887(عندما كان عمر تشيخوف 27 سنة) . كان تشايكوفسكي آنذاك في أوج مجده وشهرته في روسيا , أما تشيخوف , فكان لا يزال في بداية طريقه الابداعي , وكان قد أصدر مجموعته القصصية الاولى ليس الا , ولم يكن معروفا عندها في الاوساط الادبية الروسية بما فيه الكفاية . اندهش تشيخوف من موقف تشايكوفسكي هذا , وقرر (بينه وبين نفسه) ان يهدي المجموعة القصصية الثانية (التي كان يعدّها آنذاك) الى تشايكوفسكي , للتعبير – اولا - عن امتنانه له طبعا على هذا الموقف الايجابي تجاه نتاجاته , وثانيا , للتعبير ايضا عن اعجابه بالدور الكبير , الذي كان يؤدّيه تشايكوفسكي في عالم التأليف الموسيقي الرائع (والذي كان تشيخوف يعشقه من كل قلبه) , ولكن تشيخوف لم يذكر له ذلك اثناء اللقاء معه , وانما كتب بعد عودته الى موسكو رسالة خاصة الى تشايكوفسكي يرجوه فيها الموافقة على ذلك (اي اهداء مجموعته القصصية الثانية لتشايكوفسكي) , وكان ينتظر الجواب على رسالته تلك طبعا على أحرّ من الجمر كما يقول تعبيرنا العربي الطريف , ولكنه فوجئ ان تشايكوفسكي قرر المجيء شخصيا الى بيت تشيخوف بموسكو ليخبره بموافقته على

اقتراحه هذا , وكانت هذه الزيارة طبعا حدثا كبيرا لتشيخوف وعائلته , اذ ان تشايكوفسكي كان شخصية بارزة وشهيرة جدا في المجتمع الروسي آنذاك (وحسب كلمات تشيخوف نفسه والتي كتبها في احدى رسائله وقال فيها , ان تشايكوفسكي في الفن الروسي يشغل المكان الثاني بعد تولستوي , الذي يشغل المكانة الاولى منذ زمن طويل) , وقد جلس تشايكوفسكي طويلا في بيت تشيخوف في تلك الزيارة , وشرب الشاي معه ومع عائلته طبعا , و كتب شقيق تشيخوف عن هذه الزيارة بعدئذ - تفصيلا - في ذكرياته عن تلك الزيارة, و تحدّث عن الانطباع الرائع الذي تركته بساطة تشايكوفسكي على كل فرد من افراد عائلة تشيخوف .

تعمقت العلاقة بين تشيخوف وتشايكوفسكي , واهدى الموسيقار له صورته (كما كان سائدا آنذاك بين الاصدقاء) تعبيرا عن هذه الصداقة وكتب عليها اهداء الى تشيخوف (من قارئ معجب متحمّس), وطلب من تشيخوف كتابا وصورة له , وارسل تشيخوف طبعا صورته و الكتاب وكتب له قائلا – (ارسل لكم الصورة والكتاب , ولوكنت أقدر لارسلت لكم الشمس ...) , وكتبت شقيقة تشيخوف بمذكراتها عن ذلك وقالت, ان تشيخوف كان سعيدا جدا في ذلك اليوم . أما تشايكوفسكي , فقد كان فخورا جدا بكتاب تشيخوف هذا , الذي اهداه له تشيخوف في صفحته الاولى, وبقي معتزّا به طوال حياته.

الرسائل المتبادلة بين تشيخوف و جايكوفسسكي قليلة نسبيا , الا انها مع ذلك تعدّ الان واحدة من الوثائق المهمة لدراسة ابداع تشيخوف في تلك المرحلة من مسيرته , اذ انها تعكس صفات وخصائص واسلوب وافكار هذا الاديب , الذي تنبأ له جايكوفسكي في بداية الثمانينات , عندما كان تشيخوف طالبا في الكلية الطبية بجامعة موسكو وينشر قصصا قصيرة و مرحة وساخرة كي يكسب بعض النقود التي تساعده على العيش , تنبأ له بمستقبل ادبي باهر , وكم كان جايكوفسكي محقا (ودقيقا ايضا) في كلماته تلك , وكم كانت تلك النبوءة صحيحة , لان عيون الفنان الثاقبة (وخصوصا عند موسيقار بمستوى جايكوفسكي) لا تخطأ ابدا في هذا المجال.

46- ابداع تشيخوف في عالم مورافيا الفني

عنوان مقالتنا هو عنوان بحث علمي نشرته مجلة (فيسنك) التي تصدرها جامعة خاركوف التربوية في اوكرانيا بعددها المرقم 4 (59) لعام 2016 , و هذا البحث بقلم أندرونوفا و جورينكو . العنوان مثير فعلا , او كما كنّا نقول في شبابنا ضاحكين – (يسيل اللعاب) , ومن الواضح انه بحث في الادب المقارن . استوقفني هذا العنوان المتميّز والجديد بالنسبة لي كليّا , اذ لم يسبق لي ان اطلعت على مقارنة بين الكاتب الروسي تشيخوف والكاتب الايطالي مورافيا , وهكذا بدأت رأسا ب(التهام!) هذا البحث , واود ان أعرض للقارئ العربي انطباعاتي عن هذا (الالتهام !) , اذ يبدو لي ان هذه المقارنة المبتكرة بين أديبين متباعدين (من حيث المكان والزمان واللغة والثقافة) ربما ستكون طريفة ومفيدة ايضا للقارئ , الذي يتابع ظواهر الادب العالمي بشكل عام , والادب المقارن بشكل خاص .

القيت النظرة الاولى على البحث اولا, ووجدته مكتوبا باللغة الروسية , رغم ان هناك في بدايته خلاصة باللغة الاوكرانية ثم بالروسية ثم بالانكليزية , وهذه ظاهرة علمية سليمة جدا , ويبدو ان ذلك من مستلزمات النشر في تلك المجلة العلمية الاوكرانية لجامعة خاركوف التربوية . يشغل البحث ست صفحات كاملة من المجلة المذكورة, وتوجد في نهاية البحث قائمة بالمصادرالتي اعتمدها الباحثان , وعددها (13) مصدرا , وكلها باللغة الروسية ليس الا. الاشارة الى المصادر وتثبيتها هي ضرورة علمية طبعا في نهاية البحوث كافة , ولكن الذي أثار استغرابي هنا , هو عندما وجدتها فقط باللغة الروسية لبحث يقارن بين ابداع كاتب روسي بابداع كاتب ايطالي , اذ كنت أتوقع ان تكون هناك مصادر باللغة الايطالية ايضا .

اطلعت على هذا البحث بكل امعان , وحاولت حتى ان أقرأ ما بين سطوره ايضا , واود ان أشير- قبل كل شئ – الى اعجابي الشديد بالعنوان , اذ ان صياغته جاءت

بشكل دقيق و موضوعي وموقق جدا , فلا توجد في ذلك العنوان اي اشارة الى (تأثير) تشيخوف على مورافيا , وانما هناك مفردة (ابداع) تشيخوف , وهو ابن القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في روسيا , (في العالم الفني) لمورافيا , وهو ابن اواسط القرن العشرين ونهايته في ايطاليا, ومن الواضح جدا , ان هذا العنوان لم يكن عفويا ابدا . ان العنوان لا يوحي , الى ان ابداع تشيخوف قد (أثر) على ابداع مورافيا , كما يحاول عادة بعض الذين يكتبون في الادب المقارن , دون ان يأخذوا بنظر الاعتبار , ان (المتأثر به) ان صحّ التعبير, لا يمكن ان يكون اديبا حقيقيا كبيرا , اذ ان القارئ يذهب مباشرة الى (الاصل) , اي الى (الذي يؤثر) , وليس الى (الفرع) , اي (الذي يتأثر به) , وقضية (التأثر) و (التأثير) مسألة جديرة بالتأمّل العميق في دراسات الادب المقارن , وهي مسألة تختلف جذريا عن تشابه الموضوعة في نتاجات الادباء , سواء في اطار الادب القومي الواحد او في اطار الادب العالمي عموما , ابتداء من (حي بن يقظان) الى (روبنسون كروزو) فصاعدا .

يركز البحث على موضوعات تميّز بها ابداع تشيخوف , مثل سيكولوجية العبودية في علاقات البشر بين بعضهم البعض, او , التفاهة التي تسود في الحياة الانسانية الباهتة أصلا , او , ضيق النظرة الجامدة الى الحياة والتعامل معها انطلاقا من (العلبة!) التي صنعها ذلك الشخص لنفسه ويريد ان يخضع العالم حوله لمفاهيمه الجامدة , الى آخر تلك الافكار التشيخوفية العميقة التي ترتبط بابداعه . ثم يحاول الباحثان ان يشيرا الى تحديدها او ظهور ملامح منها في ابداع مورافيا هنا وهناك , مستندين الى الترجمات الروسية لبعض روايات مورافيا ليس الا , وكذلك الى الدراسات الروسية حول مورافيا . البحث لا يرسم طبعا صورة متكاملة وشاملة لكل (العالم الفني لمورافيا) كما يشير العنوان , ولكنه يحدد فعلا وبشكل صحيح جدا خصائص التشيخوفية , ويحاول ان يجد انعكاساتها في عالم مورافيا الفني , وليس

ذلك بالقليل في عالم البحث العلمي للادب المقارن , هذا المصطلح (اي الادب المقارن), الذي لم يتبلور لحد الان كمادة مستقلة وقائمة بذاتها في الدراسات الانسانية , ولا يوجد قسم خاص للادب المقارن في الجامعات التي مررت بها اثناء مسيرتي , رغم ان قسم اللغة العربية في كليّة اللغات بجامعة صنعاء في اليمن قد كلّفني بتدريس مادة (الادب المقارن) عندما كنت استاذا زائرا لمدة شهر واحد عندهم , وقد القيت محاضرات بمعدل ساعتين اسبوعيا , ولم يكن لديهم مفردات معينة لتلك المادة , فتناولت في محاضراتي الموضوعة العربية في الادب الروسي عند بوشكين وليرمنتوف وغوغول وتولستوي وبونين , وذلك حسب اختصاصي الدقيق في تاريخ الادب الروسي , وكان الطلبة يتقبلون المادة بحماس لانها جديدة عليهم بكل معنى الكلمة ...

ابداع تشيخوف في عالم مورافيا الفني – محاولة مهمة في اغناء علم الادب المقارن وتوسيع مداراته, ولا اظن ان ترجمته الى العربية ستكون مقبولة, لانه يرتبط قبل كل شئ بالترجمات الروسية لادب مورافيا والدراسات الروسية عنه , ولكن الفكرة الجوهرية لهذه الدراسة تمتلك – بلا شك - حيويتها وقيمتها العلمية العميقة ...

47- تشيخوف في رأيّ نابوكوف

ولد نابوكوف (مؤلف رواية لوليتا الشهيرة) في روسيا عام (1899) , اي قبل (5) سنوات من وفاة تشيخوف (1904) , وترك روسيا عام 1919 (بعد رفضه لثورة اكتوبر1917) , ولم يرجع الى روسيا بعدئذ ابدا, اذ عاش في المانيا وفرنسا اولا, ثم سافر بعد ذلك الى امريكا واصبح مواطنا امريكيّا (انظر مقالتنا بعنوان نابوكوف بين روسيا وامريكا) , ثم عاش اواخر حياته في سويسرا وتوفي فيها عام (1977) ودفن هناك عن عمر يناهز الثامنة والسبعين , بعيدا عن وطنه الام روسيا.

نابوكوف متعدد المواهب والاختصاصات والمهن, ومن بينها (وليس ابرزها !) , انه كان استاذا متألقا في الجامعات الامريكية على مدى سنوات طويلة , و ألقى هناك محاضرات شيّقة جدا ومتميّزة وذات نظرة مبتكرة وابداعية وعميقة عن تاريخ الادب الروسي وتوقف فيها عند ابرز أعلامه , و قد تم نشر تلك المحاضرات بعد موته (انظر مقالتنا بعنوان – محاضرات نابوكوف حول الادب الروسي), ونجد في تلك المحاضرات آراء نابوكوف حول كبار الادباء الروس , ومنهم طبعا تشيخوف , ونود في مقالتنا هذه ان نتحدث للقراء قليلا عن بعض تلك الآراء التي كتبها نابوكوف بشأن وجهة نظره حول تشيخوف وابداعه, اذ ان تلك الكتابات كانت ولا تزال تمتلك قيمتها واهميتها في تاريخ الادب (والنقد الادبي) الروسي اولا , و ثانيا , لأن تشيخوف يعدّ بالنسبة للقارئ العربي واحدا من أقرب الادباء الروس اليه , وبالتالي ,فان الاطلاع على رأي كاتب روسي كبير مثل نابوكوف حول تشيخوف سيكون – بلا شك - مفيدا وممتعا له في نفس الوقت. ولا يمكن طبعا لهذه السطور ان تتناول كل تلك الافكار الجميلة والعميقة عن تشيخوف , التي جاءت في كتابات نابوكوف حوله , ولكننا نحاول ان نتوقف عند بعض (وأؤكد هنا على كلمة بعض) تلك النقاط المتميّزة ليس الا , والتي نرى انها لازالت غير واضحة تماما للقارئ العربي بشكل عام لحد الان, وربما حتى لبعض الباحثين العرب ايضا , الذين يتحدثون عن

تشيخوف حسب مفاهيم محددة سلفا , دون الاخذ بنظر الاعتبار كل الاحداث الهائلة التي حصلت ونحن على مشارف العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين .

توقف نابوكوف في بداية محاضراته عن تشيخوف عند سيرة حياته بشكل وجيز جدا , واستطاع بموهبته ان يلتقط من تلك الحياة مواقف ولحظات (ان جاز التعبير) مثيرة للمتلقي الامريكي , اذ انه بدأ محاضرته – مثلا - بجملة (كان جده قنّا ...واشترى حريته وحرية عائلته من العبودية بمبلغ من الروبلات قدره 3500 ...), وهذه الجملة بحد ذاتها تثير كثيرا من التساؤلات حول تاريخ روسيا ومسيرتها , اذ انها تعني ان (القنّ او العبد) فيها كان يمكن له ان (يشتري!) حريته وفق القانون الرسمي , الذي صدر في روسيا القيصرية آنذاك عام 1860, وكان يعني ايضا كيف يمكن لحفيد هذا العبد ان يصبح طبيبا بعد تخرجه في جامعة موسكو , ثم يصبح بعدئذ اديبا عالميا بمستوى تشيخوف واهميته بالنسبة لروسيا وبالنسبة للعالم , ويتوقف نابوكوف بعد تلك الجملة القصيرة و (الكبيرة المعنى!) عند والد تشيخوف , ويقول عنه ايضا بايجاز دقيق وحاسم – (انه صاحب دكان صغير , وافلس ..واضطر الى الرحيل مع عائلته الى موسكو) , ويعقبها رأسا بجملة – (... ويبقى الصبي تشيخوف وحيدا في مدينة تاغنروغ كي ينهي المدرسة ... واضطر ان يكسب قوته بنفسه ...). ان هذه الجملة المركبة عن الجد والابن والحفيد ومسيرتهم ومصيرهم في روسيا آنذاك قد رسمت للمتلقي الامريكي عندها (ولكل القراء الآن طبعا) صورة قلمية واقعية ودقيقة ومحددة - لا تقبل الشك ابدا – عن الوضع العام في روسيا , التي تركها نابوكوف بسبب الاحداث الهائلة التي وقعت فيها واضطرته ان يتحول الى لاجئ – ليس الا - يعيش و يعمل خارج وطنه ثم يموت بعيدا عن وطنه ايضا, رغم انه يحمل هذا الوطن في اعماق عقله وقلبه و روحه , مثل كل اللاجئين (وما أكثرهم مع الاسف , وكدت أقول وما أكثرنا) في كل زمان ومكان في عالمنا الصاخب المضطرب هذا...

يتناول نابوكوف بشكل وجيز ايضا مسألة مهمة جدا في مسيرة تشيخوف وهي قضية موقفه السياسي , وهذه مسألة أثارها الكثير من الباحثين حول تشيخوف , وانطلقوا من مفاهيم مختلفة بشأنها , ولا مجال هنا طبعا للتوقف عند تلك الآراء . لقد حدد نابوكوف بجملة بسيطة موقف تشيخوف السياسي , وكتب يقول – (...لم يمارس تشيخوف النشاط السياسي ابدا...ولم ينتم الى اي حزب سياسي...). ويوضح نابوكوف موقف تشيخوف هذا - (... لكنه كان يعتبر العدالة اهم شئ , ولهذا رفع صوته ضد اللاعدالة.. باعتباره فنّانا).

يعرض نابوكوف في محاضراته تلك وقائع تفصيلية شبه مجهولة من حياة تشيخوف , وكيف انه بنى اربع مدارس , وكيف ساهم في بناء مستشفى ومكتبات عامة وقاعات ومسرح , وكيف كان يعالج الفلاحين المرضى مجانا ويوفر لهم الدواء وحتى السكن ...

وتناول نابوكوف في محاضراته طبعا نتاجات تشيخوف الادبية من قصص ومسرحيات , ولا مجال هنا للحديث عن ذلك , ولكننا – ختاما – نود ان نشير فقط الى اعجاب نابوكوف المتناهي والشديد والكبير بقصة (السيدة ذات الكلب الصغير) , والتي اعتبرها واحدة من أروع القصص ليس في الادب الروسي وحسب , وانما في الادب العالمي ايضا...

محاضرات نابوكوف حول الادب الروسي – بشكل عام - تنتظر مترجمها العربي , وتنتظر طبعا دراسات وبحوث العرب حولها.

48- تشيخوف في الصين

الكتابة عن تشيخوف في الصين تعني الكتابة عن تاريخ ترجمات نتاجاته الى اللغة الصينية , ومن ثمّ , كيف تقبّلها القارئ الصيني بشكل عام وكيف تناولها النقد الادبي الصيني بالذات , وهل هناك انعكاسات او تأثير- ما لتلك الترجمات على مسيرة الادب الصيني نفسه , ومن نافل القول , ان الحديث الشامل عن كل هذه الجوانب الواسعة والمتنوعة يتطلب عملا كبيرا لمجموعة من المتخصصين في الادب الروسي والصيني معا , ولا يمكن طبعا لمقالتنا هذه ان تتناول كل هذه الجوانب المتنوعة , الا اننا نظن , ان التوقف عند هذا الموضوع ولو بشكل وجيز جدا , او حتى الاشارة الى معالمه الاساسية ربما يكون ممتعا وطريفا للقارئ العربي , وذلك لأن الموضوع جديد بكل معنى الكلمة لهذا القارئ , وهذا اولا , ومن المحتمل ان يكون مفيدا ايضا له , وهذا ثانيا , لأن هذا القارئ يهتم بالادب العالمي وعلم الادب المقارن , وهذا يعني طبعا , الاهتمام بموقع اعلام الادب الروسي خارج روسيا , وتفاصيل هذه العملية الابداعية ...

الخطوة الاولى لمسيرة تشيخوف (1860 – 1904) في الصين ابتدأت بترجمة لاحدى نتاجاته عام 1907 (اي بعد وفاته بثلاث سنوات) وعن اللغة اليابانية , ولكن الغريب بالامر , ان اول نتاج مترجم له الى الصينية هي القصة الطويلة – (الراهب الاسود) , وتشغل هذه القصة مكانة خاصة جدا في ابداع تشيخوف , و تعدّ عملا فنيّا متميّزا جدا في تاريخ نتاجاته الادبية , وقد كتبها تشيخوف عام 1893 , ويتمحور مضمونها حول (مرض الروح الانسانية) كما اشار الكثير من الباحثين الروس آنذاك, ولا زالت هذه القصة الطويلة لحد اليوم تثيرمختلف النقاشات حولها , اذ لم يتم الاتفاق حتى على تحديد جنسها الادبي , اذ يسميها البعض (رواية قصيرة) (بوفست بالروسية) , ويسميها البعض الآخر (قصة)(رسكاز بالروسية) , ونحن نميل الى تسميتها (قصة طويلة) , اذ انها تقع في حوالي 30 صفحة بطبعتها الاولى

, وفي كل الاحوال وبغض النظر عن كل هذه النقاشات والتباينات حول (الراهب الاسود), فانه لا يمكن بتاتا اعتبار هذه القصة نموذجا ساطعا لادب تشيخوف كما يراه العالم ويتقبله في الوقت الحاضر, اذ لا يمكن ان نجد هناك تلك الاجواء التشيخوفية (ان صحّ التعبير), التي اشتهرت في قصصه او مسرحياته بشكل عام , ولا نعرف السبب , الذي جعل المترجم الصيني هذا آنذاك ان يختار هذه القصة بالذات ويقدمها الى القارئ الصيني , الذي لم يكن يعرف عندها اصلا من هوهذا الكاتب الروسي تشيخوف , وربما يمكن توضيح ذلك السبب بالاجتهاد الشخصي لهذا المترجم واعجابه الذاتي ليس الا , اذ ان هذه القصة ذات طابع فلسفي , وتتداخل فيها عناصر الحقيقة مع الخيال , وتمتزج في صياغتها اجواء الرمزية مع الواقعية ...

وهكذا ابتدأت مسيرة تشيخوف في الصين , وقطعت خمسة مراحل باكملها كما يشير الباحثون في هذا الموضوع كافة . ترتبط هذه المراحل طبعا بتاريخ الصين نفسه منذ بدايات القرن العشرين , مرورا بحركات التحرر من السيطرة اليابانية , ثم انتصار الثورة واعلان جمهورية الصين الشعبية (1949) ومسيرتها واحداثها المتنوعة (لنتذكر فقط الثورة الثقافية وكتاب ماوتسي تونغ الاحمر , الذي طبعوا منه أكثر من 800 مليون نسخة !!!) , وصولا الى حركات الاصلاح الجذرية , والتي أدّت الى ان تشغل الصين الان هذا الموقع المتقدم عالميا وفي الميادين المختلفة كافة . كل هذه المراحل جعلت من تشيخوف في نهاية المطاف واحدا من أكثر الادباء الروس (وليس فقط الروس) انتشارا وشهرة بالصين في الوقت الحاضر , وترتبط هذه المراحل (كما حدث ذلك في عالمنا العربي) بلغات وسيطة عديدة قام المترجمون الصينيون بترجمة نتاجات تشيخوف عنها في بداية هذه المسيرة الطويلة , منها اليابانية والانكليزية , الى ان وصلوا بعدئذ الى لغة تشيخوف نفسها , اي الروسية , وأخذوا يترجمون نتاجاته الى اللغة الصينية عن الروسية مباشرة , ومن قبل المتخصصين الصينيين أنفسهم , الذين درسوا اللغة الروسية وآدابها (في عقر

دارها !) , وأبدعوا في دراستهم (وقد شاهدتهم شخصيا اثناء دراستي هناك وأشهد على ذلك) , ونتيجة لتفوقهم هذا , جاءت الثمار باهرة جدا في اغناء الحركة الادبية بالصين , وحصل تشيخوف على واحدة من (حصص الاسد!) في بستان هذه الثمار , اذ توجد الان المؤلفات الكاملة لتشيخوف باللغة الصينية في (27) مجلدا (وهذا شئ لم يحدث حتى في اكثر الدول ازدهارا في العالم ولحد الان !!!), اضافة الى عشرات الكتب الصينية الاخرى لقصصه ومسرحياته , والتي صدرت قبل مجموعة المؤلفات الكاملة وبعدها ايضا , والى العديد من الكتب النقدية باللغة الصينية , التي كتبها المتخصصون الصينيون انفسهم , او التي ترجموها الى الصينية , وكلها تتناول دراسة ابداع تشيخوف وخصائصه الفنية.

لقد سألوا مرة فنانة صينية كانت تؤدي دورا في مسرحية (بستان الكرز) لتشيخوف باحدى مسارح بكين – من هو تشيخوف بالنسبة لها ؟ فاجابت رأسا - انه المعلّم , الذي يقول لنا دائما - (... في الانسان كل شئ يجب ان يكون رائعا – والوجه , والملابس , والروح , والافكار...) , ولهذا , فاننا نقول له دائما – شكرا يا انطون بافلوفيتش ....

49- اول قصة قصيرة نشرها تشيخوف

عنوان هذه القصة القصيرة هو – رسالة الى جار عالم , وقد نشرها تشيخوف عام 1880 , عندما كان طالبا في الصف الاول بكلية الطب في جامعة موسكو , وهي ليست اول نتاج ادبي كتبه تشيخوف, وانما اول عمل ابداعي نشره (والفرق كبير طبعا بين الكتابة والنشر) , وبما ان هذا (الطالب الشاب) كان في بداية الطريق الى عالم الادب والمساهمة به , ولأنه لم يكن واثقا من نفسه في مسيرته الابداعية , فقد نشر هذه القصة القصيرة باسم مستعار وهو – (....ف) , وهذا استخدام طريف جدا ومبتكر فعلا , اذ جرت العادة على الاشارة الى الحرف الاول للاسم في مثل هذه الحالات, اما تشيخوف فقد استخدم الحرف الاخير من اسمه, علما ان تشيخوف استخدم في بداية حياته الادبية العديد من الاسماء المستعارة الطريفة, وقد تمّ جمعها بعدئذ في قوائم خاصة, وهي منشورة الان بالروسية , وذلك باعتبارها جزءا لا يتجزأ من تراث تشيخوف الابداعي.

لازالت قصة (رسالة الى جار عالم) معروفة ومشهورة لحد الان , اي انها (اخترقت !) القرن التاسع عشر والعشرين ونحن الان في بداية العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين . ومن الطريف الاشارة هنا, الى انها اصبحت القصة رقم واحد في مؤلفات تشيخوف المختارة بترجمة المترجم المصري الكبير المرحوم د. ابو بكر يوسف , والتي نشرتها دار رادوغا السوفيتية باربعة أجزاء في حينها (وتم اعادة طبعها ونشرها في عالمنا العربي عدة مرات), والتي تعد الان واحدة من اهم المصادر لنتاجات تشيخوف الادبية باللغة العربية , وبالتالي , يمكننا ان نقول وبدقة , ان هذه القصة القصيرة للطالب الروسي الشاب معروفة للقارئ العربي ايضا, وقد اطلعت مرّة على تعليقات كثيرة و متنوعة من القراء العرب حول هذه القصة القصيرة , منها على سبيل المثال , تعليق طريف باللهجة المصرية الجميلة حول رد

فعل العالم بعد قراءة الرسالة (مع صورة لفنان كوميدي مشهور) وهو يمسك بيده رسالة و يقول – لو سمحتم شوفولي مين الاهبل اللي كتب الرسالة دي .

عنوان هذه القصة عندما تمّ نشرها هو – (رسالة من الاقطاعي بمنطقة الدون ستيبان فلاديميروفيتش ن الى الجار العالم الدكتور فريدريخ), وقد ظهرت بموسكو في العدد العاشر من مجلة (ستريكازا) الفنية الفكاهية بتاريخ 9 آذار / مايس عام 1880 . حاول تشيخوف ان يصدر مجموعة من قصصه عام 1882 , وأدخل هذه القصة في تلك المجموعة , وعدّل العنوان الاصلي الى عنوان – رسالة الى جار عالم , الا ان المجموعة لم تصدر آنذاك لاسباب عديدة لا مجال للكلام عنها الان .

مضمون القصة بسيط جدا , اذ يكتب أحد الساكنين في قرية روسية (وهو عسكري بسيط متقاعد) رسالة الى جاره العالم, الذي وصل من بطرسبورغ للعيش في تلك القرية , والقصة القصيرة هذه لا تتضمن غير هذه الرسالة , التي تبدأ – مثل اي رسالة – بالتوجّه الى المرسل اليه , وتنتهي باسم المرسل . ويكتشف القارئ لهذه الرسالة مستوى كاتبها الضحل جدا (شكلا ومضمونا), والذي يحاول في رسالته هذه ان (يتباهى !) بمعلوماته العلمية وبشكل مضحك جدا وبلغة ركيكة ومليئة بالاخطاء الاملائية والاسلوبية , لدرجة ان واضعي المناهج في المدارس الروسية أدخلوا هذه القصة ضمن الدروس التعليمية , وذلك كتمرين لغوي للتلاميذ , ويطلبون منهم الاطلاع عليها وايجاد تلك الاخطاء , ويعد هذا التمرين من انجح الدروس , لأن التلاميذ يقرأون القصة بمتعة كبيرة ويصلّحون النص ذاك .

لقد كتب شقيق تشيخوف (واسمه ميخائيل) في ذكرياته عنه , ان تشيخوف في صباه كان يلقي امام ضيوف بيتهم (محاضرة!) ساخرة , يجسّد فيها شخصية بروفيسور يتحدث عن اختراعاته العلمية , ويقول شقيقه , ان تشيخوف استخدم تلك الصور الفنية , التي كان يلقيها آنذاك , وكان الضيوف يستمعون اليه ويقهقهون من اعماق قلوبهم . بل ان أحد الباحثين كتب مرة عن هذه القصة قائلا , ان طالب الكلية

الطبية تشيخوف أراد ان يسخر من المضادين لافكار دارون , متأثرا بأحد اساتذة تلك الكلية , الذي كان مغرما بالداروئية ويتكلم دائما عنها , وان ذلك انعكس بشكل مباشر في تلك القصة .

قصة تشيخوف القصيرة (رسالة الى جار عالم) هي بداية لمرحلة مهمة جدا من مراحل مسيرة تشيخوف الابداعية , تسمى الان مرحلة القصص القصيرة الفكاهية الساخرة , والتي كتب فيها تشيخوف قصصا عديدة و شهيرة جدا , مثل الحرباء وموت موظف والبدين والنحيف وغيرها, هذه القصص التي لازالت حيوية في روسيا و في بقية بلدان العالم ايضا , بما فيها طبعا عالمنا العربي , وهي قصص قال عنها أحد النقاد الروس , لو ان روسيا تختفي من الوجود , فيمكن اعادتها على وفق قصص تشيخوف هذه...

50- عن تشيخوف وشوارعه

..لأنه لا توجد شوارع وساحات في بغداد تحمل اسم بدر شاكر السياب او نازك الملائكة او غائب طعمه فرمان او..او.. , قررت ان اكتب هذه السطور, كي اهديها , اولا , الى ...من يهمّه الامر... (كما تعوّدنا ان نكتب في عرائضنا غير المجدية !!!) انطلاقا من مبدأ – ... فذكّر ان نفعت الذكرى... رغم اني أعرف مسبقا , ان عملية التذكير هذه (لم تنفع في حينها ولن تنفع لاحقا !!!) ..... و اكتب هذه السطور, ثانيا , كي اخفف الوطأ (كما اوصانا المعرّي العظيم) عن روحي وقلبي وعقلي , بعد ان اطلعت على احصائية (غريبة وطريفة جدا !) تتحدث عن عدد الشوارع في روسيا (وبعض دول الاتحاد السوفيتي سابقا) , التي تحمل اسم الكاتب الروسي انطون تشيخوف , بل ان عالمية تشيخوف واطلاق اسمه على الشوارع تخطّت حدود روسيا ودول المجموعة السوفيتية السابقة , ووصلت الى دول اوربية اخرى , وليس فقط دول المعسكر الاشتراكي السابق , والتي كانت تسير ضمن المدار الفكري السوفيتي كما هو معلوم , بل وصلت عالمية تشيخوف الى دول اوربية غربية بعيدة جدا جدا عن التأثير الروسي و السوفيتي سياسيا وفكريا بكل ما تحمل الكلمة من معنى , فهناك الان شوارع وساحات تحمل اسم تشيخوف في المانيا وايطاليا وفرنسا ...., وكل هذا يعدّ طبعا ظاهرة حضارية متقدّمة و مدهشة و تستحق التأمّل العميق بلا شك ...

تقول ارقام تلك الاحصائية الطريفة , ان تشيخوف يشغل المكان رقم واحد بين الادباء الروس , الذين تمّ اطلاق اسمائهم على الشوارع في روسيا , وكذلك المدن السوفيتية سابقا , عندما كان الاتحاد السوفيتي قائما آنذاك , و على الرغم من تغيير معظم التسميات في تلك الدول بعد الغاء دولة الاتحاد السوفيتي عام 1991 كما هو معروف , الا ان اسم تشيخوف لم يتغيّر, وقد علّق احد اصدقائي العراقيين على ذلك قائلا وهو يضحك – ... لأن تشيخوف (فوق الميول والاتجاهات !) , وكان هذا (

المصطلح السياسي العراقي البحت !) موضوعا لحديثنا وتعليقاتنا المتنوعة المرحة والعميقة الحزن في آن , نحن العراقيين , الذين التقينا آنذاك - و بمحض الصدفة - في موسكو . قال الاول , ان تشيخوف لم يكن بالنسبة للعراقيين (فوق الميول والاتجاهات) , والدليل على ذلك , ان مجلس السلم العالمي طلب من انصاره في العالم الاحتفال عام 1954 بذكرى مرور خمسين عاما على وفاة تشيخوف , وقد (لبّى!) هذا النداء الحزب الشيوعي العراقي , وأصدر اول كتاب عن تشيخوف في العراق , وهو كتاب شاكر خصباك الشهير . اعترض الثاني قائلا , ان كتاب خصباك كان فعلا متناسقا مع نداء مجلس السلم العالمي , وهو منظمة تابعة للحركة الشيوعية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتي آنذاك , وبالتالي , فانه جاء ضمن نشاط الحزب الشيوعي العراقي , الا ان كتاب خصباك عن تشيخوف تخطى ذلك (الحاجز!) ان صح التعبير , واصبح – وبمرور الزمن – كتابا عراقيا جميلا ومفيدا ورائدا وقائما بذاته عن تشيخوف , يرتبط باسم خصباك فقط , ولم يعد عملا فكريا , جاء نتيجة نداء مجلس السلم العالمي ليس الا , والدليل على ذلك , ان خصباك نفسه أعاد طبع هذا الكتاب في اليمن نهاية القرن العشرين , وذلك باعتبار هذا الكتاب واحدا من المصادر المهمة لتعريف القارئ العربي بالكاتب الروسي تشيخوف , وبغض النظر عن موقف الحزب الشيوعي العراقي تجاهه عند صدوره في الخمسينيات ببغداد عندئذ . قال الثالث , ان كل الادباء الروس في العراق الملكي وبداية العراق الجمهوري كانوا يُعتبرون (بضم الياء) ضمن (الميول والاتجاهات اليسارية) وليس فوقها , لانهم فقط روس ليس الا , بغض النظر عن مواقفهم الفكرية و نوعية كتاباتهم ومضامينها واهدافها (بما فيهم حتى بوشكين وغوغول ودستويفسكي وتورغينيف وتولستوي وتشيخوف), وان هذه النظرة الساذجة جدا (التي كانت سائدة في شعاب المجتمع العراقي كافة آنذاك) دليل اكيد على سذاجة الساحة الفكرية العراقية عموما في تلك الفترة , وهي اثبات مادي ملموس ليس فقط لسذاجة السلطة الحاكمة وحدها , وانما

لسذاجة كل القوى الاخرى في ذلك المجتمع , بما فيها القوى السياسية المعارضة للسلطة والمضادة لها .

اتفقنا في نهاية دردشتنا الطريفة تلك , ان ظاهرة (شوارع تشيخوف !) العالمية ترتبط بابداع تشيخوف الانساني الهادئ والعذب بعمق وابتسامته الجميلة والحزينة , وان (عطسة موظفه الروسي , التي ادّت الى موته رعبا !) مفهومة جدا لكل انسان , بغض النظر عن قومية هذا الانسان وجنسيته ودينه وبقية خصائصة المتنوعة الاخرى , واتفقنا ايضا , ان بغداد ستشهد يوما ما ميلاد شارع يحمل اسم بدر شاكر السياب او غائب طعمه فرمان او نازك الملائكة او. ..او.. الخ , ولكن لن يكون فيها شارع يحمل اسم تشيخوف الروسي , او حتى شكسبير الانكليزي , والحليم تكفيه الاشارة....

51- مقالة لاكشين المنسية عن تشيخوف

يرتبط اسم فلاديمر ياكوفليفتش لاكشين (1933 – 1993) بظاهرة البحث العلمي الاصيل والمعمق في تاريخ الادب الروسي (انظر مقالتنا عنه بعنوان – لاكشين والادباء الروس الكبار) , ويمكن القول ايضا , ان لاكشين يرتبط باسم تشيخوف في بداية مسيرته , ولازال كتابه الشهير – (تولستوي و تشيخوف) يعدّ - ولحد الان - احد المصادر المهمة لدراسة تشيخوف وابداعه والمقارنة بينه وبين تولستوي , رغم ان الطبعة الاولى لهذا الكتاب صدرت عام 1963 , وعندما احتفلت روسيا بالذكرى (160) لميلاد تشيخوف في شهر كانون الثاني / يناير من هذاالعام (2020) , اهدى لي أحد زملاء الدراسة الروس بجامعة موسكو في الايام الخوالي عددا قديما من مجلة (فبروسي ليتيراتوري)(قضايا الادب) , الصادر في عام 1960 , وقال لي , انه حصل على هذه المجلة صدفة , وقرر ان يهديها لي قائلا – (ان هناك مفاجأة طريفة لك على صفحات هذه المجلة العتيقة , وانك يجب ان تكتشفها بنفسك). أثارتني هذه (الهدية!) والكلمات التي سمعتها حولها , وعندما بدأت بتصفّح المجلة , فهمت طبعا , ان زميلي يقصد مقالة لاكشين عن تشيخوف , اذ انه يعرف (ولعي الشديد !!) بتشيخوف , وانه يعرف ايضا , باني (احب كلمن يحبه !!!) كما يقول ناظم الغزالي في اغنيته الشهيرة. وقرأت المقالة تلك طبعا بكل سرور , واود ان (ادردش) حولها قليلا مع القراء العرب , لاني اظن , ان الدردشة هذه ستكون ممتعة لهم ومفيدة على الاغلب , اذ ان تشيخوف هو واحد من الادباء الروس القريبين روحيا لهؤلاء القراء .

ابدأ الدردشة بالحديث عن ذلك العدد العتيق من مجلة (قضايا الادب) , اذ انه صادر قبل خمسين سنة مضت , اي في عام 1960 , وهو العام الذي احتفلت به روسيا بالذكرى المئوية الاولى لميلاد تشيخوف . ومن الطبيعي ان يكون هناك ملف خاص في تلك المجلة حول هذه الذكرى . وساهم بالكتابة في هذا الملف عدد من

الباحثين الروس , ومن بينهم لاكشين , الذي انهى دراسته الاولية في القسم الروسي بكلية الفيلولوجيا في جامعة موسكو عام 1955 , والتحق بقسم الدراسات العليا في نفس القسم والجامعة بعدئذ , وحصل على شهادة الكانديدات (دكتوراه فلسفة) عام 1962. وكل تلك الوقائع تعني , ان لاكشين كتب مقالته تلك في مجلة (قضايا الادب) عندما كان طالب دراسات عليا و في السنة الاولى من دراسته ليس الا . عنوان المقالة هو – الارث الفني لتشيخوف اليوم , وتشغل 19 صفحة من المجلة المذكورة , وهي مقالة واسعة وشاملة, وتتضمن نظرة دقيقة على كل ابداع تشيخوف من قصص ومسرحيات , وهي بالتالي خطوة جريئة فعلا من قبل باحث شاب لم يكن يمتلك بعد الخبرة والتجربة في عالم الكتابة الجميل والشائك في آن . الانطباع الاول عن هذه المقالة هو شجاعة لاكشين الادبية , اذ قرر طالب الدراسات العليا ان يكتب في مجلة بمستوى (قضايا الادب) عن (كل تشيخوف !) رأسا , وهي خطوة يقدم عليها فقط الشباب الشجاع والذي لا يأخذ بنظر الاعتبار – وكما يجب – بالنتائج النهائية لعمله , والانطباع الثاني , هو ان لاكشين قد نجح فعلا في خطوته الشجاعة تلك نجاحا علميا باهرا .

الافكار الاساسية في تلك المقالة انعكست لاحقا وبشكل واسع في كتاب لاكشين – (تولستوي وتشيخوف) , وهي موضوع اطروحته آنذاك في دراسته العليا , ولا يمكن طبعا تلخيص هذه الافكار في عدة أسطر , ولكننا نريد ان نتوقف عند جملة واحدة منتقاة من تلك المقالة, والجملة هذه هي مثل نموذجي يمكن – من وجهة نظرنا - ان تعبّر عن طرافة النظرة العلمية للباحث تجاه ابداع تشيخوف , مثل يبيّن كيف ان لاكشين نجح برسم الخصائص الاساسية لهذا الابداع . الجملة هذه وتعليقاتنا عليها هي كالآتي –

(... كان باستطاعة تشيخوف ان يرسم اللوحة بضربة واحدة ...) . هذه الجملة التي كتبها لاكشين عن تشيخوف بحد ذاتها تعني , ان هذا الباحث قد فهم - وبعمق-

كل خصائص تشيخوف الفنية وقيمته الجمالية وكل الاجواء الجديدة التي ارتبطت باسمه في تاريخ الادب الروسي , فأي كاتب روسي آخر يقدر ان يرسم لوحة كاملة بحركة واحدة من فرشاته , التي تحمل كل تلك الالوان الزاهية ؟ ان قصصه القصيرة , والتي قال له عندها محررو بعض المجلات الروسية وهم يرفضون نشرها , انها (أقصر من منقار الطير) حسب ما كتب تشيخوف نفسه بعدئذ , هذه القصص القصيرة لازالت معروفة في روسيا وخارجها , مثل الموظف الذي عطس في المسرح وتوفي نتيجة ذلك , والذي أصبح الان رمزا من رموز الهلع التراجيدي للانسان المسحوق اجتماعيا وفي كل زمان و مكان رغم انه لم يرتكب اي ذنب. لقد تحوّلت جملة كتبها تشيخوف في احدى رسائله مرّة الى قول روسي مشهور , بل و الى مثل من الامثال الروسية , و ترجمتها الحرفية هي – (الايجاز شقيق العبقرية) , وهناك اجتهادات اخرى متنوعة لترجمة هذا القول , الا انها خارج اطار مقالتنا طبعا. , جملة تشيخوف هي في الواقع تعبير دقيق يتناغم فعلا مع كل ابداعه , وهذه الجملة تذكرنا بمثلنا العربي – (خير الكلام ما قل ودل) طبعا , الا انها تبقى جملة تشيخوفية بامتياز.

لاكشين ودوره في (تحرير!) تشيخوف من (الشوائب) التي أحاطت به يتطلب التعمق بدراسة كتابات هذه الباحث الكبير...

52- تشيخوف واحد ام تشيخوفان

أ.د. ضياء نافع

هذا العنوان الطريف و المثير معا جاء عند الباحث الروسي المعاصر دميتري بيكوف في كتابه الصادر عام 2011 في موسكو . عنوان الجزء الاول من الكتاب – تقويم 1 (وبعنوان اضافي هو – احاديث عن الشئ الرئيسي), وعنوان الجزء الثاني - تقويم 2 (وبعنوان اضافي هو – نقاشات عن الشئ غير القابل للنقاش) . يضم الكتاب تواريخ ميلاد في كل شهر من شهور السنة لمختلف الشخصيات في روسيا والعالم ايضا وبعناوين طريفة ومبتكرة بكل معنى الكلمة ترتبط بتلك الشخصية , التي يصادف يوم ميلادها في ذلك الشهر او هناك حدث مهم جرى لتلك الشخصية في ذلك اليوم , وهي صياغة مبتكرة فعلا لتأليف كتاب باكمله حول الشخصيات التي يرغب المؤلف ان يختارها للكتابة عنها , وقد اتاحت هذه الطريقة للمؤلف ان يختار شخصيات متنوعة جدا , لايوحّدها موضوع واحد ولا يربطها مع بعض اي رابط , سوى انها ولدت في ذلك اليوم ليس الا او حدث شئ كبير في مسيرة حياتها بذلك التاريخ, وهكذا استطاع هذا الباحث ان يتكلم عن اي شخصية تخطر بباله , وقد تناول لينين وستالين وتشي جيفارا ومارغريت تاتشر والثورة الثقافية في الصين ومجموعة من الشخصيات العالمية الاخرى و في عدة مجالات , ومن جملة هذه الشخصيات كانت مجموعة من الادباء الروس , اذ تحدّث المؤلف عن – تشيخوف واخماتوفا وشولوخوف وتولستوي وبوشكين ومایاكوفسكي وبابل واكسيونوف ولوناتشارسكي وغريبويديف وفيسوتسكي ونابوكوف واندرييف وسولجينيتسن , ومن الواضح تماما , ان هذه الاسماء مختلفة ومتنوعة جدا ولا يجمعها اي شئ مشترك .... وكل واحد من تلك الشخصيات الادبية الروسية جاء تحت عنوان طريف خاص به , وكان تشيخوف بعنوان – تشيخوفان (الترجمة الحرفية لعنوان المقالة عن تشيخوف كما

جاء عند المؤلف هو – 2 تشيخوف) , وقد ارتأينا ان نترجم عنوان تلك المقالة – (تشيخوف واحد ام تشيخوفان وكما ذكرنا في عنوان مقالتنا هذه) , وذلك للتركيزعلى هذا العنوان الغريب اولا , وثانيا لايصا ل الفكرة الاساسية التي اراد المؤلف ان يقولها للقارئ (و القارئ العربي بالذات الذي نكتب له) , وخلاصة تلك الفكرة تكمن في انه اراد ان يقول , ان هناك (تشيخوفان اثنان) وليس تشيخوف واحد في الادب الروسي , وهي فكرة غريبة فعلا ومثيرة ايضا لكل القراء , بغض النظر عن كونهم قراء روس او من قوميات اخرى , اذ ان تشيخوف اصبح كما هو معروف – ومنذ فترة ليست بالقصيرة - اديبا عالميا وليس اديبا روسيّا وحسب.

لقد جاءت مقالة بيكوف عن تشيخوف تحت تاريخ (29) كانون ثاني / يناير 1860 , وهو يوم ميلاد تشيخوف , وتقع المقالة في (21) صفحة من الجزء الاول من ذلك الكتاب , (تشيخوف 1) من ص37 الى ص 48 , و(تشيخوف 2) من ص48 الى ص 58 . يرسم المؤلف في مقالته تلك صورة (انطباعية) جميلة لتشيخوف , تعتمد بالاساس على نتاجاته الادبية (ومن الواضح ان المؤلف يعرف نتاجات تشيخوف بعمق), واقول (انطباعية) لأن الصورة تتكون من (نتف) , ان صح التعبير , من هنا وهناك من تلك النتاجات , حسب تعبيرنا العربي الشائع – (من كل بستان زهرة) , وتبدو هذه النتف – للوهلة الاولى – وكأنها منتقاة بشكل عشوائي ودون اي خطة دقيقة واضحة المعالم لدى المؤلف, ولكن هذه المقاطع ترسم - في نهاية المطاف - فعلا صورة فنيّة متكاملة لتشيخوف الاديب , وهذه الصورة الفنية ذكرتني بقول لتولستوي عن تشيخوف , اذ قال تولستوي آنذاك ما معناه, ان تشيخوف يرسم بالكلمات لوحاته مثل الفنانين التشكيليين الانطباعيين , لا تستوعبها للوهلة الاولى , ولكن عندما تتراجع قليلا وتتأملها تكتشف جماليتها , وعندها تندهش . وهكذا الامر مع هذه الصورة الفنية لتشيخوف و التي رسمها بيكوف له , اذ اننا نكتشف هناك الاستنتاجات التي وصل اليها المؤلف , نكتشفها عبر الايماءآت في تلك المقالة , اوما

بين سطور تلك المقالة ايضا . انها لوحة مرسومة وفق اجواء المدرسة الانطباعية في الفن التشكيلي , لوحة لتشيخوف , والتي اراد المؤلف ان يثبت فيها وجود (تشيخوفيين اثنين) في الادب الروسي , الاول هو تشيخوف (المعروف!) في الزمن السوفيتي , والثاني هو تشيخوف (غير المعروف!) لدى القراء في الوقت الحاضر , اي ان المؤلف رسم صورة تشيخوف كما يراها هو الآن , ونحن في القرن الحادي والعشرين , وهو يرى ان تشيخوف اكبرمن ان يكون كاتبا واقعيا وحسب , وانه كاتب يمتلك وحهة نظره الفكرية الخاصة به , وجهة نظر تتبلور فيها حتى الآراء السياسية والاجتماعية رغم انه قال كلمته هذه بشكل غير مباشر , ولكن القارئ الفطن يقدر ان يتلمّس كل هذا عبر الايماءآت التشيخوفية الفريدة في ادبه الرائع.

تشيخوف كان اديبا مشهورا في روسيا الامبراطورية , وكان علما من اعلام الادب في روسيا السوفيتية , وها هو ذا يثير الباحثين من جديد في روسيا الاتحادية . لقد تذكرت ما قاله لي المرحوم د. عبد الامير الورد عن تشيخوف , عندما دردشت معه قبل اكثر من عشرين عاما في كليّة اللغات بجامعة صنعاء , وسألته لماذا كرّر تقديم مسرحية تشيخوف في العراق بعد ان قدّم نفس تلك المسرحية الفنان الكبير سامي عبد الحميد , اذ قال لي الورد عندها – لكل منّا تشيخوفه الخاص به ...

53- مسرح تشيخوف في رأي بروك

أ.د. ضياء نافع

مقاطع من حوار مع المخرج المسرحي الانكليزي بيتر بروك (1925 – 2022) , الذي قدّم على خشبة مسارح باريس أعمال تشيخوف المسرحية .... .

..... يتميّز مسرح تشيخوف بالدقة والبساطة والاصالة ... كان تشيخوف يريد ان يكون الاخراج شفافا , وكذلك التمثيل , شفافا مثل الحياة نفسها , لكن عندما نحاول التعبير عن أجواء المسرحية , فاننا نعاني – بلا ارادتنا – من منح الجمل طابعا أدبيا , بينما هي بالروسية تجسّد البساطة بعينها , ان لغة تشيخوف مركّزة ومكثّفة جدا , وهي تذكّر بلغة بينتر او بيكيت , اذ كما هو الحال لديهما , يعتبر بناء الجملة مهما جدا , وكذلك ايقاعها والشعر المسرحي للمفردات , التي تشغل مكانها المحدد وتمتلك نبرتها الدقيقة والصحيحة , فعندما يقول شخص ما كلمة (نعم) مثلا , فانها تعتبر الكلمة الوحيدة التي تعبّر عن الموقف بشكل كامل , ولا يمكن ان تكون هناك كلمة اخرى ...

لم يستخدم شكسبير علامات الترقيم , وتلك التي نجدها في نتاجاته جاءت بعد فترة طويلة . ان مسرحيات شكسبير مثل البرقيات , ويجب على الممثلين انفسهم ان يقسموا كلماتهم الى مجاميع , أمّا عند تشيخوف , فاننا نجد العكس تماما , فالنقطة والفارزة وتعدد النقاط , كل ذلك مهم وبشكل غير اعتيادي , وعندما لا نراعيها او نلتزم بها , فان المسرحية تفقد ايقاعها وتوترها . ان الفواصل بين الكلمات عند تشيخوف تؤدّي نفس أدوار علامات البرقيات السريّة , اذ انها تعبّر عن علاقات واحاسيس الشخصيات , وتسجّل لحظات امتزاج افكارهم وتلاحمها او الحركة

الخاصة بتلك الافكار . ان علامات الترقيم تكشف الشئ الذي لزمت الكلمات الصمت عنه .

تشيخوف – استاذ مثالي في مجال المونتاج , فبدلا من الانتقال من مشهد الى آخر , ومن الممكن حتى من مكان حدث الى آخر , ينتقل تشيخوف من احساس الى آخر , وهو يقوم بذلك رأسا بعد لحظة من التعبير الكامل عن هذا الاحساس او ذاك , ففي تلك اللحظة , عندما تستحوذ شخصية ما على الانتباه كليّا , يظهر فجأة موقف غير متوقع . كل شئ عند هذا الكاتب المسرحي غير ثابت وغير مستقر . ان تشيخوف يعرض الناس والمجتمع في وضعية متغيّرة بلا توقف , انه كاتب الحياة المتحركة دائما , الحياة الجدّية والمرحة في آن واحد , المضحكة والمريرة معا . يجب ان ننسى الكآبة السلافية , الموجودة فقط في موسيقى المطاعم الليلية , وهذا هو الموضوع الذي غالبا ما كان يثير الخلافات بينه وبين ستانسلافسكي , اذ ان تشيخوف لم يكن يتحمّل تلك النبرة الدراماتيكية التي يضعها المخرج على تلك المسرحيات . ان هذا لا يعني بالطبع , اننا يجب ان نقدم مسرحية (بستان الكرز) مثلا , على اعتبارها مسرحية هزلية . ان تشيخوف هو مراقب دقيق جدا لكوميديا الحياة الانسانية . انه طبيب , ومن ثمّ , فانه يعرف مكنونات حياتنا وجوهرها , ويستطيع ان يشخّص الحالة المرضية .

توجد في أعماق تشيخوف الرقة ويوجد الانتباه والحنان , ولكن لا توجد في أعماقه تلك العواطف الجيّاشة . هل يمكن ان نتصور طبيبا يذرف الدموع على آلآم مراجعيه ؟ ان هذا سيكون منتهى السخف . لكنه مقابل ذلك , حتى عندما كان تشيخوف عاشقا , فانه كان يلاحظ عدم وجود التكامل وعدم الرضى الداخلي في كيان حبيبته , ولم يمتعض منه , وانما كان يستطيع ان يتعامل معه مبتسما .

يوجد الموت في مسرحيات تشيخوف دائما , الموت الذي نعرفه جيدا , لكن لا يوجد هنا شئ مؤلم , كما يحدث في المغالاة الفنية عند الآخرين . ان الاحساس

بالموت مرتبط عنده بالتشوّق تجاه الحياة والموت . لقد جاب تشيخوف الحياة طويلا , وشارك في جوانبها الاجتماعية , وكتب , وأحب , ومات شابا , وعندما كان يموت طلب كأسا من الشمبانيا , اما جثمانه , فقد نقلوه في عربة قطار مكتوب عليها (محّار طازج) ... ان هذه الفكرة عن الموت وعن اللحظات الثمينة التي بقيت لديه في الحياة , هي التي كانت تمنحه دائما الوعي , بان كل الاشياء نسبية , وبتعبير آخر , هي التي ساعدته ان يحافظ على تلك المسافة الكافية , كي لا يغيب عن باله ابدا الجانب الكوميدي للدراما.....

من كتاب – (سبعون مقالة عن تشيخوف) , الذي سيصدر عن دار نوّار للنشر قريبا في بغداد وموسكو .

ضياء نافع

54- تشيخوف في النقد الادبي الروسي قبل الثورة

أ.د. ضياء نافع

تشيخوف في النقد الادبي الروسي قبل ثورة اكتوبر 1917 - مصطلح سوفيتي بحت كان سائدا في ستينيات القرن العشرين , عندما كنت طالبا آنذاك في القسم الروسي لكلية الفيلولوجيا (اللغات وآدابها) بجامعة موسكو . وكانت هناك خلاصة عامة مستقرّة حول هذا المصطلح تقول , ان كل هؤلاء النقاد قبل الثورة لم يفهموا بشكل صحيح ومتكامل خصائص الاديب الكبير تشيخوف وابداعه , وان هذا الفهم العلمي والحقيقي لنتاجاته على اسس فكرية ماركسية حدث فقط بعد ثورة اكتوبر1917. لم نسمع باسماء النقاد والباحثين هؤلاء, و لم نطلع على كتاباتهم حول تشيخوف , وانما كنّا , نحن الطلبة , نكرر ما يقول الاساتذة لنا حول ذلك ليس الا .

اثناء الدراسات العليا في جامعة باريس شعرت بضرورة الاطلاع على هذا النقد الادبي بشكل موضوعي معمق , اذ ان التحدث عن ذلك الرأي السوفيتي حول النقد الادبي عن تشيخوف في مرحلة باكملها دون الاطلاع المتكامل عليه هو موقف غير علمي بتاتا, ولكني اصطدمت بعدم وجود المصادر الاساسية له في المكتبات الفرنسية , اذ ان معظم هؤلاء النقاد كانوا ينشرون كتاباتهم في مجلات روسية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين , وهي محفوظة في المكتبات الروسية فقط بالاساس . وهكذا كنت انتظر العطلة الصيفية , واسافر الى موسكو (من اواسط حزيران الى اواسط ايلول) للاطلاع على تلك المصادر في مكتبة لينين بالاساس , وبعد الاطلاع على تلك المصادر اصبح لديّ – بشكل عام ليس الا - تصوّر متكامل على معالم ذلك النقد الغني فعلا بافكار متنوعة عن تشيخوف , وأذكر من بينها دراسة ليف شيستوف المشهورة بعنوان – (ابداع من لاشئ) (انظر مقالتنا بعنوان – تشيخوف والفيلسوف شيستوف) .

اصطدمت خططي العلمية هذه بصعوبة الحصول على سمة الدخول (الفيزا) الى الاتحاد السوفيتي وانا طالب الدراسات العليا في باريس , وكذلك السكن في موسكو نفسها , اذ كان كل ذلك يخضع لروتين سوفيتي محدد حسب قوانين صارمة جدا , وقد قررت (حلّا لكل هذه الصعوبات) ان احاول الالتحاق بقسم الدراسات العليا بجامعة موسكو (عن بعد) , او ما يسمى في العراق (الدراسة بالمراسلة) . وهكذا ارسلت وثائقي من باريس بالبريد المسجّل الى جامعة موسكو , ومضت فترة ليست بالقصيرة (كدت انسى الموضوع برمته) , وفجأة استلمت رسالة بالبريد المسجّل ايضا من جامعة موسكو يعلمونني فيها بالموافقة على قبولي بالدراسة العليا عن بعد , وكان هذا يعني بالنسبة لي الحصول على الفيزا السوفيتية والسكن الرسمي في القسم الداخلي بجامعة موسكو طوال أشهر الصيف , وهذا ما تمّ فعلا . طلبت مني الجامعة ان احدد موضوع الاطروحة وموافقة المشرف العلمي كخطوة اولى لهذه الدراسة , وحددت لي موعدا مع البروفيسور كوليشوف رئيس قسم (تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر) من اجل ذلك. قابلت البروفيسور كوليشوف طبعا , وقال لي انه يتذكرني بالشكل ولكن لا يعرف اسمي , وحدثني عن انطباعاته الجيدة حول جميل نصيف التكريتي وجليل كمال الدين , ثم سألني عن الكاتب الروسي الذي اود كتابة اطروحتي عنه , فقلت له – تشيخوف , فقال لي رأسا – (لا تقترح تشيخوف في العراق , فانا لا اوافق بتاتا على مثل هذه المواضيع , ليس لانها غير علمية , ولكن مكانها ليس هنا في قسمنا , اذ ان المشرف العلمي يجب ان يعرف اللغة العربية ايضا , وهذا اختصاص آخر لا يتوفر في قسمنا) , فقلت له , انني اقترح موضوعا آخر وهو – (تشيخوف في النقد الادبي الروسي ما قبل الثورة). اندهش البروفيسور كوليشوف بشكل واضح جدا وسألني اذا كنت اعرف ولو اوليات هذا الموضوع , فحكيت له قصتي , وانني اكتب اطروحة في جامعة باريس وكيف بدأت بالاطلاع على الموضوع , فطلب منّي ان احدثه بتفصيل اكثر عن ذلك , وبعد ان استمع بانتباه الى كلامي , قال لي رأسا , انه موافق على ذلك , ولكن هذا الموضوع (الحسّاس!)

يتطلب موافقة مجلس القسم , ودعاني لحضور جلسة المجلس , وقد حضرت طبعا وشاهدت النقاش الحاد حول موضوع الاطروحة تلك , وكيف دافع كوليشوف بحرارة عن تلك الفكرة ضد هؤلاء الذين عارضوها وهو يقول – آن الاوان ان ندرس هذا النقد عن تشيخوف بتفصيل وموضوعية , وقد تمّت الموافقة على الموضوع بصعوبة وبعد التصويت .

رجعت في السنة التالية الى جامعة موسكو واضطررت ان اؤدي امتحانين , الاول في اللغة الروسية المعاصرة والثاني في تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر , والتقيت عدة مرات بالمشرف العلمي وهو البروفيسور ألباتوف , ولكني عدت الى العراق بعد انهاء دراستي في باريس , وكتبت لجامعة موسكو اعتذارا حول عدم امكانية اكمال الدراسة نتيجة لظروف عملي في العراق , وقد أخبرتني السيدة ناديجدا اوكتابرسكايا مسؤولة الاجانب في الكلية بعد عدة سنوات اثناء لقاء معها , انهم تأسفوا لعدم اكمالي تلك الدراسة , خصوصا وانني قطعت مرحلة مهمة في مسيرة متطلباتها (هكذا قالت لي) , فاعتذرت مرة اخرى .

تشيخوف في النقد الادبي قبل الثورة يعدّ الان موضوعا طبيعيا في روسيا الاتحادية , وغالبا ما يستشهدون بافكار وملاحظات وردت في تلك المصادر , اما بالنسبة لي فهو موضوع اطروحة لم تتحقق ..

55 - عن تشيخوف في القرن الحادي والعشرين

أ.د. ضياء نافع

ولد تشيخوف في القرن التاسع عشر(كانون الثاني 1860) , وفي القرن الحادي والعشرين (كانون الثاني 2020) , احتفلت الاوساط الثقافية الروسية بمرور (160) سنة على ميلاده . ظهرت الكثير من الكتابات الجديدة (والافكار الجديدة طبعا) حول تشيخوف بهذه المناسبة , ونحاول هنا ان نستعرض للقارئ العربي النقاط الاساسية في تلك الكتابات , التي تحمل طبعا آراء الباحثين الروس عن تشيخوف في القرن الحادي والعشرين , وهي آراء واجتهادات ذاتية , ولكنها – بالتأكيد – تستحق التأمّل , وتستحق ان يتعرّف عليها القارئ العربي , اذ ان تشيخوف هو واحد من هؤلاء الادباء الروس القريبين روحيّا من هذا القارئ , وبالتالي , فان كل شئ جديد عنه سيكون – بلا شك - طريفا وممتعا لهذا القارئ.

توقف باحث من هؤلاء عند موضوع (الثلاثي الروسي العالمي للادباء الروس) , وأشار انهم كانوا في البداية هكذا – دستويفسكي الاول وتولستوي الثاني وتشيخوف الثالث , ولكن ترتيبهم قد تغيّر بمسيرة الحياة الفكرية , اذ اصبح تولستوي الاول وجاء دستويفسكي الثاني , و تشيخوف بقى في موقعه الثالث , ولكن , الثلاثي هذا , كما يراه هذا الباحث اصبح هكذا الان – تشيخوف الاول وتشيخوف الثاني وتشيخوف الثالث , اذ تراجع الاهتمام بتولستوي رغم ان روايته الملحمية (الحرب والسلم) لا زالت تحتفظ بمكانها المتميّز واهميتها الاستثنائية في الادب العالمي , وتراجع الاهتمام بدستويفسكي رغم انه لازال يحتفظ بمكانته المتميّزة في مجال تشابك او تعشيق الادب والفلسفة معا , اما تشيخوف , فلا يوجد مكان لبيع الكتب في العالم لا يحتوي على كتاب لتشيخوف , ولا يوجد مسرح في العالم لا يعرض مسرحياته ضمن نشاطاته الفنية , ولا يوجد مخرج في العالم لا يحلم ان يقدّم مسرحية من مسرحياته (

وقد تذكرت اسماء مثقفي العراق ومسارح العراق ومخرجي العراق في النصف الثاني من القرن العشرين فصاعدا مثل شاكر خصباك ونعيم بدوي وعبد الامير الورد وسامي عبد الحميد وصلاح القصب وغيرهم , وقلت بيني وبين نفسي – نعم , هذا كلام صحيح فعلا عن تشيخوف, وان هذا الامر لازال كذلك ونحن في بداية العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين رغم ان العراق جريح الان كما هو معروف ولا يزال ينزف دما مع الاسف الشديد) .

باحث آخر أشار الى ان تشيخوف عاش 44 سنة ليس الا , وانه توفي عام 1904 , اي انه رحل قبل تلك الاحداث الكبيرة و الهائلة التي حدثت في روسيا مثل الحرب الروسية – اليابانية , ثم ثورة 1905, ثم الحرب العالمية الاولى 1914, ثم ثورة اكتوبر1917 الاشتراكية , وانه لم يكتب عن كل ذلك طبعا, ولكن الروس الذين هربوا من روسيا بعد ثورة اكتوبر واصبحوا لاجئين , كانوا يعرضون وهم في الغرب مسرحية (الاخوات / او الشقيقات الثلاث) لتشيخوف , وهم يبكون ويرددون , كم تبدو الامور وكأنها من الماضي العتيق , و كم تبدو ايضا وكأنها تتحدّث عن الامس القريب ليس الا , اي ان اللاجئين الروس (وهم صفوة المثقفين الروس آنذاك) لم يجدوا في الادب الروسي غير تشيخوف (الذي رحل قبل كل هذه الاحداث) كي يعبّر عن معاناتهم وحنينهم الخانق الى موسكو (وقد تذكرت ان اللاجئين الروس أطلقوا على دار النشر التي نظمّوها في الغرب اسم – دار تشيخوف للنشر, والتي ساهمت بشكل كبير في عملية النشر العالمي للادب الروسي ودراساته باللغة الروسية , وقدّمت مصادر مهمة جدا في هذا المجال لازالت تمتلك اهميتها لحد الان , وقلت بيني وبين نفسي , ان اطلاق اسم تشيخوف على دار النشر هذه لا يمكن ان تكون عفوية ابدا).

الباحث الثالث تحدّث عن العلاقة بين تشيخوف وبوشكين , وهو موضوع تناوله النقد الادبي الروسي بشكل او بآخر (انظر مقالتنا بعنوان – بوشكين وتشيخوف) ,

ولكن هذا الباحث أشار الى عنصر جديد في هذه العلاقة , اذ انه يرى , ان بوشكين هو الاديب الروسي الوحيد , الذي يمكن ان نسميه (الكاتب الحضاري) , الذي تكلّم عن الانسان كما يجب ان يكون , خارج نطاق مشاغله ومشاكله الاجتماعية اليومية , ولم يأت من بعده من أستمر بهذا الطرح , لا غوغول ولا تورغينيف ولا دستويفسكي ولا تولستوي , وان تشيخوف عاد بالادب الروسي الى تلك المسيرة البوشكينية (ان صح التعبير) , اي الى الموضوعة الحضارية العامة . و يرى هذا الباحث , ان اهمية تشيخوف تكمن في انه يجسّد الاستمرار الحقيقي لخط بوشكين في الادب الروسي , الخط الذي انقطع في مسيرة الادب الروسي بعد وفاة بوشكين (وقد تذكرت ما قاله تولستوي عن تشيخوف بعد وفاته , وهو حديث واسع ومنشور في كثير من المصادر الروسية , ولكني اريد التاكيد هنا على جملة واحدة قالها تولستوي عن تشيخوف في ذلك الحديث, اذ قال , ان تشيخوف فنان لا يمكن مقارنته بأحد , لانه خلق اشكالا جديدة في الادب , وانه في مجال التكنيك أعلى منيّ كثيرا , وانني اقول هذا متخليّا عن كل مظاهر التواضع الكاذب) .

ان الحديث المتنوع في القرن الحادي والعشرين عن ابداع تشيخوف يعني , ان هذا الفنان يخترق فعلا حدود الزمان ...

56- سولجينيتسين و تشيخوف

ترتبط عوالم سولجينيتسين الفنية قبل كل شئ (كما هو معروف) بواقع السجون السوفيتية الرهيبة ايام حكم ستالين في الاتحاد السوفيتي , وهذه الاجواء طبعا بعيدة جدا عن عوالم تشيخوف الفنية , الذي توفي عام 1904 في الامبراطورية الروسية آنذاك , اما سولجينيتسين فقد ولد عام 1918 , اي بعد عام من ثورة اكتوبر 1917 , ولهذا , فان النقد الادبي الروسي لم يتحدث عن هذين الاسمين (اي سولجينيتسين وتشيخوف) معا ضمن بحوث الادب المقارن , رغم انه كانت هناك بعض الآراء (والتي تكاد ان تكون شبه مستقرة) حول عدم تناغم (بتعبير مخفّف !) سولجينيتسين مع ادب تشيخوف بشكل عام , اذ لا توجد بينهما فعلا جوانب مشتركة او حتى متقاربة . لقد حاول سولجينيتسين دائما ان يقارن نفسه بتولستوي ودستويفسكي (وهذه مسألة تتحمّل النقاش طبعا , اذ ان هناك آراء ومواقف متباينة تماما بشأن هذه المقارنة , وحتى مضادة لذلك , ولكن الموضوع بعيد عن مقالتنا) , الا ان سولجينيتسين لم يقترب من تشيخوف بشكل عام , منذ بداية ظهوره المدوّي (يوم واحد في حياة ايفان دينيسوفتش) في الاتحاد السوفيتي نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات والى القرار السوفيتي الرسمي بنفيه من الاتحاد السوفيتي في عام 1974 , واستمر الموقف من تشيخوف هكذا ايضا طوال فترة مكوث سولجينيتسين خارج الاتحاد السوفيتي , الا ان الوضع تبدّل بعد انهيار النظام السوفيتي عام 1991 وعودة سولجينيتسين الى روسيا الاتحادية عام 1994 , وهكذا بدأت تظهر – بالتدريج - آراء كثيرة في النقد الادبي الروسي تتناول العلاقة الفكرية بين سولجينيتسين وتشيخوف , وتوجد الان مصادر روسية عديدة ومتنوعة تتناول هذه العلاقة الفكرية بينهما. ان هذا الموضوع غير واضح المعالم للقارئ العربي المهتم بمسيرة الادب

الروسي , والمتابع لتفاصيل العلاقات الفكرية بين أعلامه , ونظن , انه موضوع يستحق ان نتوقف عنده قليلا, وان نقدّم الملامح الاساسية له في الاقل .

اصبح سولجينيتسين بعد عودته الى روسيا عام 1994 نجما ساطعا جدا في سماء الفكر الروسي , وعندما احتفل مسرح موسكو الفني بالذكرى المئويه لتأسيسه عام 1998 , قرر اقامة تمثال لتشيخوف امام بنايته القديمة في مركز موسكو , اذ ترتبط مسرحية تشيخوف (النورس) , كما هو معروف , بمسيرة هذه الفرقة المسرحية العتيدة (لازال طير النورس مرسوما على ستارة المسرح لحد الان وفي بنايته الجديدة ايضا) , وتم دعوة سولجينيتسين للمشاركة بحفل تدشين تمثال تشيخوف والقاء خطاب بهذه المناسبة , باعتباره من ابرز الاسماء الادبية الروسية آنذاك , وقد أشارت الصحف الروسية في حينها , ان سولجينتسين يذكّر بدستويفسكي عندما ألقى خطابه الشهير عند افتتاح تمثال بوشكين في موسكو , وتوقعوا ان يكون خطاب سولجينيسين بمستوى خطاب دستويفسكي المذكور, وسيتحول بالتالي الى وثيقة من وثائق الادب الروسي وتاريخه مثل خطاب دستويفسكي, وألقى سولجينيتسين الخطاب فعلا في حفل افتتاح تمثال تشيخوف , الا ان خطابه عن تشيخوف هذا لم يتحول الى وثيقة جديدة في مسيرة تاريخ الادب الروسي , ولم يكن بمستوى خطاب دستويفسكي عن بوشكين باي حال من الاحوال. كانت مناسبة افتتاح تمثال تشيخوف ترتبط بمسرح موسكو الفني , والدور المتميّز لتشيخوف باعتباره كاتبا مسرحيا في تاريخ هذه الفرقة المسرحية , الا ان سولجينيتسين لم يتطرق حتى الى مسرح تشيخوف في كلمته تلك . لقد أثار موقف سولجينيتسين هذا تعليقات كثير من الباحثين الروس , وقد أشار احدهم قائلا , ان تولستوي لم يكن يتقبّل مسرح تشيخوف , وان سولجينيتسين اراد ان يكرر موقف تولستوي . باحث آخر أجابه , ان تولستوي كان يعتبر تشيخوف قمة من قمم الادب الروسي , لا يمكن مقارنتها بتورغينيف او دستويفسكي او به (اي بتولستوي نفسه) .

نشر سولجينيتسين في ذلك العام نفسه (1998) مقالة عن تشيخوف في مجلة (نوفي مير) تناول فيها مجموعة من قصصه , وهي المقالة الوحيدة عن تشيخوف بقلمه . عنوان المقالة طريف جدا وهو – (الغوص في تشيخوف) , وقد اقترح أحد زملائي ترجمته هكذا – (الغوص في بحر تشيخوف) , وقال تبريرا لاضافة كلمة (بحر) , ان الانسان لا يمكن ان يغوص في بركة ماء او في نهير , وان تشيخوف هو بحر , فقلت له , ولكن سولجينيتسين لن يوافق على هذه الاضافة , وانه كان يمكن له ان يضيف كلمة (بحر) لو اراد ذلك , فقال صاحبي ضاحكا – يبقى تشيخوف بحرا من وجهة نظري , سواء وافق سولجينيتسين ام لا. ضحكت أنا , وقلت له , ان موقفك كمترجم غير صحيح , وذكّرته بالقول العربي الشهير – ناقل الكفر ليس بكافر.

تعليقات الباحثين الروس كانت عديدة حول خطاب سولجينيتسين عن تشيخوف وعن مقالته حوله, نختتمها بتعليق أ.د. كاتايف ,

رئيس قسم تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر بكلية الفيلولوجيا في جامعة موسكو,والذي يعدّ واحدا من أبرز المتخصصين الروس بابداع تشيخوف , الذي كتب يقول –... سيقرر الزمن من هو الكاتب الذي سيختاره القراء مستقبلا...

57- اليابانيون يحبون تشيخوف

قال صاحبي محتجّا – وما شأننا , نحن العراقيين , اذا كان اليابانيون يحبون تشيخوف او لا يحبوه ؟ ابتسمت أنا محاولا تهدئة الموقف المتوتر , وقلت له , هذا عنوان مقالة كتبها ياباني في دورية يابانية اسمها (اليابان اليوم) , وتصدر بعدة لغات , وقد اطلعت عليها بالروسية , بعد ان أثارني العنوان , ووجدت في نهاية تلك المقالة قصيدة هايكو يابانية طريفة لشاعر ياباني معاصر تقول –

...ليلا

قرأت تشيخوف

وأصبحت أخرسا.

وبعد ان قرأت أنا المقالة , سألت نفسي , هل يصبح العراقي أخرسا ايضا عندما يقرأ تشيخوف ؟ وأردت ان اكتب عن ذلك , ولكنك , يا صاحبي , اصبحت عصبيّا رأسا بعد ان اطلعت على عنوان المقالة ليس الا , وأصدرت حكمك الصارم بصيغة ذلك السؤال الواضح المعالم حول علاقتنا , نحن العراقيين , بحب اليابانيين لتشيخوف او لا حبهم له , بعد ان تذكرت , على ما يبدو , قصة الحلاق الثرثار , التي درسناها ضمن مادة (القراءة) في المدرسة الابتدائية , وكيف لعن الزبون المسكين في نهاية القصة (الصين واليابانيين والناس اجمعين!) . اعتذر صاحبي مبتسما , وقال انه فهم من العنوان , ان الكلام سيدور حول اليابان ليس الا , فقلت له , انني قد تعوّدت على ردود الفعل السريعة والغاضبة هذه من المحيطين بي , وانني احاول دائما ان استوعب وبطريقة هادئة تماما هؤلاء الذين (لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب !) . ضحكنا معا , وكرر صاحبي اعتذاره , وسألني , وما الذي أردت ان تقوله حول العراقي عندما يقرأ تشيخوف ؟ قلت له , اردت اولا ان أذكر , ان الصورة الفنية

المدهشة الجمال في الهايكو الياباني تؤكد , ان تشيخوف قد استطاع ان يعبّر في نتاجاته عن احاسيس القارئ الياباني لدرجة , ان هذا القارئ لا يريد ان يضيف اي شئ آخر , وانه (يصبح اخرسا) , لان تشيخوف قال ما يريد هو (اي القارئ الياباني) ان يقوله , وبالتالي اصبح اخرسا . لم يستوعب صاحبي هذه الفكرة الغريبة بالنسبة له, وقال , ان تشيخوف تكلم عن مشاكل الانسان الروسي في فترة معينة من مسيرة المجتمع الروسي , فما علاقة ذلك بالمجتمع الياباني ؟ قلت له , نعم , هذا صحيح , تشيخوف تكلم عن المجتمع الروسي طبعا , ولكن كلامه يتفهمه كل انسان بغض النظر عن مجتمعه , اذ ليس الموظف الروسي يعطس فقط ,بل والموظف الياباني والعربي والصيني والاوروبي ...الخ يعطس ايضا , ولهذا , فان الموظفين كافة وفي كل انحاء العالم يتعاطفون مع ذلك الموظف الروسي المسحوق, الذي كتب عنه تشيخوف , وهذا يتطابق مع معظم قصصه ومسرحياته , اي يتناغم مع روحية النتاجات الابداعية له بشكل عام , وقد كتب ايليا ايرنبورغ حول مسرحية تشيخوف (النورس) مرّة قائلا ما يأتي – (...أما مسرحياته , فانها لا تتجانس مع المفهوم الشرطي للعروض المسرحية , ولكنها لا زالت تعرض في مسارح العالم , في موسكو ولندن وطوكيو وباريس واستوكهولم ونيويورك ...الخ , وتكلم الناس معي في كل مكان زرته عن (نورس) تشيخوف . لقد طاف هذا النورس كل بحار الدنيا) . قال صاحبي , ولكن مسرحية النورس لم تكن واسعة الانتشار في العراق حسب علمي , قلت له – نعم , مسرحياته ذات الفصل الواحد كانت(و ما زالت) تعرض على المسارح العراقية , ولكن مسرحياته الكبيرة , مثل بستان الكرز مثلا , لم تكن واسعة الانتشار , لأن عرضها صعب ويتطلب امكانيات تقنية عالية و كبيرة جدا بالنسبة للمسرح العراقي ومستواه المتواضع , ولكن مع ذلك , فاني شاهدت شخصيا عروضا عراقية لمسرحية الخال فانيا , والاخوات الثلاث , وقلت لصاحبي , اننا كتبنا في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد (وقبل أكثر من عشرين سنة) اطروحة ماجستير وباشرافي العلمي عنوانها – مسرح تشيخوف في العراق , وأشرنا فيها الى كل هذه

الوقائع والحقائق , وحتى قدمّنا نسخة منها في حينه هدية الى جامعة موسكو , وعبّروا عن اعجابهم بها . صمت صاحبي قليلا , ثم كرّر اعتذاره من جديد لانه تسرّع بالكلام في بداية الامر , فقلت له , ان مقالة (اليابانيون يحبون تشيخوف) في الدورية اليابانية طريفة جدا , وتتناول تاريخ تشيخوف في اليابان , وكيف ترجم المترجمون هناك نتاجات تشيخوف الى اللغة اليابانية , وما هو رد فعل النقد الادبي تجاه ذلك , وما هي النتاجات البارزة لتشيخوف , التي تقبّلها القارئ الياباني , ولماذا أحبها هذا القارئ ...الى آخر تلك الملاحظات الذكية والحاذقة حول ابداع تشيخوف في اليابان , وان كل هذه النقاط تستحق ان يطّلع عليها القارئ العربي , فهي ممتعة اولا , ومفيدة ثانيا للالمام بموقع تشيخوف في اطار الادب العالمي , ولهذا كله , فان تلك المقالة تستحق الترجمة الى العربية , وتستحق ان نتكلم عنها كي يتعرّف القارئ العربي عليها , من اجل اغناء معلومات هذا القارئ حول تشيخوف , وحول الادب الروسي عموما , حتى لو لم نتحدث عن علاقة ذلك بنا , وان احتجاجك في بداية الامر حول عدم اهمية الموضوع لم يكن موقفا سليما ...

58- مایاکوفسکي یکتب عن تشیخوف

یبدو للوهلة الاولى انهما (مایاکوفسکي وتشیخوف) بعیدان جدا عن بعضهما , وبالتالي , فان الکتابة عنهما معا غیر واردة في اطار الخطوط الاساسیة لعلم الادب المقارن , فمایاکوفسکي ولد عام 1893 , عندما کان تشیخوف في قمّة مجده الادبي , وتوفي تشیخوف عام 1904 , عندمت کان عمر مایاکوفسکي (11) سنة , ورغم انهما عاشا معا في روسیا القیصریة احدى عشر سنة مشترکة , الا ان العصر الذي تألّق فیه مایاکوفسکي (وهو بدایة القرن العشرین) یختلف جذریا وکلیّا عن العصر الذي تألّق فیه تشیخوف (وهو نهایة القرن التاسع عشر) , وباختصار, فان الصورة الفنیّة المتکاملة لمایاکوفسکي قبل کل شئ في وعینا تقول , انه کاتب ثوري مندفع و بحماس هائل في مسیرته الابداعیة , أما الکاتب تشیخوف , فانه بعید جدا جدا عن اي ثورة وعن اي اندفاع و عن اي حماس .لکنني اکتشفت صدفة (اثناء اطلاعي الدائم على مصادر الادب الروسي) , ان مایاکوفسکي – مع ذلك - قال عنه مرة , ان تشیخوف – (...واحد من سلالة ملوك الکلمة ...) , وهذا موقف واضح المعالم جدا للکاتب مایاکوفسکي تجاه (صاحب الجلالة !) الکاتب تشیخوف , وهذه الکلمة , او هذا الموقف الصریح والواضح بتعبیر ادق , هو الذي جعلني افکّر بالکتابة حول مایاکوفسکي وتشیخوف معا في مسیرة الادب الروسي رغم کل هذا التباعد الفکري والتباین الواضح في المفاهیم بینهما (بما فیها القضیة المرکزیة , وهي - عن دور الادب والفن في الحیاة) , اذ اني اعتقدت جازما , ان هذا الموقف الصریح والواضح لمایاکوفسکي تجاه (صاحب الجلالة !) تشیخوف لم یأت من فراغ حتما , وهکذا بدأت فکرة هذه المقالة عن مایاکوفسکي و تشیخوف معا.

حاولت قبل کل شئ ان أجد المصدر لکلمة مایاکوفسکي عن تشیخوف , ووجدت تلك الکلمة فعلا في مقالة کتبها مایاکوفسکي ونشرها عام 1914 بعنوان – (تشیخوفان

) في مجلة (الحياة الجديدة) الروسية بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة تشيخوف . لم يكن مایاكوفسكي آنذاك شهيرا جدا في الاوساط الادبية الروسية (ظهر اسمه في النشر لاول مرة عام 1912 فقط ليس الا , وصدر ديوانه الاول بعنوان (أنا) عام 1913) , ولكن تلك المقالة كانت تحمل كل سمات مایاكوفسكي , التي ستتبلور بعدئذ , وقد أشارت مجلة (الحياة الجديدة) الى انها لا تتفق مع بعض طروحات هذه المقالة , رغم انها تنشرها باكملها على صفحاتها . مقالة مایاكوفسكي عن تشيخوف ليست قصيرة , وشغلت في المجلة حيّزا كبيرا , وكذلك في المؤلفات الكاملة له (المؤلفات الكاملة في 13 مجلّدا / موسكو 1958 - 1961) . مقالة مایاكوفسكي عن تشيخوف فريدة في تراث مایاكوفسكي , اذ اننا لا نجد عنده مقالات مشابهة لها عن ادباء روس كبار آخرين من السابقين او المعاصرين له, رغم ان علاقات مایاكوفسكي بهم كانت واسعة جدا , اذ ان افكاره عنهم انعكست في قصائده او رسائله او في أقواله للمحيطين به , والذين كتبوا ذكرياتهم عنه, اي انه لم يكتب مقالات محددة عن الادباء الآخرين مثل تلك المقالة عن تشيخوف (انظر مقالتينا , مثلا, بعنوان – مایاكوفسكي وبوشكين , و , مایاكوفسكي وغوركي).

تبدأ المقالة بشكل غير اعتيادي جدا , اذ يكتب مایاكوفسكي رأسا وبهذا الترتيب للكلمات بالضبط , واقدمها للقارئ حسب الترجمة الحرفية قلبا وقالبا , وكما جاءت عند مایاكوفسكي –

(طبعا , ستتزعجون , اذا سأقول -

- انتم لا تعرفون تشيخوف !

- تشيخوف؟)

وهكذا تسير بنية المقالة وكأنها قصيدة من قصائد مایاكوفسكي , قصائده التي تثير القارئ رأسا , او بتعبير أدق , تستفزّ هذا القارئ رأسا , اذ ان مایاكوفسكي هنا يستفز

القارئ فعلا في مقالته عن تشيخوف منذ السطور الاولى , ويصيغ مقالته على شكل حوار مباشر مع هذا القارئ , ويسخر من اجاباته , التي يكرر فيها تعريفه لتشيخوف على انه – نصير المذلين والمهانين , او , مغنّي العتمة والغسق , او , الساخر اللاذع , او..او..او.. , ويصرخ مایاكوفسكي بهؤلاء القراء قائلا لهم – (...اسمعوا ..اني اريد ان اتكلم عن تشيخوف الآخر ...عن تشيخوف الكاتب ..واود ان احييه باعتباره واحدا من سلالة ملوك الكلمة ..)

مقالة مایاكوفسكي عن تشيخوف لا يمكن تلخيصها بعدة كلمات , ولا أدري اذا كانت هذه المقالة مترجمة الى العربية (شخصيا لم أطلع عليها بالعربية), ولكني أرى – حسب رأي المتواضع – بضرورة ذلك لانها مهمة جدا. لقد اراد مایاكوفسكي ان يقول فيها , ان تشيخوف اعطانا صيغة جديدة في الادب , صيغة الافكار القصيرة المضغوطة دون استخدام الكلمات الفائضة , ويرى مایاكوفسكي (وهو على حق), ان هذه هي صيغة الفن المستقبلي , ولهذا فان تشيخوف من وجهة نظر مایاكوفسكي هو استاذ الكلمة وفنّانها .....

59 -البرجوازي الصغير تشيخوف

كان هذا الحديث عن تشيخوف ممتعا جدا بالنسبة لي , ولا أدري اذا سيكون ممتعا ايضا للقراء , الذين يتابعون الادب الروسي و (درابينه !) وانعكاساته في الوعي الاجتماعي العراقي بشكل خاص , والعربي عموما , ولكني أظن (وبعض الظن اثم) , ان هذا الحديث ربما سيكون طريفا لبعض القراء (خصوصا لهؤلاء الذين عاصروا عدة مراحل زمنية متنوعة جذريّا في مسيرة العراق الفكرية منذ اواسط القرن العشرين) , ولهم بالذات قررت كتابة خلاصة لهذا الحديث , الخلاصة ليس الا , دون تكرار , او حتى الاشارة البسيطة الى الشعارات و (الهتافات !!!) التي رافقت هذا الحديث (الادبي البحت !!!) عن تشيخوف , والذي استمر في حدود نصف ساعة لا أكثر , ولكن هذه (النصف ساعة !) كانت مليئة بالافكار الغريبة جدا و العجيبة فعلا , والتي من الصعب - بالنسبة للاكثرية - حتى التفكير بامكانية الاعلان عنها بهذه الصيغة والتحدّث حولها, ونحن في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين .

سألني (بطل الحديث !!) بحدّة وقوة – ما هو موقف تشيخوف من الطبقة العاملة ؟ لم اكن اتوقع بتاتا هذا السؤال عن تشيخوف , وبالتالي لم استطع الاجابة رأسا , وحاولت ان اكسب وقتا اضافيا للتفكير فطرحت عليه سؤالا تفسيريا مضادا , وسألته وأنا اكرر – موقف تشيخوف من الطبقة العاملة في الامبراطورية الروسية ؟ فأجابني وبنفس الحدّة والتوتر - نعم , من الطبقة العاملة المضطهدة والمسحوقة من قبل الرأسمالية الروسية في تلك الامبراطورية الوحشية , التي كان يحكمها القياصرة الطغاة . قلت له مبتسما, وانا احاول تهدئة الاجواء المتوترة , ان تشيخوف كان متعاطفا مع الشعب الروسي باكمله , ولكنه لم يركز اهتمامه على طبقة معينة بالذات , ولم يكن ضد اي طبقة من طبقاته , بل وكان تشيخوف متعاطفا اصلا مع كل انسان

بشكل عام , فضحك (بطلنا!) من جوابي باستهزاء , وقال , طبعا , لا يمكنك ان تجيب بشكل دقيق وحاسم عن سؤالي المحدد , وتحاول ان تتهرب من الموضوع الواضح للعيان بالنسبة لكل شخص يمتلك رؤية ثورية حقيقية واصيلة تجاه ظواهر الفن عموما , والادب خصوصا , هذه الظواهر التي يجب ان تخدم الشعب وطبقته العاملة قبل كل شئ , وأضاف بعد ان صمت قليلا , لقد طرحت عليك سؤالا محددا , وهو بالنسبة لنا , نحن الذين درسنا واستوعبنا النظرية الثورية الحقيقية , مثل الترمومتر لقياس حرارة الجسم , اذ ان الموقف من الطبقة العاملة يحدد بشكل واضح وصريح كل شئ في ابداع اي كاتب في العالم , والنموذج الذي نعرفه في الادب الروسي هو مكسيم غوركي وروايته (الام) , والتي أعطت للادب الروسي (والعالمي ايضا) بداية مفهوم الواقعية الاشتراكية , وتشيخوف الذي عاصر غوركي لم يلاحظ حتى بدايات ذلك الاتجاه الادبي والفني العظيم , واستمر بكتابة قصص عن (عطسة موظف) او (عضة كلب) او (سيدة ذات كلب صغير) , او مسرحية (الدب) وما شاكل ذلك من تلك المواضيع الساذجة وغير المهمة بتاتا للناس , لأن تشيخوف برجوازي صغير ليس الا , والبرجوازية الصغيرة في كل المجتمعات لا يمكن لها ان تستوعب ابدا طبيعة المشاكل الاجتماعية الكبرى والاساسية في المجتمع , ولا يمكن لهذه البرجوازية الصغيرة ان تجد حلّا لتلك المشاكل التي تعاني منها الطبقات المسحوقة في تلك المجتمعات . حاولت اثناء حديثه المتشعب هذا ان اتدخل بالكلام , وان اقول له في الاقل , ان فلسفة تشيخوف كانت تكمن في ان الادب يطرح المشكلة فقط , أما (حلّها) , فان ذلك ليست مهمته , ولكنه لم يسمح لي بذلك بتاتا , وعندما توقف بعد هذا (الخطاب !) الحماسي , قلت له بهدوء - يجب عليك – يا صاحبي - دراسة الادب الروسي خارج هذه النظرة السياسية المحدودة , والتي كانت موجودة بشكل او بآخر زمن جدانوف وغيره من (موظفي !) تلك الاجهزة التي تم رفضها والتخلص من بقاياها وآثارها منذ أكثر من نصف قرن في الاتحاد السوفيتي نفسه , واصبحت الان نسيا منسيا , فالواقعية الاشتراكية – مثلا - لم تعد موجودة منذ

سبعينيات القرن العشرين حتى في النقد الادبي السوفيتي , والنتاجات الادبية التي أشرت اليها لتشيخوف وأسميتها (ساذجة !) اصبحت الآن في الواقع قمما في الادب الروسي والادب العالمي ايضا , قمما دخلت في أعماق الآداب القومية لكثير من الثقافات وأخذت تتعايش معها , بما فيها ثقافتنا العربية , ولم استطع الاستطراد , كي أحكي له , كيف كان طلبتي في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد يمثلون على مسارحهم الطلابية الجميلة مسرحيات تشيخوف بكل حب وحماس .

اغتاظ صاحبي من هذا الجواب وامتعض كثيرا , وقال لي بعصبية , انه مستعد ان يثبت للجميع صحة موقفه هذا , وان الادب الروسي سيتحرر من شوائب البرجوازيين الصغار امثال تشيخوف , عندما سينهض الشعب الروسي من جديد ويحقق اهداف ثورته , التي اوقفتها قوى الرأسمالية العالمية . فهمت أنا طبعا عدم جدوى النقاش معه , فقلت له – دعني اذكرك فقط بجملة عن تشيخوف قالها عالم اجتماع روسي كان بروفيسورا في جامعة موسكو اسمه كوفاليفسكي , والذي كان يعرف تشيخوف حق المعرفة , والجملة هذه هي – (... لم يكن تشيخوف يهتم بقضايا النظام الجمهوري او الملكي ..ولكنه كان يتمنى ان يرى روسيا حرّة ...)

60 - عن قصة تشيخوف القصيرة - (الى باريس)

عنوان القصة مثير جدا للقارئ الروسي , وغير الروسي ايضا , اذ ان القارئ (اي قارئ) يتوقع ان يجد هناك (احداثا ذات نكهة باريسيّة طريفة !), والاحداث الباريسية دائما (تثير!) الخيال ضمن الأجواء الذاتية , والخيال الباريسي يعطّ طبعا بكل تلك المغامرات , وهو (اي الخيال) مثل النفس (الامّارة بالسوء!), رغم ان هذا السوء (جميل ورومانتيكي !!!), الا ان قصة تشيخوف القصيرة (الى باريس) لا تتضمن ابدا احداثا باريسية ورومانتيكية من هذا القبيل لا من قريب ولا من بعيد , بل هي قصة ترسم صورة ساخرة (وقاتمة ومؤلمة جدا في نفس الوقت , ولكن ليس بشكل مباشر وصريح) للواقع الروسي المرير آنذاك ليس الا (وهو واقع لم يتغيّر كثيرا بمسيرة الزمن , ولازالت سماته وخصائصه واضحة المعالم الى يومنا الحالي) , وفي هذه النقطة بالذات تكمن روعة تشيخوف , وسرّ ديمومة ابداعاته الفنية لحد الآن في روسيا اولا , وخارج روسيا ايضا , بما فيها عالمنا العربي طبعا , وهذا ما نحاول الكلام عنه بايجاز في سطور مقالتنا هذه عن قصة تشيخوف القصيرة – (الى باريس).

نشر تشيخوف قصته – (الى باريس) عام 1886 , وكان عمره حينئذ 26 سنة ليس الا , وقد تخرّج لتوّه في كلية الطب بجامعة موسكو . لم ينشر تشيخوف هذه القصة باسمه الصريح , بل باسم مستعار هو (تشيخونتيه) , وقد ظهرت القصة في مجلة روسية فكاهية من الدرجة الثانية (ان صح التعبير) اسمها (اسكولكي) اي (الشظايا) , والتي أطلق عليها أحد الطلبة العراقيين المرحين في كليّة الفيلولوجيا بجامعة موسكو في ستينيات القرن العشرين تسمية عراقية طريفة جدا , وهي - (واحدة من المجلات القرندلية في الامبراطورية الروسية !) .

ترتبط هذه القصة بحدثين تاريخيين محددين , الحدث الاول روسي بحت , والثاني عالمي بحت , وهذا شئ نادر جدا جدا في مسيرة تشيخوف وابداعه , اذ ان نتاجاته عموما تتناول عادة احداثا اعتيادية جدا , والتي تجري في مسيرة الحياة الانسانية اليومية بغض النظر حتى عن الانتماء القومي للانسان . الحدث الروسي في تلك القصة هو ما اعلنه عضو الاكاديمية الروسية (غروت) حول كتابة بعض الحروف باللغة الروسية , هذا الاعلان الذي أثار ضجة وردود فعل مختلفة في الاوساط الروسية , وكان تشيخوف (ومعظم المثقفين الروس آنذاك) ضد ذلك الاعلان , اما الحدث العالمي , فهو افتتاح المعهد الخاص بعلاج داء الكلب في باريس , والذي يرتبط باسم العالم الفرنسي الشهير لوي باستور . لقد ذكر تشيخوف هذين الحدثين باسلوب غير مباشر(و دون ان يركز عليهما بشكل خاص) , ولكنه مع ذلك , أشار اليهما معا في قصته المشار اليها في هذه المقالة , دون ان يلاحظ القارئ الاعتيادي حتى تلك الاشارة الدقيقة , ولا زالت قصة تشيخوف هذه تذكر القارئ الروسي بهذين الحدثين , رغم ان من المفروض ان يكون الامر عكس ذلك تماما , وفي هذه النقطة طبعا يكمن دور الفن واهميته في مسيرة المجتمع الروسي وغير الروسي ايضا .

مضمون القصة بسيط جدا (مثل معظم نتاجات تشيخوف) , فهناك اثنان يعودان الى البيت ذات مساء وهما في حالة سكر , احدهما معلم , وكان يتحدث لصديقه بشكل تفصيلي عن كيفية كتابة نهاية الاسماء في حالة المضاف اليه حسب المقترحات الجديدة لكتابة حروف الهجاء الروسية , وكان الثاني لا يستمع لهذا الحديث , لانه كان مشغولا بمراقبة مجموعة كلاب تعوي في الشارع , واراد ان يطردها , فعضوا اصبعه , وكذلك مؤخرة المعلم نفسه , وفي اليوم التالي نصحهم أحد معارفهم ان يعالجوا انفسهم من عضة الكلب في باريس بالمعهد الخاص بداء الكلب , وهكذا قررا السفر بالقطار الى باريس , ولكن شاهدوا احدهم وقد رجع بعد يوم فقط , وأخبرهم , انهما توقفا في مدينة كورسك , ووجدا ان المطعم غالي , فذهبا الى مكان ارخص ,

وهناك شربا حتى الثمالة , ونفذت نقودهما , وهكذا رجع الاول الى البيت , كي يرسل للثاني نقودا ليرجع هو ايضا الى البيت . وهذا كل مضمون تلك القصة .

قال تشيخوف مرّة , انه يكتب (للقارئ الذكي) , الذي (تكفيه الاشارة !) كما يؤكد مثلنا المعروف , وقد اطلعت على تعليقات أحد القراء حول هذه القصة , ومن الواضح انه ليس ضمن القراء الاذكياء(ولا ارغب ان اسميّه بشكل آخر !) , ويقول هذا القارئ , ان القصة (التي تقع بصفحتين !) لا تستحق القراءة بتاتا , لانها ترسم صورة لاثنين من التافهين, وان الحياة بالنسبة لهما تكمن بالادمان على الكحول ليس الا, وتذكرت قول مكسيم غوركي , الذي كتب ما معناه , ان التفاهة في المجتمع هي العدو الاكبر لابداع تشيخوف .

قصة تشيخوف (التي تقع بصفحتين !) ترسم لنا التفاهة فعلا , وتجعلنا نضحك عليها , والضحك هو شجب للتفاهة , قصة تشيخوف تجعلنا (نضحك!) على التفاهة , وتجعلنا في نفس الوقت (نلطم !) ايضا , لان التفاهة موجودة في حياتنا اليومية .....

61 - المترجمون العراقيون و تشيخوف

كان تشيخوف يرتبط بالنسبة لنا - نحن القراء العرب في خمسينيات القرن العشرين – بكتاب هنا وكتاب هناك (منها طبعا كتاب شاكر خصباك المعروف عن تشيخوف , الذي اصدرته مجلة الثقافة الجديدة في بغداد عام 1954) , ثم بدار اليقظة السورية الشهيرة , وباسماء المترجمين فؤاد ايوب وشقيقه سهيل ايوب , حيث أصدرت دار النشر تلك جزئين من قصص تشيخوف المختارة, ثم بدأت الكتب العربية الاخرى لنتاجات تشيخوف بالصدور في بيروت والقاهرة ودمشق ...الخ , الى ان ظهرت في موسكو وبترجمة د. ابوبكر يوسف المؤلفات المختارة لتشيخوف باربعة اجزاء , وهكذا حلّ اسم المترجم المصري الكبير أبو بكر يوسف محل دار اليقظة السورية (واخواتها !) بالنسبة لتشيخوف باللغة العربية , واستمر الحال بهذه الصورة طوال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين , رغم رحيل المرحوم أبو بكر يوسف (الذي يسموه الان – مترجم تشيخوف) , ورغم اختفاء دار رادوغا السوفيتية للنشر مع الدولة السوفيتية نفسها .

استمر تشيخوف طبعا بالانتشار عربيا , لأن تلك الترجمات مجتمعة لم تستطع ان تقدم للقارئ العربي كل نتاجات تشيخوف الواسعة , وبرزت اسماء مترجمين عرب في هذا المجال , ولا يمكن لنا بالطبع (في اطار مقالتنا هذه) حتى التوقف عند تلك الاسماء والنتاجات العديدة التي قدموها لتشيخوف , ولكننا نود في مقالتنا هذه ان نتوقف قليلا (وحسب عنوان مقالتنا) عند المساهمات الجديدة للمترجمين العراقيين بالذات في هذه العملية الابداعية الجميلة لاغناء المكتبة العربية بنتاجات تشيخوف في الفترة الاخيرة من القرن الحادي والعشرين (اي في مرحلة ما بعد ابوبكر يوسف ودار رادوغا السوفيتية ان صح التعبير) , وهي ظاهرة تستحق – من وجهة نظرنا - ان نتوقف عندها ونحددها ونقدمها للقراء العرب , وتستحق من الباحثين العرب ايضا ان يدرسوها بامعان وتفصيل , لانها خطوة جديدة ومهمة في مسيرة الادب الروسي

بعالمنا العربي , خطوة تمتلك سماتها الفنية الخاصة بها , وتعكس اجتهادات مترجمين من ذوي التجربة والمعرفة في هذا المجال , وذلك لان تشيخوف هو أحد رموز الادب الروسي .

الاسم الاول , الذي نتوقف عنده هنا هو عبد الله حبه - الاسم الكبير في عالم الترجمة عن الروسية . لقد قدّم حبه كتابين جديدين لتشيخوف في الفترة الاخيرة , واصدرتهما دار المدى الرائدة في بغداد , الكتاب الاول هو – قصص ومسرحيات لتشيخوف (وهي بشكل عام غير مترجمة الى العربية سابقا) , والكتاب الثاني – جزيرة سخالين , وهو كتاب متميّز وفريد من نوعه في مسيرة تشيخوف الابداعية , اذ كان تشيخوف نفسه يعتبره (عمله العلمي) , والذي قدّمه حتى الى الكلية الطبية , وطلب – على اساسه – اعتباره دراسة علمية وبحثية , تؤهله كي يكون تدريسيّا للعمل في كلية الطب , اي انه كان يعتبر كتابه هذا (اطروحته) , الا ان الكلية رفضت ذلك في حينه , ولا يمكن الحديث عن ذلك تفصيلا في مقالتنا هذه (رغم اني تذكرت اطروحة علي الشوك الفنطازية في العراق) , الا اننا نستطيع ان نقول , ان كتاب (جزيرة سخالين) مهم جدا في مسيرة تشيخوف الابداعية , وان ترجمته الى العربية من قبل عبد الله حبه قد أكمل – واقعيا - صورة تشيخوف وقيمته واهميته امام القارئ العربي , وهو عمل رائد فعلا .

المترجم الثاني هنا هو المرحوم خيري الضامن , والتي خسرت حركة الترجمة العربية عن الروسية برحيلة واحدا من أعلامها الكبار . لقد تم الاعلان قبيل رحيل الضامن , انه أنجز ترجمة رسائل تشيخوف باكملها , وانه تردد بنشرها , بعد ان تم اصدار ترجمته لرسائل دستويفسكي في كتاب دون الاشارة الى اسمه , وهو الذي ترجمه عن الروسية وتم اصداره باسمه في حينه . ولا ادري اين الآن رسائل تشيخوف , التي ترجمها المرحوم الضامن , وكم اتمنى ان يقوم ورثته بنشرها , لاهميتها اولا بالنسبة للقارئ العربي , ولأن مثل هذا الكتاب (في حالة صدوره)

سيكون نهاية رائعة ومهيبة لسلسلة كتب المرحوم خيري الضامن , التي ترجمها طوال حياته , حول الادب الروسي من نصوص للادباء الروس او دراسات نقدية عنهم .

المترجم الثالث في هذه المقالة هو فالح الحمراني , الاسم المعروف في عالم الترجمة عن الروسية . لقد صدر في بغداد عام 2021 كتابا لتشيخوف بترجمة د. فالح الحمراني عنوانه – دراما في الصيّد , ويقع في 344 صفحة من القطع المتوسط . احتفظ الحمراني بالترجمة الحرفية لعنوان هذا الكتاب كما اراد تشيخوف نفسه , وهو اجتهاد للمترجم العراقي , الا ان المترجم المصري يوسف نبيل ارتأى ان يترجمه بشكل تفسيري , وهو – (جريمة في حفلة صيد) , ويمكن الان للباحثين العرب ان يدرسوا الترجمتين ويقارنوا بينهما , وفي هذا اغناء للادب الروسي في المكتبة العربية , واغناء لحركة الترجمة العربية طبعا .

نختتم مقالتنا هذه بالتوقف عند اسم عراقي جديد في مجال الترجمة عن الروسية هو – محمد خميس . لقد صدر لهذا المترجم الشاب في بغداد لحد الان عدة كتب بترجمته عن الروسية , ويؤسفني باني لم اطلع على اي كتاب منها , اذ انها لم تصل من بغداد الى (عاصمة الثلوج) حيث أقيم أنا منذ فترة , الا ان عناوين تلك الكتب مثيرة فعلا , وتشير بما لا يقبل الشك , الى ان هذا المترجم الشاب (خريج قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد وماجستير في الادب الروسي من جامعة بطرسبورغ الروسية) يعرف كيف يختار – وبدقة - نماذج (ناطقة !) من الادب الروسي الحقيقي من بوشكين الى أندرييف , ومن بين هذه الكتب يوجد مصدر مهم جدا للمكتبة العربية حول تشيخوف عنوانه – انطون تشيخوف ...دفتر المذكرات واليوميات. ظهور مترجم شاب جديد وبهذا المستوى في بغداد يعني , اننا نستطيع ان نستخدم التعبير العربي الجميل بالنسبة لمقالتنا هذه عن المترجمين العراقيين وتشيخوف , ونقول , ان ختامها مسك . أليس كذلك ؟

62- حول رسائل تشيخوف بترجمة الضامن

على عكس الاخبار الكئيبة الاخرى في عالمنا العربي بشكل عام , والتي نسمع بها يوميّا , فان آخر الاخبار عن الكاتب الروسي تشيخوف في عالمنا العربي مختلفة تماما , وهو ما اريد ان اتكلم حوله قليلا مع القراء الآن في هذه السطور .

لقد نشرت قبل فترة قصيرة مقالة بعنوان – المترجمون العراقيون وتشيخوف , وفوجئت بردود فعل متنوعة لهذه المقالة , ومن جملة ردود الفعل هذه - اتصال الزميل عبد الله حبه هاتفيّا , والذي اخبرني فيه , ان الكلمات التي كتبتها عن الراحل خيري الضامن في تلك المقالة , والتي اقترحت فيها ضرورة نشر رسائل تشيخوف التي ترجمها الضامن (في طريقها الى التحقيق فعلا !) , وتبين , ان الضامن قد كتب الى عبدالله حبه رسالة قبل رحيله بشهر تقريبا , واخبره فيها , ان يتصل بابنته في حالة رحيله (وكأنه كان يشعر بذلك كما قال لي عبد الله) والاتفاق معها بشأن اصدار رسائل تشيخوف التي انتهى من ترجمتها عن الروسية , ويقول عبد الله , ان هذا ما تم الان فعلا , وان رسائل تشيخوف تلك ستصدر قريبا عن دار النشر التي جرى الاتفاق معها حول نشر تلك الرسائل بترجمة المرحوم خيري الضامن , وسيكون هذا العمل تتويجا لمسيرة حافلة من الابداع الترجمي للضامن في مجال نصوص الادب الروسي و الدراسات النقدية عنه , وفي حالة تحقيق ذلك (واتمنى ذلك من اعماق قلبي) , ستكسب المكتبة العربية مصدرا رائعا ومهمّا لمعرفة تاريخ الادب الروسي عموما , ومصدرا فريدا وأصيلا للاطلاع على ابداع تشيخوف نفسه والتعمّق في دراسته وتفهمه واستيعابه, اذ سجّل الكاتب الروسي في تلك الرسائل واقعيا – وبحرية كاملة - كل افكاره ومفاهيمه حول الادب والفن كما كان يراها حوله اثناء مسيرة حياته القصيرة نسبيا (عاش تشيخوف 44 سنة فقط ليس الا).

توجد في المكتبة العربية طبعا بعض المصادر حول رسائل تشيخوف , منها مراسلاته مع غوركي , التي صدرت في دمشق بترجمة جلال فاروق الشريف , وبطبعتين (الطبعة الاولى عام 1953 والثانية عام 1983) ومن الممكن جدا ان هناك مصادر عربية اخرى لا أعرفها حول تلك الرسائل , الا ان مجموعة رسائل تشيخوف الحقيقية بالروسية تشغل (12) مجلدا في مؤلفاته الكاملة , التي صدرت ب(30) مجلدا في موسكو , وهذا يعني , ان الرسائل تشكل نسبة أكثر من ثلث مؤلفاته الكاملة بأسرها , وهي موزعة حسب سنوات كتابتها في تلك المجلدات المذكورة , وهناك دراسات نقدية كثيرة باللغة الروسية حول الافكار التي وردت في تلك الرسائل , اذ استطاع الباحثون في ابداع تشيخوف ان يحددوا مواقفه الفكرية و آرائه الفنية والجمالية في دراستهم لتلك الرسائل باعتبارها وثائق لا تقبل الشك او التأويل بالنسبة للكثير من القضايا الادبية خاصة والحياتية عامة , ويمكن لنا الاشارة – ليس الا – الى عدة مصادر روسية في هذا المجال , منها كتاب مهم في تلك الدراسات عنوانه – (تشيخوف / عن الادب والفن) , والذي اصدرته دار نشر اكاديمية العلوم السوفيتية عام 1954 , ويقع في 460 صفحة من القطع المتوسط , و يعتمد هذا الكتاب على قراءة دقيقة لرسائل تشيخوف , ويستخلص منها مواقفه تجاه قضايا الادب والفن (رغم ان تشيخوف نفسه كان يتجنب المشاركة في مثل هذه النقاشات ويبتعد عنها) , وتتناول فصول ذلك الكتاب أقوال تشيخوف عن الادب واهميته الاجتماعية , وعن اللغة والاسلوب وبنية النتاج الادبي , وكيف يعبّر الابداع الفني نفسه عن موقف الكاتب الاخلاقي والسياسي , وعن الادب المسرحي , وعن النقد الادبي ومهماته , وآراء تشيخوف حول ابرز الادباء الروس و عن بعض الادباء الاجانب , وكذلك توجد أقوال تشيخوف عن الصحافة الروسية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

لا اعرف انا شخصيا عن ترجمة الضامن لتلك الرسائل شيئا , ولا أظن انه قد ترجم (12) مجلدا من مؤلفات تشيخوف الكاملة , التي تضم تلك الرسائل بأكملها , ولكني على ثقة كاملة ومطلقة , ان المرحوم خيري الضامن قد ترجمها الى العربية بشكل رائع , اذ المعروف عنه , انه يقدم اعمالا ترجمية حقيقية وبشكل احترافي متقن , وليس عبثا , ان اسمه اصبح رمزا للاعمال العملاقة الرزينة والمعتمدة علميّا في دنيا الترجمة , وفي كل الاحوال , لننتظر هذا الجهد الكبير , وعندها يمكن لنا ان نحدد الرأي بشأنه , ومهما تكن كميّة تلك الرسائل المترجمة من المجموعة الكاملة لرسائل تشيخوف, فان كتاب خيري الضامن هذا سيعدّ مساهمة مهمة في المكتبة العربية حول الادب الروسي بشكل عام وحول تشيخوف طبعا قبل كل شئ.

رسائل تشيخوف – عالم متكامل من الافكار العميقة والرشيقة والاصيلة مثل قصصه ورواياته القصيرة ومسرحياته ذات الفصل الواحد او اعماله المسرحية الشهيرة , ولنتأمّل مثلا هذا المقطع - ليس الا - من رسائله العديدة - (..... أنا بصحة جيدة , لكني اصبحت كسولا بشكل رهيب , ولا أعمل اي شئ , وهذا أسوأ من المرض ....) , الا يثير هذه المقطع الصغير ابتسامتنا , ويجعلنا نفكر- في آن واحد- بتفسير مغاير لمفاهيمنا عن الصحة والمرض ؟

63- و تشيخوف اوكرانيّ ايضا ؟

سألت جارتي الروسية (التي ادردش معها بعض الاحيان في الممرات او قرب بناية السكن) – هل سمعت ما يقولونه الان حول تشيخوف ؟ هم يؤكدون ان انطون بافلوفيتش تشيخوف كاتب اوكراني وليس كاتبا روسيّا , فضحكت جارتي وقالت مصححّة قولي – غوغول , غوغول , وليس تشيخوف , وأضافت , ان غوغول فعلا اوكراني بكل معنى الكلمة , فهو ولد هناك , ثم انتقل في شبابه الى بطرسبورغ , الا انه كاتب روسي كبير وعملاق وترتبط باسمه نتاجات شهيرة في تاريخ الادب الروسي والادب العالمي ايضا (وقسم منها طبعا بنكهة اوكرانية واضحة المعالم) , وهذه مسألة طبيعية جدا في مسيرة روسيا التاريخية وآدابها وتعددية شعوبها, اذ يوجد الكثير من الادباء الروس الكبار من اصول غير روسيّة , مثل باسترناك وآيتماتوف وأكودجافا و كثيرون غيرهم , ولا أحد يقول الآن , ان باسترناك ليس كاتبا روسيّا وانما يهودي , وان آيتماتوف ليس كاتبا روسيّا وانما قرغيزي , وأكودجافا ليس كاتبا روسيّا وانما قوقازي (من ام ارمنية واب جورجي)....الخ , ويبدو انك توهمت باسماء الادباء الروس واختلط عليك الامر ليس الا عندما سمعت هذا الشئ عن تشيخوف , فقلت لها وانا اضحك ايضا , كيف يمكن لي ان اتوهم باسماء الادباء الروس يا جارتي العزيزة ويختلط عليّ الامر وأنا اتعايش مع الادباء الروس (في السّراء والضّراء !) اكثر من ستين سنة من حياتي , انهم يتحدثون عن تشيخوف , عن صديقي انطون بافلوفيتش تشيخوف , فسألتني والاستغراب كان واضحا بعينيها و على وجهها - الكلام يدور عن تشيخوف , هل انت متأكد ؟ قلت لها – طبعا متأكد جدا , وقد قرأت ذلك قبل أيام ليس الا واندهشت بشدة عندما اطلعت عليه , فقالت جارتي - انها لم تسمع بذلك بتاتا , ولم يخبرها أحد من الاصدقاء حولها عن هذا الموضوع ابدا , ولكن كل شئ يمكن ان يحدث الان في عصرنا العاصف وغير الاعتيادي هذا, ثم أضافت - يوجد عندنا مثل روسي يقول – في الحب وفي الحرب كل الوسائل جيدة . ضحكت أنا , وقلت لها , ان الحرب بين روسيا واوكرانيا وصلت الى تاريخ الادب الروسي

وأعلامه على ما يبدو , وقد توجهت نيران هذه الحرب الآن الى تشيخوف هذه المرّة .
صمتت جارتي قليلا , ثم سألتني بصوت خافت – وماذا يقولون حول تشيخوف بالضبط ؟ فقلت لها , يكتبون انه اوكراني , وانه ولد وترعرع في تاغنروغ , وهي مدينة قريبة جدا من اوكرانيا , ووجدوا حتى بعض الجمل و المقاطع - هنا وهناك – في رسائله وذكريات أصدقائه حوله , والتي تشير الى انه اوكراني ويعتزّ جدا بانتمائه لاوكرانيا , بل وان أحدهم كتب يقول , ان هناك من (أجبر!!!) تشيخوف ان يكتب نتاجاته باللغة الروسية وليس بلغتة الاوكرانية , فتعجبت جارتي من كل هذه الاقاويل , وقالت , اي هراء هذا ! و من الذي أجبر الصبي (غير المعروف آنذاك بتاتا) تشيخوف عندما كان عمره أقل من العشرين , و كان تلميذا في المدرسة ليس الا (اي قبل ان يلتحق للدراسة في الكلية الطبية بجامعة موسكو) ان يكتب مسرحيته الرائعة بلا عنوان , والتي يسمونها الان (بلاتونوف) باللغة الروسية , والتي لم ينشرها اثناء حياته كلها , بل نشرها أخوه بعد وفاة تشيخوف ؟ , ومن الذي أجبر تشيخوف عندما كان طالبا جامعيا ان يكتب قصصه القصيرة الجميلة و الساحرة والمتنوعة جدا جدا بلغة روسية رقراقة وشفافة مثل الماء الزلال , هذه القصص التي لازلنا نطالعها بحب واعجاب واندهاش لحد الان , وان ابطالها ومضامينها لا زالت تتفاعل مع مسيرة حياتنا , ثم سألتني – هل تعرف ان تولستوي نفسه قرأ واحدة من تلك القصص مئة مرة امام الآخرين ؟ قلت لها , نعم , أعرف كل ذلك , وأعرف ايضا , ان تولستوي قال عنه بما معناه , ان تشيخوف في الفن (أعلى منه !!!) , فقالت جارتي بألم واضح – نعم , لكن هؤلاء الذين يتكلمون عن اوكرانية تشيخوف لا يريدون الاقرار بكل هذه الوقائع على ما يبدو , ويريدون ان يؤججوا نيران الحقد والكراهية والخلافات بين الشعبين السلافيين الشقيقين الروسي والاوكراني بمثل هذه التشويهات والاكاذيب والتلفيقات , وان هؤلاء بالذات هم الذين يريدون استمرار هذه الحرب الرهيبة وتوسيعها , والتي أتمنى ان تنتهي باسرع وقت , واختتمت جارتي قولها – يا الآهي , ما الذي سيقوله تشيخوف نفسه لو سمع بهذه الترهات حوله ؟

64 - كاتايف - البروفيسور التشيخوفي

عندما يذكرون اسم كاتايف , فان هذا يعني – بالنسبة للمواطنين الروس طبعا – ان الحديث يدور عن الكاتب الروسي تشيخوف و خصائص ابداعه , وهذه ظاهرة نادرة جدا جدا - بشكل عام - في مسيرة الادب الروسي , لم تحدث سابقا , ولم تتكررلاحقا لحد الآن , ونحاول في مقالتنا هذه ان نرسم (ملامح!) هذه الظاهرة للقارئ العربي ليس الا (الذي لا يعرف – على الاغلب - كاتايف , وحتى لم يسمع بعضهم باسمه أصلا) , ونحاول ان نوضّح ايضا – لماذا وكيف حدثت هذه الظاهرة النادرة , ونود ان نؤكّد على كلمة (ملامح) ونكرّرها , اذ لا يمكن لسطورنا الوجيزة هذه ان تتوغل في اعماق تلك الاعمال الثرية والمتنوعة وتحدد جوانبها المتشعبة, التي انجزها و قام بها البروفيسور كاتايف طوال حياته في البحث العلمي المعمّق حول ابداع تشيخوف من قصص ومسرحيات ورسائل ومواقف وعلاقات ادبية واسعة جدا, واهمية وقيمة هذا العمل الكبير الذي قام به كاتايف (المتخصص بابداع تشيخوف) بالنسبة لمجمل حركة البحث العلمي و النقد الادبي في تاريخ الادب الروسي عموما, وليس عبثا ولا من باب الصدفة , ان احد الباحثين الروس كتب , في محاولة للتعريف به , قائلا (وهو على حق فعلا من وجهة نظرنا) , ان (كاتايف - ...مختص بابداع تشيخوف في تاريخ الادب الروسي قبل كل شئ وبعد كل شئ ...) .

كاتايف – تخرّج في كليّة الفيلولوجيا (اللغات وآدابها / القسم الروسي) بجامعة موسكو عام 1960 , وناقش اطروحة الكانديدات في العلوم الفيلولوجية (دكتوراه فلسفة) في نفس الكليّة عام 1965 , وكانت عن ابداع تشيخوف , ثم حصل بعدئذ على شهادة (دكتوراه علوم) في الفيلولوجيا , (وكانت الاطروحة تلك عن تشيخوف ايضا), وبدأ بالعمل في نفس كليّته (الفيلولوجيا) منذ عام 1968 ولا يزال يعمل هناك لحد الآن , اذ ان القوانين الروسية السائدة لا تفرّط بتلك الكوادر العلمية

وخبرتهم المتراكمة , و لا تحيل الى التقاعد التدريسيين بدرجة الاستاذية (اي الحاصلين على درجة بروفيسور) , وانما تجعلهم يعملون طوال حياتهم وقدر استطاعتهم وامكانياتهم وحسب رغباتهم الشخصيّة طبعا , ووصل كاتايف – حسب التدرج العلمي الصارم والدقيق للتدريسيين في جامعة موسكو - الى درجة الاستاذية (بروفيسور) في تلك الجامعة , وقد نشرت له جامعة موسكو ثلاثة كتب مهمّة عن تشيخوف من تأليفه , وعنوان الكتاب الاول – نثر تشيخوف (1979) , وعنوان الكتاب الثاني - ارتباطات تشيخوف الادبية (1989) , و عنوان الكتاب الثالث - صعوبة البساطة – قصص ومسرحيات تشيخوف (1998)(وصدرت عام 2005 الطبعة الرابعة لهذا الكتاب المتميّز) , و اصبح كاتايف رئيسا لقسم تاريخ الادب الروسي بكليّة الفيلولوجيا في جامعة موسكو منذ اواسط التسعينيات ولحد الان (ونحن في اواسط عام 2022) , وكاتايف عضو هيئة التحرير في مجلة (تشيخوفسكي فيسنك) اي (أخبار تشيخوف , او الاخبار التشيخوفية حسب الترجمة الحرفية) منذ عام 1998 ولا يزال , وهي مجلة علمية خاصة بدراسة تشيخوف وابداعه فقط , تصدر عن اكاديمية العلوم الروسية , وتتابع هذه المجلة كل الاصدارات الجديدة عن تشيخوف ونشاطات ومشاريع كل المتاحف الخاصة به في المدن الروسية كافة وعروض كل المسارح الروسية لمسرحيات تشيخوف وانعكاساتها و ردود الفعل تجاهها, وكاتايف ايضا رئيس لجنة تشيخوف لمجلس اكاديمية العلوم الروسية في مجال تاريخ الثقافة العالمية , وهو واحد من أبرز المساهمين باعداد المؤلفات الكاملة لتشيخوف في ثلاثين مجلّدا , التي صدرت في الربع الاخير من القرن العشرين , والتي تعدّ أكثر مؤلفات تشيخوف شمولية واكتمالا في روسيا لحد الان , وكاتايف هو المؤلف و المحرر العلمي للهيئة التي أشرفت على اصدار كتاب – (تشيخوف . الانسلكوبيديا) , بمناسبة مرور 150 سنة على ميلاد تشيخوف والذي صدر عام2011 في موسكو, والذي يقع في 696 صفحة من القطع الكبير , وساهم كاتايف بكتابة عشرات الفقرات حول تشيخوف في ذلك الكتاب

الموسوعي الفريد من نوعه بشأن ابداع تشيخوف في تاريخ الدراسات النقدية في الادب الروسي بالنسبة للادباء الروس قاطبة , ونود في ختام مقالتنا هذه ان نتوقف قليلا عند هذا المصدر الفذ في تاريخ الدراسات الروسية حول تشيخوف , المصدر الجديد والمبتكر - شكلا ومضمونا – في نوعيّة دراسات الاسماء الكبيرة بتاريخ الادب الروسي . عنوان هذا الكتاب (الانسكلوبيديا , اي الموسوعة) يعني ما يعنيه بحد ذاته, فهو موسوعة فعلا , الا ان هذه الموسوعة تختلف كليّا عن المفهوم الكلاسيكي المتعارف علية حول الموسوعة , اذ انها موزعة حسب مواضيع وضعها كاتايف نفسه ,وكل المواد الموجودة في كل موضوع تندرج حسب تسلسل حروف الهجاء , كما هو الحال في بنية الموسوعات , والمواضيع في تلك الموسوعة هي كما يأتي – سجل وجيز لحياة تشيخوف وابداعه /// طريق تشيخوف الابداعي /// نتاجات تشيخوف – النثر , المسرحيات , المطبوعات , دفاتر المذكرات , الرسائل , ويقع هذا الموضوع في اكثر من مئتين صفحة /// شاعرية تشيخوف /// عقيدة تشيخوف . مواقفه الاجتماعية /// الارتباطات الادبية ويشمل ثلاث نقاط – الادباء الروس الذين ظهروا قبله ومعاصروه , والادباء الروس في القرنين العشرين والواحد والعشرين , والادباء الاجانب /// تشيخوف والمسرح /// تشيخوف وبقية انواع الفنون /// تشيخوف والثقافة العالمية /// دراسة ابداع تشيخوف ويشمل خمس نقاط – المذكرات عن تشيخوف , الرمزية وتشيخوف , تشيخوف في النقد الادبي الروسي خارج روسيا , تشيخوف في النقد الادبي السوفيتي وعلم الادب من 1917 الى بداية الخمسينيات , دراسة ابداع تشيخوف في النصف الثاني من القرن العشرين /// متا حف تشيخوف /// تشيخوف في المدرسة .

كاتايف – اسم روسيّ كبير في الدراسات عن تشيخوف وابداعه , وهو ينتظر الباحثين التشيخوفيين العرب .....

65-عن بيردنيكوف وكتبه حول تشيخوف

ولد بيردنيكوف في الامبراطورية الروسية عام 1915 , وتوفي في روسيا الاتحادية عام 1996 , ولم تؤثر الفترة الصغيرة من عمره في الامبراطورية الروسية (اي قبل قيام الاتحاد السوفيتي) , ولا السنوات الخمس في روسيا الاتحادية (اي بعد انهيار الدولة السوفيتية) على مسيرة حياته في مجال البحث العلمي بتاتا , اذ انه كان وسيبقى علما من أعلام المتخصصين السوفيت (ونؤكد على كلمة السوفيت) في تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر ضمن الاختصاص العام , وواحدا من المتخصصين السوفيت البارزين , والذين لازالوا يمتلكون صوتهم المسموع بروسيا اليوم في دراسة تشيخوف وابداعه ضمن الاختصاص الدقيق , اي ان بيردنيكوف باختصار شديد- علم في مسيرة الدراسات الاكاديمية حول الادب الروسي عموما , و في مسيرة الدراسات العميقة حول ابداع تشيخوف خصوصا و لحد الان .

لنبدأ اولا بتقديم هذا الباحث الاكاديمي المتميّز للقراء العرب , القراء الذين لا يعرفون – على الارجح – مكانته الحقيقية بمسيرة البحث العلمي في مجال تاريخ الادب الروسي في القرن التاسع عشر بشكل عام , ولا يعرفون طبعا اهميّته بمسيرة التعمّق في تحديد واكتشاف عوالم تشيخوف الفنية بشكل خاص , وذلك بتحليل نتاجات تشيخوف قبل كل شئ واستنباط النتائج من هذا التحليل المختبري الموضوعي .

تخرّج بيردنيكوف في القسم الروسي بكليّة الفيلولوجيا (اللغات وآدابها) في جامعة لينينغراد (بطرسبورغ حاليا) عام 1939 , ثم التحق في قسم الدراسات العليا بنفس الكليّة عام 1940 , الا ان الحرب العالمية الثانية بدأت عام 1941 , وهكذا اضطر للالتحاق بالخدمة العسكرية , كما هو حال جيله كله , وساهم في تلك الحرب , ثم عاد الى قسم الدراسات العليا بعد الحرب, وأنهى تلك الدراسة بنجاح باهر, وحصل على شهادة (كانديدات العلوم الفيلولوجية) , اي شهادة (دكتوراه فلسفة) في الادب الروسي,

وكان موضوع اطروحته عن أدب تشيخوف المسرحي , واصبح تدريسيّا في نفس قسمه , قسم الادب الروسي بجامعته , ثم تدرّج في الخدمة الجامعية , و حصل بعدئذ على درجة الاستاذية (بروفيسور) , ثم اصبح عميدا للكليّة , وبعدها انتقل للعمل باماكن كثيرة و متنوعة في المؤسسات الثقافية السوفيتية , وقد كان يشغل دائما مكانا قياديّا في تلك المؤسسات , وفي عام 1962 انجز اطروحة دكتوراه العلوم , التي يسمونها عندنا (ما بعد الدكتوراه) , وناقشها بنجاح (وكانت ايضا عن جوانب تشيخوف الفكرية والابداعية) , وقد استمر بيردنيكوف في مسيرة عمله الاداري الى ان وصل الى منصب الوكيل الاول لوزارة الثقافة في جمهورية روسيا السوفيتية (اذ كان في كل جمهورية سوفيتية مجلس وزراء خاص بتلك الجمهورية) , والذي شغله من 1966 الى 1977 , ثم اصبح رئيسا لمعهد غوركي للادب العالمي التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية , ولكن كل هذه المناصب الادارية الرفيعة في المؤسسات الثقافية السوفيتية لم توقف نشاطه في مجال البحث العلمي , وهذا هو الموقف الحقيقي للباحث العلمي , اذ كم شاهدنا حولنا من مواهب علمية (دفنتها !) المناصب الادارية , ونريد ان نتوقف (وحسب عنوان مقالتنا) عند الكتب التي نشرها بيردنيكوف حول تشيخوف بالذات , دون التطرّق الى كتبه وبحوثه الاخرى حول تاريخ الادب الروسي .

أصدر بيردنيكوف عدة كتب عن تشيخوف منذ خمسينيات القرن العشرين فصاعدا , وقد تناولت هذه الكتب قبل كل شئ سيرة حياة تشيخوف مرتبطة بمراحل ابداعه وبتداخل جميل جدا , واثبت بيردنيكوف , ان تشيخوف هو (معاصرنا) , وقد جاء عنوان أحد كتبه هكذا – (معاصرنا تشيخوف) , وتناولت كتبه ايضا مسرح تشيخوف , وكان عنوان هذا الكتاب – (تشيخوف كاتبا مسرحيّا) , والذي يقع في 356 صفحة من القطع المتوسط , ويوجد لديه كتاب يبحث في نثر تشيخوف بعنوان – السيدة ذات الكلب الصغير لتشيخوف , وهو كتاب يتحدّث بيردنيكوف فيه عن خصائص الفن القصصي لدى تشيخوف , مع التركيز على قصته الشهيرة (السيدة ذات الكلب

الصغير) , هذه القصة التي اعتبرها الكثير من نقاد الادب واحدة من أبرز القصص في الادب العالمي , القصة التي خلّدت موضوعة الحب المتأخر و الحقيقي و المستحيل بين الرجل والمرأة , والتي انعكست من الادب على انواع اخرى من الفنون مثل السينما والنحت , وهناك كتاب آخر لهذا المؤلف بعنوان – (تشيخوف – بحوث فكرية وابداعية) , والذي يقع في اكثر من 500 صفحة من القطع المتوسط , وقد حاز هذا الكتاب على جائزة الدولة لعام 1985 كأفضل كتاب في مجال الادب والفن في الاتحاد السوفيتي . ويجب الاشارة حتما , الى ان هذه الكتب قد صدرت بطبعات عديدة , وكانت كل تلك الطبعات مزيدة دائما , وقد أدّت ظاهرة اعادة الطبعات هذه , الى ان يكون بيردنيكوف موجودا دائما في المصادر الروسية عن تشيخوف ولحد الان , وكم تستحق هذه الظاهرة في الاجواء الفكرية الروسية ان نتأمّلها بهدوء من قبلنا , اذ انها تجيب عن سؤال مهم جدا مطروح في واقعنا الفكري , سؤال يرتبط بهؤلاء الذين (يحذفون !!!) دائما كل شئ حدث في مرحلة سياسية معينة من مراحل البلد , بما فيها الاعمال الابداعية في تلك المرحلة , دون ان يدرسوا طبيعة تلك الاعمال وقيمتها و اهميتها , بحجة انها ترتبط بتلك المرحلة ليس الا , وهذه هي النظرة الساذجة و السطحية للامور , النظرة التي لا تتفهّم الفرق الجوهري بين (الاخضر واليابس !!!)... والحليم تكفيه الاشارة..

66- تشيخوف والادب العالمي

تشيخوف والادب العالمي - هو عنوان كتاب روسي كبير بثلاثة اجزاء , صدر الجزء الاول منه عام 1997 والجزء الثاني والثالث عام 2005 , والاجزاء الثلاثة للكتاب تقع في حوالي (1900) صفحة من القطع الكبير , ومن الواضح تماما , ان هذا الاصدار يعتبر جهدا علميا موسوعيا مدهشا ولا نظير له في المكتبة الروسية عن تشيخوف , وليست المكتبة الروسية فقط , وانما في مجال الدراسات العالمية عن تشيخوف بشكل عام , وقد ساهم في اعداد هذا المصدر و المرجع المهم عن تشيخوف مئات (نؤكّد على كلمة مئات !) المتخصصين من روسيا وبعض الدول الاجنبية الاخرى (بالاساس الدول الاوربية) , هؤلاء الذين يتابعون ويدرسون نتاجات تشيخوف الادبية ومكانة هذا الابداع المتميّز وانعكاساته وتفاعلاته في الاداب العالمية .

منهج الكتاب ينطلق من مفهوم محدد لمصطلح (الادب العالمي) , وجوهر هذا المفهوم يكمن في ان الادب يعدّ ظاهرة قومية من ظواهر الفنون ,لأنه يرتبط باللغة القومية (اي انه يبقى في اطار تلك الامّة فقط مهما يكن عظيما) , ولكن هذه الظاهرة القومية تتحول الى ظاهرة عالمية عندما يستطيع القراء خارج تلك الامّة من متابعة ذلك الادب بلغاتهم القومية (اي يقوم المترجمون بترجمته الى اللغات الاخرى وايصاله الى شعوبهم), وغالبا ما يتحدث الباحثون في هذا المجال ونقاد الادب بشكل عام عن شكسبير , ويعتبرونه نموذجا مثاليا واضح المعالم لمصطلح الادب العالمي , لان القراء في العالم يستطيعون – ومنذ زمن بعيد - قراءة نتاجات شكسبير بلغاتهم المتنوعة والمختلفة , وتتفاعل تلك النتاجات مع الاداب القومية في تلك البلدان (تذكرت سامي عبد الحميد وهاملت عربيا , وهو غيض من فيض كما يقول تعبيرنا الطريف) . ومن هذا المفهوم المحدد والدقيق ينطلق كتاب (تشيخوف والادب العالمي) بأجزائه الثلاثة , اذ انه يتناول كيفية تعامل الشعوب الاخرى مع نتاجات تشيخوف من قصص قصيرة

وطويلة ومسرحيات , وكيف اصبح هذا الكاتب الروسي أحد أعلام الادب العالمي نتيجة لترجمة نتاجاته الى لغات عديدة متنوعة , مع التأكيد , ان مختلف الشعوب هذه قد تقبّلت نتاجات تشيخوف , لأن تلك النتاجات ذات (وجه انساني ناصع !), وبالتالي , اصبحت هذه النتاجات جزءا لا يتجزأ من آداب تلك الشعوب (تذكّرت بدري حسون فريد وتحويره لقصة تشيخوف (الحرباء) , حيث اصبحت مسرحية , وتذكّرت عادل كاظم , الذي حوّل قصة (المنتقم) لتشيخوف الى مسرحية ايضا , وكل ذلك حدث قبل اكثر من خمسين سنة في عراقنا الحبيب).

لنتوقف الان قليلا عند هذا الكتاب الكبير . يجب القول بدءا , باستحالة عرض هذا المرجع المهم عن تشيخوف بكلمات وسطور محددة , مهما تكن هذه الكلمات والسطور , وأظن , انه من الكتب النادرة في تاريخ الادب الروسي , الذي يمكن ان يتحول الى موضوع لمؤتمر علمي متكامل عن تشيخوف , مؤتمر يتناقش فيه المشاركون حول كل فصل من فصول هذه الاجزاء الثلاثة , فمثلا , تناول الجزء الاول (الذي يقع في 614 صفحة من القطع الكبير) كيف تعاملت كل من فرنسا والمانيا والنمسا وانكلترا وايرلندا وبلجيكا مع ابداع تشيخوف , ويكفى الاشارة هنا , الى ان الجزء الخاص بفرنسا يشغل حوالي 111 صفحة , ويوجد فيه فصل خاص بعنوان – تشيخوف في النقد الادبي الفرنسي يشغل حوالي 50 صفحة , وقد استخدم الباحث المصادر الفرنسية الصادرة حول تشيخوف من عام 1960 الى عام 1983 ليس الا لكتابة هذا الجزء , (تذكرت , اننا انجزنا اطروحة ماجستير في قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد باشرافي العلمي بعنوان – تشيخوف في النقد الادبي العربي قبل اكثر من عشرين سنة , ولكن الفرق بيننا وبينهم يكمن , في انهم نشروا بحثهم هذا في مصدر عالمي , حيث يمكن للمهتمين كافة الاطلاع عليه , أما بحثنا فقد طواه النسيان , ولم يعد يتذكره أحد لا في العراق ولا في جامعة بغداد) .

الجزء الثاني من هذا الكتاب تناول ابداع تشيخوف في بولندا و بلغاريا وتشيخيا و سلوفاكيا و صربيا وكرواتيا وهنغاريا ورومانيا واليونان واسبانيا والبرتغال والدنمارك والنرويج وفنلندا , وتم تكريس الجزء الثالث للدول الشرقية مثل الصين والهند واليابان وكوريا وفيتنام ..الخ , ويوجد في هذا الجزء فصلان عننا , نحن العرب , الاول بعنوان – تشيخوف في البلدان العربية , كتبته المستشرقة المعروفة المرحومة الميرا علي زادة , وهو بحث يعتمد مصادر عربية قديمة نسبيا عن تشيخوف (رغم اني فرحت عندما رأيت هناك صورة فوتوغرافية لكتاب دار اليقظة العربية في دمشق لمؤلفات تشيخوف المختارة بترجمة الاخوين فؤاد وسهيل ايوب , الصادر في الخمسينيات) , اما الفصل الآخر , فكان بعنوان – تشيخوف في العراق , وهو البحث الذي كتبه الباحث السوفيتي جوكوف , والمنشور قبل اكثر من أربعين سنة , وهو بحث يتكلم عن تاثير تشيخوف في ادب شاكر خصباك وادمون صبري , والآراء المنشورة عند جوكوف حول هذا التأثير لا تعدّ وقائع دقيقة , ويمكن ان تخضع للمناقشة حتما , الا ان هذا موضوع خارج اطار مقالتنا . وفي ختام الجزء الثالث توجد مراسلات تشيخوف مع مترجميه الاجانب (من 11 دولة اوربية) , وهذه المادة جديدة في المصادر الروسية عن تشيخوف , ويمكن ان تساهم – بلا شك - في الدراسات المستقبلية عن عالمية تشيخوف.

كتاب تشيخوف و الادب العالمي – وثيقة في غاية الاهمية تثبت , بشكل علمي واضح , مكانة تشيخوف في مسيرة الادب العالمي ....

67 - عود على كتاب (تشيخوف) بقلم ايرنبورغ

اتصل احد طلبتي القدامى , الذي كان يدرس (في القرن الماضي !!!) بقسم اللغة الروسية في جامعة بغداد , وقال لي , انه جلب لي خصيصا هدية من بغداد الى موسكو , ضحكت انا وقلت له , انك تعرف حق المعرفة , انني لا اتقبّل اي نوع من (الهدايا !!!) من طلبتي , فضحك طالبي ايضا وقال , اولا , لم أعد انا طالبا لديك منذ زمن بعيد جدا , وثانيا , لا يمكنك (رفض !!!) هذه الهدية في كل الاحوال . جواب طالبي كان طريفا ومثيرا , رغم انه كان (استفزازيا !) في نفس الوقت , فسألته رأسا وبحدّة , وما هي هذه الهدية من طالبنا سابقا , و التي لا يمكن لي ان ارفضها في كل الاحوال , فأجابني (رأسا أيضا وهو يضحك ايضا) – ان الهدية هذه هي عبارة عن كتاب عتيق وجدته مرميا ضمن كومة كتب عتيقة اخرى على الرصيف في شارع المتنبي ببغداد عندما كنت هناك , و اشتريته خصيصا لاقدمه هديه اليك , عند اللقاء معك في موسكو , وهو كتاب صادر في بيروت قبل اكثر من اربعين سنة من الآن وعنوانه – تشيخوف بقلم ايليا ايرنبورغ وبترجمتك . فوجئت انا طبعا بهذا الكلام , وقلت لطالبي السابق رأسا - اني اعترف – وبكل روح رياضية - انك حققت وبمهارة وجدارة هدف الفوز على استاذك .

عندما استلمت (الهدية البغدادية !) , حاولت - قدر الامكان - السيطرة على احاسيسي (وعلى دموعي ايضا!) , فاللقاء مع (الكتاب الاول !) بعد كل هذه السنين الطويلة ليس سهلا , مثل اللقاء مع (الحب الاول !) , و أثار هذا اللقاء ذكريات كنت أتصور انها منسية تماما, ولكنها برزت فجأة مرة اخرى وبكل وضوح , فقد تذكرت كلمات استاذ جيلنا المرحوم د.علي جواد الطاهر , التي كتبها آنذاك في جريدة الجمهورية عنه , والتي قال فيها ما معناه , انه لم يشعر بانه كتاب (مُترجَمْ) , وتذكرت , كيف اني قدمت ثلاث نسخ منه مع معاملة ترقيتي الجامعية باعتبار الكتاب

المترجم يمكن ان يساعد على الترقية مع البحوث المطلوبة , وبعد حصولي على الترقية , استلمت مظروف المعاملة , ووجدت على المظروف كلمة – (اخذ الخبراء نسخ الكتاب المترجم ولم يرجعوه اعجابا به) , وتذكرت كلمات الكاتب المرحوم ناظم توفيق عن الكتاب , والتي قالها لي في شارع السعدون عندما التقيته صدفة – لولا هذا الكتاب - الذي حلّقت مع افكاره عن تشيخوف - لما استطعت تحمّل مشاق السفر بالقطار كل هذا الوقت الطويل , وتذكرت , كيف جاء شخص وطلب منّي اصدار الطبعة الثانية للكتاب في بغداد , ووافقت طبعا , واستلمت منه مبلغا يعادل تقريبا (نصف راتبي آنذاك !) , وصدرت الطبعة الثانية فعلا , وتذكرت , صدور طبعة اخرى (ثالثة) للكتاب في القاهرة دون علمي ومعرفتي , ولكني ابتسمت عندها وقلت للشخص الذي أخبرني بذلك – في الاقل سيعرف القارئ المصري خصائص تشيخوف الحقيقية بشكل دقيق و صحيح , وهذه المسألة بحد ذاتها خدمة كبيرة للادب الروسي واستيعاب دوره الاصيل في مسيرة الحياة الانسانية عموما . وبمناسبة معرفة خصائص تشيخوف , فان هذا الكتاب , الذي كتبه ايليا ايرنبورغ في بداية الستينيات ونشره بحلقتين في مجلة (نوفي مير) (العالم الجديد) السوفيتية الشهرية , ثم أصدره بعدئذ بكتاب مستقل , هو استمرار لتلك الآراء الجريئة جدا و الشجاعة جدا , التي طرحها ايرنبورغ في النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين حول تلك الظواهر الادبية التي كانت الستالينية تمنع بتاتا الكلام عنها , والتي تسمى في تاريخ الادب الروسي الان بمرحلة (ذوبان الجليد) , وهي التسمية التي اطلقها ايرنبورغ نفسه على احدى نتاجاته الادبية , وأخذ النقاد يستخدمون هذا المصطلح في تاريخ الادب الروسي بعد وفاة ستالين . لقد تحدث ايرنبورغ عندها عن تسفيتايفا (التي انتحرت) وأخماتوفا (التي منعوها من النشر) وماندلشتام (الذي أعدموه) وغيرهم من الاسماء اللامعة في الادب الروسي الحديث , اما بالنسبة لتشيخوف , فقد سخر ايرنبورغ في كتابه هذا من تلك المفاهيم الجامدة و(المعلّبة !) , التي كان النقد الادبي آنذاك يستخدمها عند الكلام عن تشيخوف , مثل – (المعبّرالفذ عن سنوات الثمانينيات

) او (سجلّ السنين الجهمة) او (كاتب الغروب) او (شاعر العتمة) , وكذلك سخر من القاموس الموسوعي السوفيتي , وقد استشهد بجملة عن تشيخوف من ذلك القاموس , وهي – (...يرسم تشيخوف في نتاجاته بحث المثقفين الروس عن الايديولوجية , ويحطّم علم النفس البورجوازي ..واوهام حركة الشعبيين الليبرالية ..ويطرح تعميمات اجتماعية ..ويخلق شخوصا نموذجية تجسّم النظام القيصري البوليسي .. ويعرض نمو العلاقات البورجوازية في المدينة والريف ..ويكتب عن فقر الفلاحين وتفكك النظام الاقطاعي – البورجوازي ...) , وقد استطاع ايرنبورغ فعلا ان يرسم في كتابه ذاك – وبابداع – صورة تشيخوف الفنية الرشيقة الشفافة .

اتصل (طالبي القديم) مرة اخرى بعد أيام من استلامي لهديته , وسألني عن انطباعاتي بشأن تلك (الهدية !) بعد ان هدأت العواطف , فضحكت أنا , وشكرته من جديد على هذا (العمل الجميل) , وقلت له , انني اطلعت على النص , ووجدت , ان ايرنبورغ يذكر هناك العشرات من اعلام الادب الروسي والادب العالمي والظواهر الفكرية وعناوين نتاجات ادبية مختلفة , وهذا مفهوم للقارئ الروسي , لكن تلك الاسماء والظواهر تتطلب كتابة هوامش توضيحية للقارئ العربي , وانني اخطط الان لاضافة عشرات الهوامش التفصيلية للكتاب بطبعته الجديدة , كي يكون مفهوما وممتعا للقارئ العربي , فضحك طالبي وقال , اني انتظر (هديتك !) الجوابية على (هديتي !) ....

68- الطالب تشيخوف وقصصه

اصبح تشيخوف طالبا في الكلية الطبية بجامعة موسكو عام 1880 , وفي هذا العام نفسه بدأ بنشر قصصه القصيرة ايضا , وتخرّج في الكلية الطبية عام 1884 , واصبح طبيبا ماهرا , و في الوقت نفسه اصبح ايضا كاتبا معروفا في عموم روسيا , فقد نشر خلال سنوات دراسته في الكليّة الطبية بجامعة موسكو الكثير من القصص القصيرة في مختلف الصحف والمجلات الروسية , ومع ذلك فانه كان يداوم بشكل منتظم ويؤدي واجبه الدراسي كما يجب , ونجح باستيعاب العلوم الطبية, وهي ظاهرة نادرة جدا , ويمكن القول انها لم تحدث في تاريخ الادب الروسي لا سابقا ولا لاحقا , ونحاول في مقالتنا هذه ان نتكلم عن هذه الظاهرة في مسيرة ابداع تشيخوف , اذ انها ظاهرة فريدة فعلا و تستحق الوقوف عندها وتأمّلها بعمق.

كانت حصيلة السنة الاولى في مجال نشر القصص متواضعة جدا , وهي في حدود عدة قصص ليس الا , اذ ان تشيخوف على ما يبدو لم يكن واثقا من نفسه في هذا المجال الادبي الجديد بالنسبة له , الا ان عدد القصص أخذ يتزايد بالتدريج , بعد ان فهم تشيخوف , انه يسير في الطريق الصحيح , الذي يتناغم وينسجم مع موهبته الادبية , ولا يتعارض في نفس الوقت مع واجباته الدراسية في الكليّة الطبية , وهكذا نشر تشيخوف اثناء سنوات دراسته الجامعية بين اعوام 1880 و 1884 اكثر من (200) قصة قصيرة (منشورة حسب سنوات صدورها في المؤلفات الكاملة لتشيخوف بثلاثين مجلّدا , وهي المؤلفات التي صدرت في الربع الاخير من القرن العشرين وباشراف لجنة علمية مختصة) , وكانت اكثر السنوات انتاجا هي سنة 1883 , اذ نشر تشيخوف فيها اكثر من مئة قصة , اي بمعدل قصة في كل ثلاثة الى اربعة ايام لا أكثر , (نكرر - يكتب قصة وهو يتابع واجباته الدراسية في الكلية الطبية) , واصبحت عدة قصص من تلك المرحلة المبكرة في ابداع تشيخوف معروفة

ومشهورة لحد الان في روسيا وخارجها ايضا , اذ تم ترجمتها الى عشرات اللغات الاجنبية بما فيها طبعا لغتنا العربية , ومن بين هذه القصص , مثلا وليس تحديدا – (البدين و النحيف) و(نسى) و (المنتقم) و (موت موظف) و (رسالة الى جار عالم) و (فرحة) و..و..و..الخ...

نشر تشيخوف (11) قصة قصيرة عام 1880 , واول تلك القصص كانت بعنوان (رسالة الى جار عالم) , والتي لازالت حيوية وتتعايش مع القراء حتى في روسيا المعاصرة اليوم , اذ يستخدمها مدرسو اللغة الروسية بالمدارس في تدريسهم , فيطلبون من التلاميذ ان يحددوا الاخطاء الواردة في تلك الرسالة , والتي تعمّد تشيخوف ان يذكرها في تلك القصة القصيرة تعبيرا عن المستوى الثقافي الواطئ لذلك الجار , وهو يكتب رسالته , وينقذ التلاميذ هذا الواجب المدرسي بكل سرور وهم يقهقهون عند قراءة نص تلك القصة الطريفة . لقد استطاع تشيخوف (وهو طالب بالصف الاول في كلية الطب بجامعة موسكو ليس الا !!!) , استطاع ان يعطي لنا قصة تحتوي على درس تطبيقي و (دائمي!) لتلاميذ المدارس الروسية في موضوع الاملاء , درس حيوي وباسم ومهم جدا , لانه يجعل التلاميذ تسخر وتقهقه من الاخطاء اللغوية الموجودة في تلك الرسالة , اي ان تشيخوف حوّل (الضحك !) الى اسلوب تربوي غير مباشر, اسلوب يصل تلقائيا الى قلوب التلاميذ رأسا , وبالتالي , الى عقولهم طبعا , ويعرف التربويون الاهمية الكبرى للاسلوب غير المباشر في ايصال المعلومة الى اذهان التلاميذ , وكيف ان تلك المعلومة في تلك الصيغة غير المباشرة تبقى راسخة في ذاكرة هؤلاء التلاميذ , لانها (... كالنقش على الحجر !) كما يقول مثلنا الشهير عن (العلم في الصغر. . .)

لا يمكن طبعا التوقف (حتى ولو قليلا) عند هذا العدد الكبير من القصص التي نشرها تشيخوف في مرحلة دراسته تلك , ولكننا نشير هنا فقط الى نموذج من تلك القصص ليس الا , ويكفي ان نتوقف عند قصة (موت موظف) , التي اصبحت

مشهورة عالميا . تصوروا , قصة (موت موظف) كتبها تشيخوف وهو طالب في الكلية , هذه القصة التي تحوّلت في الوقت الحاضر الى رمز للانسان المسحوق في المجتمعات , حيث يشعر الانسان فيها بذنب لم يفعله , ويمكن لهذا الاحساس بالخوف ان يقضي حتى على حياته , كما حدث بالنسبة لذلك الشخص , الذي (عطس !!!) ليس الا , والذي مات في نهاية القصة خوفا من ذلك (الذنب !!!) . لقد رسم لنا هذا (الطالب!) لوحة مرحة (لكنها تقطّر دمعا) لحالة انسانية لازالت تتكرر في الكثير من المجتمعات الانسانية , ومن ضمنها مجتمعاتنا العربية مع الاسف ....

الا يستحق هذا (الطالب) ان نصفّق له تحية ؟ الا يستحق هذا (الطالب) ان يكون قدوة لنا جميعا ؟ الا يستحق هذا (الطالب) ان نقول له – شكرا يا انطون بافلوفيتش ؟ والاجابة عن كل هذه الاسئلة ستكون بكلمة واحدة لا اكثر , بكلمة نعم.. نعم.. نعم ...

69- (دبّ) تشيخوف في مصر يتحوّل الى (الجلف)

اطلعت في صحيفة الشرق الاوسط اللندنية بعددها الصادر بتاريخ 14 ديسمبر/ كانون الاول 2022 على عرض لكتاب عنوانه (نزهة في أرض المسرح), الذي نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب, وهو من تأليف الشاعر والناقد المسرحي المصري يسري حسان , ويتناول المؤلف روائع مسرحية عالمية تم عرضها على خشبة المسارح المصرية (برؤية مصرية بحتة !) , ويتحدّث العرض بشكل وجيز عن كل مسرحية من تلك المسرحيات العالمية الشهيرة , ومنها مسرحية (الدبّ) للكاتب المسرحي الروسي انطون تشيخوف , والذي جاء اسمه بشكل صحيح وباللفظ الروسي في متن ذلك العرض الوجيز , الا ان اسمه في العنوان كان (تشيكوف) بدلا من (تشيخوف) , ولكن ليس عن ذلك (التباين باللفظين الانكليزي والروسي للكاتب الروسي !!!) نود الكلام هنا (رغم ان هذا التباين بين ما جاء في متن العرض وعنوان العرض , غالبا ما يتكرر بالصحف والمطبوعات العربية في بلداننا - وهي ظاهرة معيبة جدا في وسائل الاعلام العربية المختلفة في عالمنا العربي ونحن في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين) , وانما نريد ان نتكلم قليلا هنا عن هذا (التحوير!) الغريب وغير الملائم بتاتا من وجهة نظرنا لعنوان مسرحية شهيرة جدا لتشيخوف ومعروفة للمشاهدين العرب في عالمنا العربي ومترجمة الى العربية منذ زمن طويل , اذ تحوّل هذا العنوان على خشبة مسرح الاسكندرية في مصر من (الدبّ) عند تشيخوف الى (الجلف) بكسر الجيم , وكما أشرنا في عنوان مقالتنا هذه .

حاولت – وباخلاص - ان اطلع على كتاب (نزهة في أرض المسرح) بشكل تفصيلي , قبل التعليق عليه , اذ قلت بيني وبين نفسي , ربما أجد على صفحاته تبريرا منطقيا ومقنعا لهذا التحوير (الجذري !!!) في عنوان مسرحية معروفة في عالمنا العربي , ولكني لم استطع – مع الاسف – العثور على نسخة من الكتاب المذكور ,

ولهذا , فانني مضطر ان استند الى ما جاء في ذلك العرض الوجيز في صحيفة الشرق الاوسط حول مسألة تحوير عنوان مسرحية تشيخوف هذه .

يشير العرض المشار اليه , الى ان عنوان (الجلف) للمسرحية بدلا من (الدبّ) كما في الاصل عند الكاتب الروسي يعتبر (... أفضل واوقع واكثر اتساقا مع بيئتنا ...) , وقد طرح هذا التبرير امامي رأسا السؤال الآتي - وهل مضمون المسرحية بشكل عام يتناسق فعلا مع واقعنا و بيئتنا وطبيعة حياتنا ؟ اي بتعبير أدق , هل يمكن ان يحدث (في بيئتنا) ان يأتي رجل غريب الى بيت ارملة توفي زوجها قبل فترة قصيرة (كما حدث في تلك المسرحية) , ويطلب مقابلتها , وتستقبله هذه الارملة في بيتها , وتتناقش معه حول ديون زوجها المرحوم , وتصل تلك النقاشات الحادة جدا الى درجة متأزمة , بحيث تدعو تلك الارملة الحزينة هذا الرجل الغريب الى مبارزة بالمسدسات لحسم هذه الخلافات الهائلة ؟ ثم ينتهي هذا الخصام والتوتر الشديد بينهما بعد (التي واللتيا!!!) الى غرام وعناق وقبل ؟ واظن , ان الاجابة عن هذا السؤال واضحة لكل عربي , ولا تحتاج الى اي تعليق او توضيح , فالمضمون العام لهذه المسرحية لا يتناسق بتاتا وكليّا مع واقعنا لا من قريب ولا من بعيد , ولا يمكن له ان يحدث في مسيرة حياتنا واخلاقيتها وواقعها الواضح المعالم , حتى دون ان نذكر تفاصيل اخرى في مضمون هذه المسرحية الروسية , فهل هذا يعني , اننا يجب ان (نحوّر!!!) مضمون المسرحية بحيث يتطابق مع (البيئة العربية وتقاليدها وعاداتها !!!) كي نعرضها على خشبة مسارحنا ؟ واذا كان مبدأ التعامل مع الادب العالمي يقتضي بضرورة ان يتناسق هذا الادب الواسع جدا (مع بيئتنا وطبيعة حياتنا وتقاليدنا) , فان هذا يعني في نهاية المطاف , اننا لن نقدر حتى الاطلاع على الاوليات الاساسية لهذا الادب ولا على روائعه , التي ما زالت تتعايش معنا , ولا زلنا نرتوي من جداولها الرقراقة . ان التعامل الحيوي والموضوعي مع الادب العالمي يتطلب معرفة عميقة ودقيقة وشاملة لخصائصه .

ختاما , ماذا سيقول انطون تشيخوف نفسه اذا عرف , ان الدبّ الروسي قد تحوّل الى جلف , والدبّ هو رمز للسلوك الطبيعي عند الروس ؟ وماذا سيقول تولستوي , الذي كان لا يعترف بمسرح تشيخوف , ولكنه – مع ذلك – حضر عرضا لمسرحية (الدبّ) وكان يقهقه وهو يتابع احداثها (ذات الروح والسمات التشيخوفية !) البسيطة والعميقة والرمزية ؟ واخيرا , ماذا سيقول طلبة قسم اللغة الروسية بجامعة بغداد , عندما يعلمون , ان هذا البطل قد تحوّل الى (جلف) , اذ انهم كانوا يتقافزون ويمرحون , وهم يؤدون ادوارهم على مسارحهم الطلابية البسيطة وهم يقهقون – بنقاء - تعاطفا مع ابطال مسرحية الدب التشيخوفي ؟

70- حول مقالة رشيقة عن تشيخوف

ما أجمل هذه المقالة الرشيقة عن تشيخوف , التي اطلعت عليها في صحيفة (ليتيراتورنايا غازيتا) الاسبوعية الروسية في عددها الصادر بتاريخ 25 كانون الثاني / يناير من هذا العام (2023) , والتي كانت بعنوان غريب جدا جلب انتباهي رأسا , والعنوان هذا هو – (شيلر شكسبيروفيتش غوته) . من الواضح طبعا , ان هذا العنوان يتكوّن من ثلاثة اسماء عملاقة في دنيا الادب العالمي , ومن الواضح ايضا , ان تركيب العنوان جاء حسب القواعد الصارمة لتسلسل الاسم الروسي الثلاثي , التي يعرفها الجميع , بما فيهم القراء العرب , اذ تحوّل اسم شكسبير الى شكسبيروفيتش باعتباره اسم الاب, وقد تبين , ان تشيخوف نفسه قد استخدم هذا الاسم المستعار في بداية طريقه الابداعي (وبالمناسبة , فان لدى تشيخوف حوالي 50 اسما مستعارا في تلك الفترة !) عندما كان ينشر قصصه الضاحكة في شبابه ايام الدراسة في كلية الطب بجامعة موسكو . المقالة بقلم كاتبة شابة روسيّة اسمها يلينا سازانوفج , وصورتها منشورة مع المقالة , وهي (اي الكاتبة) جميلة , وترتدي في الصورة قبعة رجالية دلعا والتي زادتها جمالا, ومن الواضح جدا , انها تعرف تفاصيل حياة الانسان تشيخوف بعمق , وتعرف دقائق الكاتب تشيخوف وابداعه بعمق ايضا , وتفهم اهميته وموقعه الحقيقي والجدير به في دنيا الادب الروسي والادب العالمي معا .

كتبت يلينا سازانوفيج هذه المقالة بمناسبة يوم ميلاد تشيخوف (ولد في 29 كانون الثاني / يناير عام 1860) , والمقالة مكتوبة باسلوب جميل ورشيق ومدهش , وتكاد بعض مقاطعها ان تكون قصائد نثر , وتتضمن المقالة وقائع طريفة جدا جدا عن تشيخوف , فالكاتبة تشير مثلا , الى ان تشيخوف مع تولستوي ودستويفسكي اصبحوا الان (الترويكا),التي تجسّد الادب الروسي وتمثّله امام العالم , فمسرحية (النورس) لتشيخوف قد تمّ عرضها(74) الف مرّة , اكرر, (74) الف مرّة, على مسارح

مختلف البلدان , وتمّ انتاج اكثر من 300 فلما سينمائيا مقتبسا من ابداعات تشيخوف في روسيا وخارجها , وفي هذا المجال (اي الفن السينمائي) يقف تشيخوف الان جنبا لجنب مع شكسبير وديكنز, وتؤكد الكاتبة , ان كل هذه الوقائع لم تغيّر من تواضع تشيخوف في مسيرة حياته , ولكنها تستدرك قائلة , ان هذا التواضع لم يمنع تشيخوف من استخدام اسم مستعار له مثل (شيلر شكسبيروفيتش غوته) , وتضيف – (...وهذا هو تشيخوف...) , وهي اضافة ذكيّة والتفاتة حاذقة جدا , ونود ان نتوقف عندها قليلا ونعلّق حول مضمونها. لقد أشار معظم الباحثين الى ان تشيخوف كان (..يتجنّب المجد والشهرة ..) حسب تعبير ايليا ايرنبورغ , ولكن توجد عند تشيخوف – مع ذلك - جملة في مراسلاته تقول , ان الكاتب يتابع كل كلمة يقولوها الآخرون او يكتبونها حول نتاجاته , والاسم المستعار هذا , الذي استخدمه تشيخوف , يعني ما يعنيه , فاذا وضعنا هذا الاسم المستعار تحت (مجهر!!!) مفهوم تشيخوف حول متابعة كل جملة تقال حول الكاتب ,فان نتيجة التحليل ستقول لنا , ان تشيخوف – وهو في بداية طريقه الابداعي - كان يريد (او يحلم) ان يكون بمستوى شيلر وشكسبير وغوته معا , ورغم انه (.. تجنب المجد ..) , الا ان عمله الابداعي الذي لم يتوقف طوال حياته (عاش تشيخوف 44 سنة ليس الا) , عمله الابداعي الهادئ والدائم والمتواضع جعله (يدخل التاريخ!!!) , وان يقف – في نهاية المطاف - جنبا لجنب مع تولستوي ودستويفسكي وشكسبير ووو..الخ , وهذا ما أشارت اليه فعلا يلينا سازانوفيج في مقالتها تلك .

تصفيق لكاتبة هذه المقالة الرشيقة والعميقة , وتصفيق لبطل هذه المقالة انطون بافلوفيتش تشيخوف , الذي لازال معاصرا لنا و يعيش بيننا , في وطنه روسيا , وفي بلدان العالم ايضا , بما فيها عالمنا العربي طبعا ...

СОДЕРЖАНИЕ

1. Диалог с идеями моего друга Чехова.
2. Чехов в Ираке.
3. Чехов в Ираке и Чехов во Франции.
4. Возвращение к Чехову в Ираке.
5. Памятники Чехову в России.
6. Книга о Чехове, изданная в СССР в 1939 году.
7. О рассказе Чехова «Смерть чиновника».
8. О ранних рассказах Чехова.
9. Чехов и Пушкин.
10. Чехов и Гоголь.
11. Чехов и Толстой.
12. Чехов и Достоевский.
13. Чехов и Горький.
14. Станиславский и Чехов.
15. Чехов и филосов Шестов.
16. Чехов и Мопасан.
17. Чехов и Бернард Шоу.
18. Чехов и Шакир Хасбак.

19. Адель Кадым и Чехов.
20. Бадри Хассун Фарид и Чехов.
21. Кувейтский Чехов в Иорданском театре.
22. Три книги о Чехове одной серии.
23. Книга Бунина о Чехове.
24. О комедии Чехова «Медведь».
25. О пьесе «Вишневый сад».
26. Рассказ Чехова «Радость».
27. Рассказ Чехова «Толстый и тонкий» и классовая борьба.
28. Чихание чиновника Чехова и его заключения.
29. Хронология пьес Чехова.
30. Чехов в воспоминаниях его современников.
31. Вопросы о Чехове.
32. Немецкий писатель Генри Бёлль пишет о Чехове.
33. Дама Чехова и ее маленькая собачка вошли в историю.
34. Чехов между медициной и литературой.
35. Чехов, его глупая служанка и положение в Ираке.
36. Чехов на улице аль-Рашида в Багдаде.
37. Чехов и театр абсурда.

38. Об одной неизвестной пьесе Чехова.
39. Диссертации магистра наук под моим научным руководством.
40. Девять предложений о Чехове.
41. Французско-русская Софи Лафид — чеховед.
42. О пьесе Чехова «Дядя Ваня».
43. Ахматова и Чехов.
44. Памятник в МГУ студенту Чехову.
45. Чехов и Чайковский.
46. Творчество Чехова и художественный мир Моравиа.
47. Чехов по мнению Набокова.
48. Чехов в Китае.
49. Первый рассказ, который опубликовал Чехов.
50. О Чехове и улицах его имени.
51. Забытая статья Лакшина о Чехове.
52. Один Чехов или два Чехова.
53. Театр Чехова по мнению Брука.
54. Чехов в дореволюционной критике.
55. О Чехове в 21-ом веке.
56. Солженицын и Чехов.

57. Японцы любят Чехова.
58. Маяковский пишет о Чехове.
59. Мелкобуржуй Чехов.
60. О рассказе Чехова «В Париж».
61. Иракские переводчики и Чехов.
62. О письмах Чехова в переводе аль-Дамина.
63. И Чехов тоже украинец?
64. Катаев — чеховский профессор.
65. Бердников и его книги о Чехове.
66. Чехов и мировая литература.
67. Возвращение к книге Эренбурга о Чехове.
68. Студент Чехов и его рассказы.
69. «Медведь» Чехова в Египте превращается в «грубятину».
70. Об изящной статье о Чехове.

Семьдесят статей о Чехове

Проф. д-р. Диа Нафи ХАСАН

Издательство "НАУАР"
Москва-Багдад 2023
Издание второе дополненное к книге
41 статья о Чехове